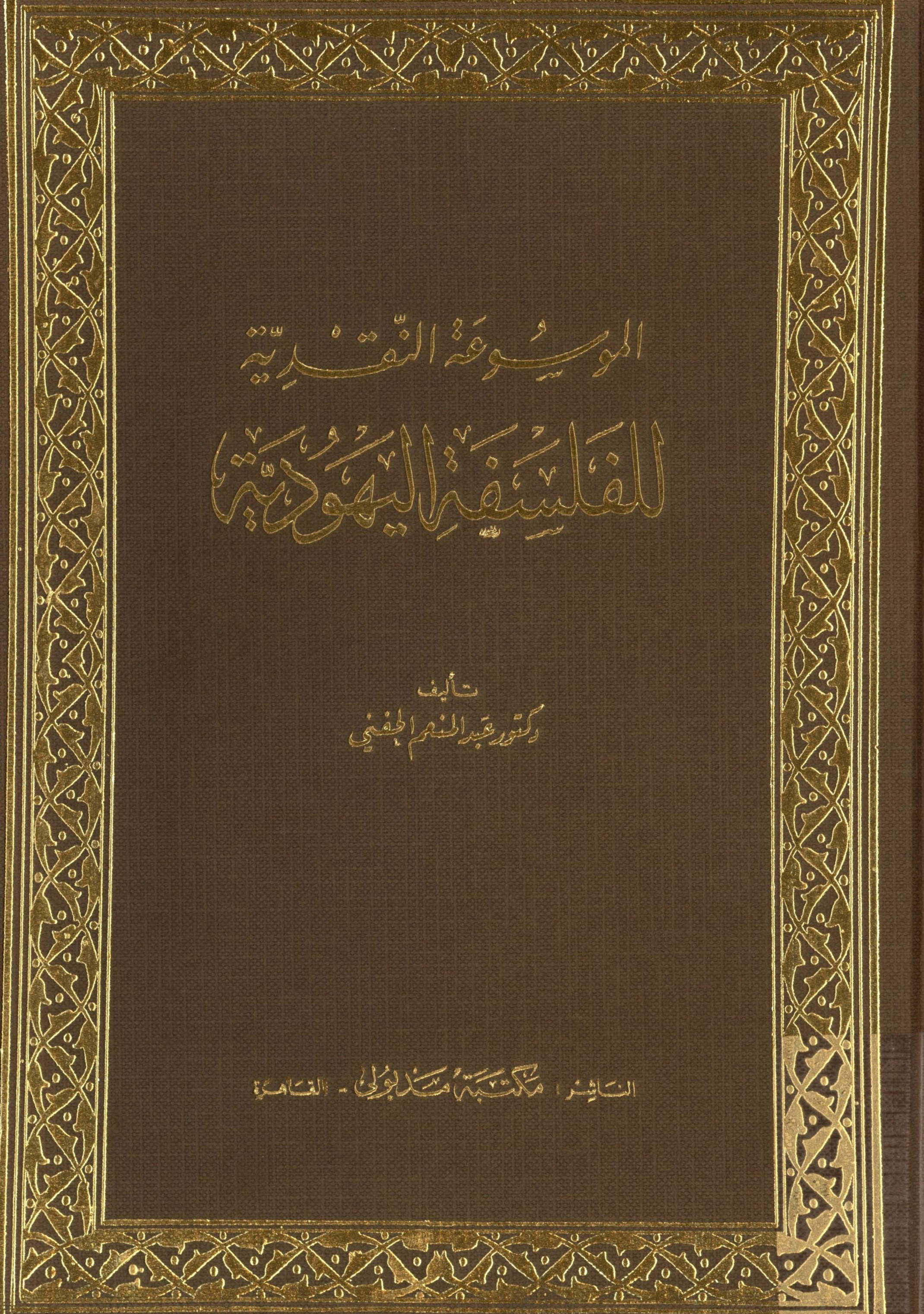

الموسوعة النقدية
للفلسفة اليهودية
تأليف
دكتور عبد المنعم الحفني
الناشر : مكتبة مدبولي - القاهرة



الموسوعة النقدية
للفلسفة اليهودية

تأليف
دكتور عبد المنعم الحفني

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٠ هجرية
١٩٨٠ ميلادية



تقديم الكتاب

اصطلاح الفلسفة اليهودية كاصطلاح الفلسفة الاغريقية او الاسلامية يعنى أن لليهود فلسفة وفلاسفة . والفيلسوف اليهودى هو الذى يصدر عن اليهودية كعقيدة ، غير ان هناك فلاسفة من اليهود تبدو فلسفاتهم كفلسفات الامم ، وهؤلاء لم اتناولهم فى هذه الموسوعة ، وان كان يصدق عليهم قول اسحق دويتشر (١٩٠٧ — ١٩٦٧) ان « اليهودى يظل يهوديا وان ارتكب خطيئة » (محاضرة فى المؤتمر اليهودى لعام ١٩٥٨ خلال أسبوع الكتاب اليهودى) ، ويقصد بذلك أن الفيلسوف اليهودى يظل يهوديا فى تفكيره وان لم يكتب فى اليهودية ، أو أنه رغم ما يبدو من أممية فلسفته يظل يهوديا جدا على نحو ما ، او يظل فيه شىء من جوهر الحياة اليهودية والفكر اليهودى ، « فعندما يدرك الفيلسوف اليهودى ، كاسبينوزا ، التناقض بين الاله الواحد والكون ، أو الوضع الذى يظهر به ذلك الاله الواحد فى الديانة اليهودية كأنه مرتبط بشعب واحد ، وما يحمله ذلك من تناقض بين الاله كاله كونى وبينه كاله لشعب خاص ، فانه يتجاوز اليهودية الى الانسانية ، وتظل جذوره مع ذلك مشدودة الى التراث اليهودى ، وهكذا كان اسبينوزا ، فلم تكن أخلاقه هى الاخلاق اليهودية ، وانما كانت هى أخلاق الانسان بعامة ، ولم يكن الهه هو الاله اليهودى ، ولكنه كان الاله الكونى ، ومع ذلك ظل اله اسبينوزا واخلاقه يهوديين ، بمعنى أنه ظل موحدا على طريقة اليهود ، وان كان قد بسط توحيده الى نتيجته المنطقية واخضع الهه اليهودى الخاص لتفكير شامل ، وما أن يتم اخضاعه لتفكير شامل حتى يكف ذلك الاله عن ان يبدو يهوديا . وكارل ماركس رفض اليهودية ، وقال ان هدفه هو تحرير المجتمع من اليهودية ، ولكنه ظل مع ذلك امينا للتراث اليهودى، ففكرته تماثل فكرة اسبينوزا فى كونيتها وهى فكرة الاشتراكية والمجتمع اللاطبقى بلا دولة » . واذا كنت لم أتناول فلاسفة مثل ادموند هوسرل واينشتاين وجماعة فيينا ومدرسة الجشطلت برغم انهم يهود ، فذلك لانهم يكتبون فلسفات أممية واليهودية فيهم لا تكاد تبين الا انهم مع ذلك وكما قال اسحق دويتشر ظلوا يصدرون عن التراث اليهودى ،

فاينشتاين له كتاب « عن الصهيونية » (١٩٣٠) ، ووظف نظريه النسبية بطريقة ما لخدمة الصهيونية ، وكانت النسبية احد عوامل اعتراف امريكا باسرائيل حيال قيامها . وهوسرل رغم ما يبدو من تجريبيته الا ان قوله بالأنا المتعالى الخاص يكشف يهوديته ، ذلك لان هذا الأنا الخاص ليس تجريبيا ويتناقض مع مذهبه الظاهراتى ، وهو يصر عليه رغم ذلك لانه فى الحقيقة ليس سوى اله اليهود الخاص . وجماعة فينا : فريدريك وايزمان وهانز هان وكورت جودل وفتجنشتاين ورودلف كارناب واوتو نويراث وتسلزل وفيجل ويوهوس وفيلكس كاوفمان كلهم من اليهود ، وزعيمهم موريتس شليك (١٨٨٢ — ١٩٣٦) اغتيل بسبب فلسفته الوضعية المنطقية ، اللاميتافيزيقية أى المعادية للدين وللاخلاق عموما ، وقيل اغتاله طالب شديد التدين ، وباغتياله انفضت الجماعة ، وطاردت حكومات أوروبا افرادها وحظرت نشاطهم فتفرقوا فى مختلف البلدان ، وان قول شليك أن اللغة المتعارف عليها لا معنى لكثير من الفاظها ومن المتعذر التواصل بها لهو الدافع فيما بعد لمحاولات كثير من اللغويين اليهود للقضاء على الاختلافات فى الالسنة باختراع لغة عالمية تساير حدود المنطق العقلى ، وقد نجح منهم لودفيج لازاريوس زيمانهوف (١٨٥٩ — ١٩١٧) الذى كان يوقع باسم دكتور اسبرانتو أى المتفائل فاطلق على اللغة اسم الاسبرانتو لذلك ، ولم يعلن زيمانهوف عن نفسه كيهودى الا بعد أن روجت الجمعيات الثقافية اليهودية فى العالم كله للغة العالمية الجديدة ، الا أن محاولته رغم التأييد البالغ الذى حظيت به باءت بالفشل ، فقد تبين لانصار الاسبرانتو « أنه قد يكون من اليسير ان يتحدث بها الروسى مع الامريكى فى أمور السياحة والطعام والشراب والملابس ، فاذا تطرقا فى مسائل الدين أو الفلسفة لم تكد تلك اللغة تحقق الهدف من الحديث » (دكتور ابراهيم أنيس « اللغة بين القومية والعالمية ») ، واذن يتضح الهدف من الاسبرانتو : ان تكون لغة لا يتطرق المتحدثون بها الى موضوعات الدين أو الفلسفة ، ولم يكن بالمستغرب لذلك ان يعلن شليك هذا ان الدين والفلسفة قد ماتا ، وأن تقوم الماركسية والفرويدية كايديولوجيتين معاصرتين يمكن أن تحلا محل الدين ، والمطالع للموسوعة سيجد إن الماركسية والفرويدية تستقيان من نبع التراث اليهودى ومن المحاولات اليهودية الدائبة لتقويض المسيحية والاسلام كديانتين وحضارتين ، ولسوف نقرأ عن محاولات شبتاى تسفى لتقويض الاسلام من الداخل بادعاء الاسلام ، ومحاولات يعقوب فرانك لتقويض المسيحية بادعاء النصرانية ، وهنا قد يجرنا الكلام الى الخوض فيما اشتهر

فى التاريخ باسم توصيات او برتوكولات حكماء صهيون ، وقد تنصلت اليهودية العالمية من الكتاب واقيمت الدعاوى فى المحاكم ضد الناشرين بهدف دحض نسبة البروتوكولات الى اليهود ، الا ان ما نوهنا به يتناقض مع هذا الزعم ، فالبروتوكولات تعبير واضح عن كل ما أسلفنا ، وهدفها ضرب العقائد لتعلو عقيدة اليهود ، وعلمنة كل الحكومات حتى تسود الحضارة الوحيدة التى يمكن ان تنعقد لها الغلبة فى المجتمعات العلمانية، وهى الحضارة اليهودية التى يصفها ماركس بحق بأنها « حضارة السوق أو عقيدة التاجر » ، ويزيد فيقول « ان اله اليهود اله علمانى ، وهم يعبدون المال ونصبوه الها ، والمتاجرة هى ديانتهم الحقيقية ، وبجانب المال لم يعد يعيش بينهم اله آخر (كارل ماركس : المسألة اليهودية). وليس ادعى الى تصديق أن البروتوكولات من تأليف اليهود من دعوة فيلسوفهم يوسف بوبر (١٩١٢) ، فهو يريد حضارة خالية من الدين ، والمجتمع الامثل عنده مجتمع مادى يسعى لتوفير الضروريات لافراده ، وكتابه « اهمية توفير الغذاء » اراد به ان ينبه الى ضرورة نقل الاهتمام من التربية الدينية او الروحية الى نوع من التربية يتحقق به للمجتمعات تدريب الناس على ان يكونوا عمالا فى جيش هائل يسميه جيش توفير الغذاء ، ودعوته هى نفسها التوصيتان الرابعة والسادسة من البروتوكولات ، ولم يكن غريبا اذن ان يضم الحزب الشيوعى المشرف على عملية تحويل المجتمع فى الروسيا الى عمال ٣٠٪ من لجنته المركزية من اليهود : تروتسكى وليتفينوف وليادوف وشكلوفسكى وسولتز وجوسيف وزينوفييف وكامينيف وروزاليا زاماليا شكا وهيلينا روزميرونفتش وياروسلافسكى وسيرافيما جوبنر وسوكولينكوف وبياتنسكى وسفردلوف وفلاديميروف وزالوتسكى ولوزفسكى وياكلوفليف وكاجانوفتش وشفارتسمان وريماشتاين وأوريتسكى وفولودايسكى وستكلوف ورودلف جوفه وروزانوف ولارين وراديك ، وأن يشكل اليهود نسبة تتراوح بين ٢٢٪ الى ٢٦٪ من الاعضاء فى الشيوعية الدولية ، غير ان هؤلاء جميعا كان عملهم تنظيميا ودعائيا اكثر منه تنظيريا . ولسوف نلحظ أن هذه السمة عامة فى اليهود عبر كل تاريخهم ، حتى لقد قيل ان المذاهب اليهودية قد قامت فى الاساس لتكمل اليهودية التى كان اوهى ما فيها التنظير ، وقيل ان الاسلام كان ابرز ما فيه هذا التنظير الذى افتقدته اليهودية ، وأنه لذلك كمالها . ولسوف نقرأ ان الفلسفة اليهودية لم تقم الا بتأثير الفلسفة الاسلامية ، فكانت رسائل اخوان الصفا هى الارضية التى بنى عليها يوسف بن صديق وسليمان بن جبريل وموسى بن عزرا

وابن فلقرى وكالونيموس بن كالونيموس فلسفاتهم ، وعلى فلسفة الغزالى تتلمذ الميمونى ويهوذا اللاوى واسحق البلج وموسى الناربونى وابرهيم بن مسلم ، وطبعت الصوفية الاسلامية الاتجاهات المشابهة عند اليهود ، وان كانت اليهودية تعادى الصوفية أصلا ، ولم ترج الصوفية لدى اليهود لان النسك ضد التهود اصلا ، وكان للقرآن تأثير هائل على القبالة والحصيدية والشباتية وعلى مصطلحاتها ، وأثرت الصوفية التركية على طقوس الشباتية والحصيدية ، والصوفية الاندلسية على القبالة الاندلسية . وحاول اليهود التنصل من هذا التأثير برد الباطنية اليهودية الى عصور قبل اسلامية ، ولكن الدراسات المعاصرة تنفى ذلك وتجزم على التأثير الاسلامى الذى حمله باهى بن باقوده وابراهيم بن موسى بن ميمون ويوسف بن عقنين ، كما حمل سعدى الفيومى وداود بن مروان المقمص وشموئيل بن حفنى وحيى ونسيم ابن يعقوب القيروانى وباهى بن باقوده ويوسف بن صديق والميمونى ويوسف ابن ابراهيم البصير وتلميذه يشوع بن يهوذا وهارون بن اليسع تأثير علم الكلام عند المسلمين وكانوا على مذهب المعتزلة . وعرف اليهود الفلسفة العقلية من خلال احتكاكهم المباشر بالمسلمين عن طريق فلاسفتهم الذين تربوا فى ظل الثقافة الاسلامية كموسى بن ميمون وباهى بن باقوده ، او من خلال ترجمات المترجمين اليهود كالحريزى وكالونيموس وابن طبون وفلقارى والناربونى وقريشقش ، وقد ترجموا ابن باجة وظل تأثيره فيهم حتى القرن السادس عشر ، وابن رشد ويأتى عندهم بعد الميمونى ويصفونه بالحبر الاعظم ، والميمونى نفسه من الرشديين ، وكذلك كان ابن جرشوم وموسى الناربونى وابن فلقارى والبنبينى وسليمان الكاهن ابن ماتقة والقصبى وهليل بن شموئيل الفيرونى وهارون بن اليسع القراء ويهوذا اللبونى وعبادى صفورنو وشمعون دوران وقريشقش وابراهيم سلام ويوسف شمطوب وابنه شمطوب وموسى فلقارى وميخائيل الكاهن وديلميدجو واسحق أبرابانيل وابراهيم بباجو ، وترجموا كذلك ابن سينا وكان الميمونى من المتلقين عنه واستخدم برهانه المشهور فى اثبات وجود الله المعروف ببرهان واجب الوجود وقوله بالسلوب وتفريقه بين الممكن والضرورى وبين الماهية والوجود ونظريته فى النبوة . وكذلك كان ابراهيم بن داود من التابعين لابن سينا وخاصة نظريته فى النفس وبرهانه على أنه لا يجوز أن يكون اثنان واجبى الوجود ، وصوره يهوذا اللاوى فى كتابه الخرزى بوصفه المتحدث باسم ارسطو ، واخذ ابراهيم ابن عزير وابن جرشوم قوله بأن معرفة الله هى بالكليات دون غيرها ،

وان مشيئته تنهض بها العقول المفارقة . ونقل ابن فلقارى من كتابه النجاة الفصل الثامن عشر من كتابه سفر النفس ، وكذلك نقل عنه هليل ابن شموئيل الفيرونى اثبات ان النفس لا تموت بموت البدن ولا تقبل الفساد ، ونقل دوران نظريته فى الحواس الباطنة . وكان للفارابى تأثير غير منازع على الميمونى حتى انه نقل عنه نظريته فى الحكم والملة الفاضلة والنبوة والعناية والخلق والعقل ، وترجم له فصولا كاملة . وقبسوا من الرازى وابن السيد والكندى والسهروردى . وكان اليهود يؤثرون الكتابة باللغة العربية لانها كانت تسعفهم فى مسائل الدين والفلسفة ، ولعجز كامن فى اللغة العبرية يستحيل معه استخدامها كوعاء حضارى . ونهلوا من المصطلحات الاسلامية فى الفقه فكانت لهم « فتاوى » كفتاوى المسلمين وصاغوها صياغتهم ، وكانت لمشرعيهم « اجتهادات » ، وقامت منهم فرقة تدعو الى « الاتباع » ، ولكنهم لم يستطيعوا ابدا ان تكون لهم علومهم كعلوم التوحيد والفقه والحديث والقرآن . ونهضوا بعبء الترجمة ابتداء من القرن الثانى عشر ، فترجموا فى أول الامر المؤلفات اليهودية العربية لابن باقوده مثل فرائض القلوب وابن ميمون كدلالة الحائرين ، وكتاب الحدود والرسوم لاسحق اسرائيلى ، وكتاب الاسطقسات لحسداى ، وكتاب الامانات والاعتقادات لسعدى الفيومى ، و « اصلاح الاخلاق » و « العالم الصغير » لابن جبريل ، وكتاب الحجة والدليل ليهوذا اللاوى ، والعقيدة الرفيعة لابراهيم بن داود ، و « المحاضرة والمذاكرة » و « المعنى والمجاز والحقيقة » لموسى بن عزير ، ومقالة فى صناعة المنطق ليهوذا الحريزى ، وانكشاف الاسرار وظهور الانوار ليهوذا بن عقنين ، و « المحتوى » و « كتاب التمييز » ليوسف البصير . ووصف يهوذا بن طبون اللغة العربية بانها اثرى لغات الارض واصلحها لكل المقالات والمقامات ، وهى لغة الشعر التى لا ترقى عليها لغة اخرى ، ولغة الفلسفة التى تنفذ الى صميم الموضوعات فتوضح الغامض وتبسط الدقيق على عكس العبرية . وترجموا المؤلفات الاسلامية كمقاصد الفلاسفة وتهافت الفلاسفة ومعيار العلم وميزان العمل ومشكاة الانوار للغزالى ، وتفسير ما بعد الطبيعة وتهافت التهافت وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال والكليات لابن رشد ، ورسالة الوداع وتدبير الموحد لابن باجه ، والعبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون ، والشفاء والنجاة والاشارات والتنبيهات وتسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات والقانون لابن سينا ، ورسالة فى النفس وحى بن يقظان لابن طفيل ، واحصاء العلوم ورسالة فى معانى العقل وآراء اهل المدينة

الفاضلة والجمع بين رايى الحكيمين افلاطون الالهى وارسطو للفارابى ورسائل اخوان الصفا ، وغير ذلك كثير فى الطب والرياضيات واللغة والفقه والادب . ومن ابرز مترجميهم ابن العبرى (١٢٢٦ — ١٢٨٦) فقد نقل الاشارات والتنبيهات والقانون لابن سينا ، وزبدة الاسرار للابهرى ، والموجزة فى الادوية المفردة للغافقى . وقد وجد فلاسفتهم ومترجموهم المفردات فى العربية تربو على الثمانين الفا ، بينما هى فى العبرية لا تزيد على الستة آلاف ، ومع ذلك فان من المستشرقين اليهود فريقا زعم ان العبرية اصل العربية ، وهو قول يشبه دعوى لديهم أن التوراة اصل الفلسفة الاغريقية ، لكن يبطل هذا الزعم قول فريق آخر ان اللغة الام لابد ان تكون كالنهر ، ومنه تخرج الروافد او تصب فيه ، وما دامت العربية هى الاثرى فلابد انها الام ، ويؤيد هذا القول ان العبرانيين المتحدثين بالعبرية كانوا قبائل من البدو يرتحلون سعيا وراء الكلأ والماء ، وليس معنى العبرانيين انهم القوم الذين عبروا الفرات او الاردن ، فهذا ادعاء الاحبار كما يقول الدكتور اسرائيل ولفنسون فى كتابه « اللغات السامية » ، فالناس تعبر كل يوم هذين النهرين ولا يسمون بالعبرانيين ، ولكنهم عبرانيون بمعنى قبائل رحل ، وفى اللغة العربية يقول الناس فى الكويت مثلا عن السيارة الاجرة (التاكسى) انها عبرية اى جائلة او جوابة ، وهكذا كان العبرانيون ، والاقرب الى العقل كما يقول ولفنسون ورهط كبير من المستشرقين ان اللغة السامية الام كانت لغة سكان شبه الجزيرة العربية ، وان العبرانيين ارتحلوا منها الى العراق ثم الى فلسطين حاملين لهجتهم،ولكنهم اعتزلوا غيرهم ، فانغلقت لهجتهم وجمدت ، واذن فالعربية هى أصل العبرية ، او ان العربية هى اقرب اللهجات الى اللغة السامية الام ، لانها أثرى اللغات السامية قاطبة . ويقول اسرائيل ولفنسون ان الكشوف تثبت تهافت دعوى التوراة التى تقول ان ارض بابل هى مهد اللغة السامية الام ، وفيها بلبل الله الالسنة فاختلفت ، والذى يمكن الجزم به هو ان اكثر الحركات والهجرات عند اغلب الامم السامية التى علمنا اخبارها واسماءها كانت من نزوح جموع سامية من ارض الجزيرة الى البلدان المعمورة الدانية والقاصية فى عصور مختلفة ، فأقدم هجرة سامية اتجهت نحو بابل كانت من ناحية الجزيرة ، وقد اسست تلك الجموع ملكا عظيما فى منطقة الفرات كان لها من الحول والطول حظ وافر فى عصور شتى . وكذلك هاجرت البطون الكنعانية والآرامية تاركة بلاد العرب ، وكان لحوادثها اثر عظيم فى حياة العالم القديم ، ثم كانت الهجرة الاسرائيلية التى فتحت

بلاد فلسطين بعد ان صدرت من الجزيرة العربية ، وكان هذا الفتح سببا لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الاثر فى التاريخ العام . ولم تتوقف هذه الهجرات العربية عند العراق وسوريا وفلسطين بل جاوزتها الى مصر ايضا فقد توغلت قبائل سامية من ناحية الجزيرة فى بلاد النيل وبسطت سلطانها على مصر وكونت فى تاريخها الاسر الحاكمة المعروفة بالهكسوس . وكذلك كانت الهجرة العربية بعد ظهور الاسلام الى جميع اطراف العالم القديم آخر موجة سامية عظيمة غمرت وجه الارض وهزت العالم بأسره وكان من نتيجتها ان تغيرت احوال امم كثيرة فى آسيا وافريقيا واوروبا وانقلبت فيها كل جوانب الحياة السياسية والدينية والاجتماعية والعمرانية ، بل لا تزال الهجرة من الصحراء الى البلدان الدانية والنائية مستمرة بأخطارها الشديدة وعواقبها العظيمة فالتاريخ دائما يعيد نفسه ، ولا بد ان الامم السامية قد تأثرت بلغات الجزيرة العربية ، ويقول اولسهوزن فى كتابه « اللغة العبرية ان العربية هى اقرب لغات السامية الى اللغة السامية القديمة » . واذن فلا مجال للشك أن العبرية لهجة عربية ولكنها لهجة لم يقيض لها الانتشار والتطور ، وهناك ادلة على أن اللغة العبرية تتضمن صورا وصيغا قديمة جدا كما فى الآرامية ، فى حين ان ما احتفظت به العربية من القديم لم يسلم من التغيير بل فيه شيء كثير يدل على انه تقلب فى اطوار مختلفة، وانا لنجد العربية اغنى فى حروفها من العبرية حيث لا اثر للحروف ذ غ ظ ض , فى العبرية ، ويبدو انها كانت موجودة فى السابق فى هذه اللغة ثم فقدت بالتدريج لعدم استعمالها وهو ما نرجعه فى مجال اللغات الى جمودها . وانا لنلحظ ان هذا الجمود سمة اصلية فى التفكير اليهودى بعامة لانه تفكير مجتمع مغلق يرمزون اليه بالجيتو . ولسوف نرى ان اليهود كانوا دائما مترجمين وناقلين ، ولقد اخذوا الفلسفة الاسلامية فلم يطوروها ، ولم يطوروا الفلسفة الاغريقية ولا الفلسفات الاوروبية الحديثة وكانوا دائما ماديين ، وقد انكر كنط Kant لهذا السبب ان تكون لليهود اتجاهات روحانية وقال انهم معنيون بالماديات ، والاخلاق عندهم اوامر صادرة من سيد الى مسود ، وديانتهم لا مكان فيها للخلود ، ولم يعتبرها ديانة ووصفها بأنها عقيدة سياسية قومية ، ووصف المسيحانية التى تمتزج بها بأنها طموح قومى الى حياة افضل لشعب يعيش فى الشتات أو المنفى . ولم ينكر اليهود على كنط مقالته ، ويتعجب البعض لذلك عن سبب مشايعة كثير من مفكريهم للكنطية من امثال موسى مندلسون وماركوس هيرتز ولازاروس بن داود وسليمان ميمون وهيرمان كوهن

وارنست كاسيرر وموريتس لازاروس وسليمان فورمستشر وسليمان شتينهايم وفرانز رونزفايج ، وربما كان السبب هو ان اليهود دائما يلتصقون بالمذاهب الجديدة ويحاولون تفسير اليهودية فى ضوئها وقد راوا فى ربط كنط الاخلاق بالدين ، وقوله بالواجب وهو مقولة دينية وليس بالسعادة او بالخير وهما مقولتان فلسفتان اغريقيتان ، عودة الى التوراة ، ومن ثم قامت الاستنارة اليهودية التى عرفت باسم اليهودية الليبرالية على محاولة صياغة اليهودية نفس الصياغة الكنطية ، بجعلها ديانة مقبولة عقليا وعالميا . رحاول الهيجليون من اليهود نفس المحاولة، وكانوا مجموعة من الاصلاحيين والصهاينة ، منهم شمشون رافاييل هيرش وشموئيل هيرش وموسى هيس ، وقد دفعهم الى تبنى الهيجلية ان صاحبها اضفى بعدا دينيا على التاريخ ولكنه انتقد اليهودية بوصفها ديانة باعدت بين الله والانسان بأن جعلت الله فوق الانسان وبذا يستحيل التواصل بين الانسان والله وتتحول المحبة بينهما الى عبودية يزكيها الخوف من الله غير الانسان ، وتكون الطاعة هى معيار الايمان ، والثواب هو جزاؤها ، وبذلك تكون اليهودية ديانة عبيد وعصاة ، الاخلاق فيها زواجر ونواه . وقد يقول قائل ان كنط وهيجل وغيرهما هم من أعداء السامية ، هذا المصطلح الذى أطلقه وليام مار Marr (١٨١٨–١٩٠٤) الذى اشتهر بتأسيسه لعصبة المعادين للسامية (١٨٧٩) ولكن ما الذى يدفع أيا من كنط وهيجل أن يهاجم اليهودية رغم ان كنط وهيجل كانا اثيرين لدى اليهود من معاصريهما ومن غير معاصريهما، ان لم يكن لما عايناه فيها من اعراض وظواهر تستدعى النقد الذى حدا بفولتير أن يعنف فى نقدها حتى اعتبر نقده اساسا لكل نقد لاحق معاد للسامية . ولنلاحظ ان نقد فولتير غير اليهودى لم يكن يختلف كثيرا عن نقد سبينوزا اليهودى لليهودية ، أو نقد سموال بن عباس المغربى (نحو ١٢٢٥ – ١١٧٥) الذى اسلم ونشر كتابه « افحام اليهود » . وقد يكون من المفيد ان نقارن بين كتاب السموائل ونقد سبينوزا وفولتير ، وانا لنجد المفكر اليهودى الذى تربى فى دائرة الثقافة الاسلامية أكثر دراية بالتوراة وبالتراث ، وهو يبنى فلسفته النقدية فى اليهودية على العقل وحده ولم ير فيما خطه عزير أو عزرا من كتب التوراة المقدسة الا تحريفا بالغلط يباعد بينها وأن تكون كتبا منزلة من لدن الله ، ومن ثم راح يبرهن على تعمد هذا التحريف بما جاء فى التلمود من خبط وترهات تتناقض مع بعضها ومع التوراة ، ولعل ما اورده السموال فيه كثير مما ذكره ابن حزم الاندلسى (المتوفى سنة ٤٥٦ هـ) فى كتابه « الفصل فى الملل والاهواء » من اوجه النقد التى

نشلت الموسوعة اليهودية الكبرى فى اجمالها عنه فى باب المجادلات الدينية بين اليهود وغيرهم مع أن ما طرحه ابن حزم يعد اقوى ما كتب من نقد للتوراة تاريخيا واخلاقيا ، ولا ريب ان سبينوزا قد استلهم فى مقالته « رسالة فى اللاهوت والسياسة » كتاب ابن حزم الآنف ، وان هذا الكتاب ليعتبر بحق اساس ما اصطلح عليه باسم النقد التاريخى الكتب المقدسة ، وكان ملهما للسموال ولكثير من اليهود من بعد . وقد كان لهذا النقد الذى أخذوا به انفسهم عن المسلمين ضحايا منهم ، كأوريل داكوستا (١٥٨٥ — ١٦٤٠) وقد كان داكوستا من اصول تربت فى الثقافة العربية واعتنقت الاسلام لفترة من باب ما يسمى بالتقية ، وقد انكر داكوستا أن تكون هذه التوراة كتابا سماويا ، وان تكون الشريعة التى استنها اليهود الهاما الهيا ، فاضطهدوه لذلك ولم يجد مفرا من الانتحار . ويرصد اليهود كتاب ماركس « المسألة اليهودية » كأقسى ما يمكن أن يصدر عن يهودى من نقد لليهودية ، ومع ذلك فان هذا الكتاب نفسه لم يمنع ميخائيل باكونين (١٨٦٩) فيلسوف الفوضوية ان يصف ماركس بالانتهازية وأن يكشف عن انتهازية اليهود بعامة وينبه الى قوتهم المتنامية فى التجمعات السياسية والاقتصادية الدولية وهيمنتهم على دور النشر ووكالات الانباء والمصارف ، وانها لظاهرة تلفت النظر تلك التى ينبه اليها باكونين ، ويجدر الربط بينها وبين التوصية الثانية عشرة من برتوكولات حكماء صهيون الشهيرة ، وقد جاء فى منشور كريميو الذى تضمنه البروتوكول الملحق لسنة ١٨٦٠ « ان كل اليهود للواحد ، والواحد للكل » ، واننا لنقرا مثلا ان منكوفسكى عالم النفس الوجودى لم يتعرض فى تاريخ الفلسفة الا لفلسفتى برجسون وهوسرل اليهوديين، وان جماعة الجشطلت من اليهود جميعهم الا واحدا ، وان اعضاء مدرسة التحليل النفسى كانوا سبعة من اليهود الا جونز ، وان جماعة فيينا كانوا جميعا اثنى عشر يهوديا ، ولنلاحظ أن الاعداد هى دائما ثلاثة ، وسبعة او اثنا عشر ، ولليهود فلسفة للاعداد سنجدها مطروحة عند دراستنا لليهودية . واليهودية كديانة كتابية قيل انها توحيدية ، وفى كليات ابى البقاء الدين لله والملة للنبى والمذهب للمجتهد ، والدين فى الديانات الكتابية الثلاث هو الاسلام بمعنى الايمان بالله الواحد ، فلا يجوز من ثم أن نقول الديانة اليهودية ولكن نقول ملة موسى ، ونقول ايضا ملة اليهود وشريعة اليهود . وتطلق اليهودية اصلا على جنسية شعب مملكة يهوذا التى آل اليها ملك سليمان ، وتطلق تجوزا بعد النفى الى بابل على ملة اليهود . وقد قيل الاسلام يقوم على اليهودية ويأخذ منها ، وهو قول الربانيين ،

والبر فى الاسلام هو الايمان بالله والنبيين ، وابراهيم هو ابو الانبياء بلا منازع ، ودعوته هى الحنيفية ، والاسلام المحمدى عودة بالاديان الى هذه الحنيفية او الى الفطرة ، وما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكنه كان اول المسلمين اى المؤمنين بالله الواحد الاحد ، واليهودية بها كل ذلك ولكنه لا يبين وليست له اسماء ، والاسلام هو كمال اليهودية لانه الذى يعطى لديانة ابراهيم اسمها واوصافها . ويوصف الصلاة والصيام والحج ، ولا شك ان شعائره كشعائر اليهودية ، وهى نفسها شعائر كل الاديان والملل منذ ان عرف الانسان الله سواء فى الشرق او فى الغرب، ولكن كمال الشعائر لا يكون الا فى الاسلام المحمدى . وكذلك كانت لكل الديانات صحائف . وكمال هذه الصحائف هو القرآن . والفارق كبير بين طقوس الاسلام المحمدى ونظائرها فى اليهودية ، فشتان مثلا بين الصلاة هنا والصلاة هناك . وحتى ما يطرحه الاسلام من قصص الانبياء لا يتشابه منه شكلا ولا موضوعا ما يذكره القرآن وما يرويه التوراة ، وشتان بين قصة داود او سليمان مثلا فى القرآن وقصتهما فى التوراة ، وأما التوحيد فالقرآن حافل بآياته وبراهينه . ولا توجد منه فى التوراة الا آية واحدة فى سفر التكوين تحتمل التوحيد المعروف وغيره مما سنذكره فيما بعد . ولسوف نرى انه كلما احتك اليهود بغيرهم من الامم اخذوا عنهم ونسبوا ما اخذوه لانفسهم . فقالوا عن الههم انه ادوناى الذى هو أدونيس السورى وأتون المصرى . وقالوا عنه أنه بعل وايل السوريان . وانفردوا بالقول انه « يهوه » . وقد يقال انهم لم يتلقوا هذا الاسم عن غيرهم . لكنا نرى عكس ذلك . لان يهوه او ياهو نجده فى ادبنا الشعبى . فكلما حزبنا أمر قد يقول القائل منا « ياهو » . وقد يكون اصل « ياهو » هذه مولدا عاميا . ونحن نقول « هو الله » ، ونقول « يا الله » . ومحتمل أن يكون قد استغنى بالضمير عن اسم الجلالة بحيث صار الاصطلاح « يا هو » . واستبعد ان يكون قد انتقل الينا من اليهود . ذلك لانهم اصلا يحرمون النطق باسم ياهو أو يهوه فكيف يمكن ان ينتقل منهم الينا ويتغلغل فى طرائق التعبير عندنا حتى يكون من ادبنا الشعبى ! والراى عندى أن يا هو او يهوه هذه لفظة سامية ، وبما أن العربية اقدم من العبرية فاللفظة منها . وهى دليل اكبر على قدم العربية . لكون اللفظة من الادب الشعبى العربى دون اليهودية ، وقد حاول اليهود ان يجدوا لها معنى فى العبرية فقالوا انها بمعنى الموجود او الكائن . ولكنه تخريج لا يدل على شىء لان كون الله موجودا فقط لا يعنى شيئا . وشبيه بذلك قولهم ان اسم النبى موسى « موشيه » بالعبرية

يعنى لقيط المـــاء ، مع ان ابنة فرعون او امراته التى عثرت على الطفل لم تكن تعرف العبرية . وموسى Moses اسم يكثر بين المصريين القدامى ويعنى « عبدا » . فكانوا يقولون رع موسى او رعمسيس او رمسيس اى عبد الاله رع كما نقول نحن عبد الله . وتوت موسى او تحتمس اى عبد الاله توت . وقد عرف عن اليهود محاولتهم الدائبة لجعـــل تراثهم يخلص لليهودية حتى ولو كان ذلك ضد الحقيقة التاريخية والعلميـــة . ولقد كان قولهم بالتوحيد ومباهاتهم الامم بانهم موحدون ضد هذه الحقيقة التاريخية والعلمية . فالتوحيد لم يعرفوه الا عن طريق المسلمين . بدليل ان كتبه عندهم لا تذكر . فى حين أنه علم قائم فى الاســـلام . ولســـوف يحاول اليهود ان يقيموا فلسفات وصفوها بانها تتحدث عن الله الواحد . لكننا سنجد ان الواحدية فيها ظاهرية . وانها قالت بثلاثة آلهـــة فى اله واحد . فأقرت بالله رب العالمين . وقالت بالله خاصة اليهود . وانه قـــد فاض عن رب العالمين بوصفه المبدأ الاول واله اليهود المبدأ الثـــانى ، ووظفت هذا الاله الثانى فى خدمة اليهود فهو يغضب لغضبهم ويفرح لفرحهم . وارتبط بشعب اسرائيل وبارض الميعاد برباط ازلى يجعل من هذا الشعب وتلك الارض شعبا وأرضا مقدسين . أى ان هذه الفلسفات حلولية تقول بأن الله قد حل فى الشعب والارض فجعلهما مقدسين . وهـــذا الحلول أو الحضور دن الشعب والارض معا تسميه الشخيناه . والشــــخيناه هى الاقنوم الثالث لثلاثية الله عند اليهود . وقد قيل ان المذاهب اليهـــــودية قامت فى الاساس لتكتمل بها اليهودية ازاء الاسلام . ولكنا نرى ان هذه المذاهب بدلا من ان تكمل اليهودية كمال الاسلام باعدت بينها وبين الكمال فتدنت اليهودية بها وصارت سفسطات . ومن ناحية اخـــــرى كانت لليهودية تاثيرات سيئة على بعض المسلمين . فقد نقل اليهود خلافاتهم المذهبية الى المسلمين حتى فى أيام الرسول . وكانوا عوامل فرقة وفتنة فى الاسلام . ويذكر التاريخ أن أولى الفرق الاسلامية وهى السبئية اقامها عبد الله بن سبأ اليهودى . وأن نثانيل الفيومى وهو يهودى مصرى (توفى سنة ١١٦٥) قد كتب « بستان العقول » يرد فيه المذهب الاســـماعيلى عند الشيعة الى اليهودية ويصف الاسماعيلية بأنهم فرقة يهودية . وفى العصر الحديث تلقى اليهود دعوة الباب ميرزا على محمـــد الشـــيرازى (١٨٦٠) « الباب الذى أشرقت منه على العالم الرغبة المعصومة للامام المستور المصدر الاعلى لكل حقيقة وهداية » وشقوا شرخا من شيراز فى اعماق الشرق الاسلامى الآسيوى الى جبل الكرمل ومنه الى تل أبيب ، فكان الحلف بينهم وبين بهاء الله خليفته الذى تنبأ ونشر رسالته فى « الكتاب

الاقدس » وزعم فيه ان الوحى القى اليه هذا اللوح الذى هو كتاب الله المحفوظ منذ الازل ، وبتوجيه من رءوس اليهود تطورت الدعوة من فرقة بابية الى ديانة بهائية ناسخة للاسلام ، بدعوى ان الشريعة الاسلامية قد انقضى عهدها انقضاء تاما وبطل مفعـــول احكامها ، وكانت المؤازرة المستمرة للبهائية من جانب اليهود والسعى الدائب لنشرها فى الدنيـــا بأموالهم فيما تقول الوثائق ، وأسسوا لهم معبد الاذكار الاشقباذية فى بلدة اشقباذ من تركستان الروسية قرب حدود فارس ليقيموا فيه شعائر دينهم احرارا آمنين من اضطهاد الدولة الفارسية الاسلامية ، وحملوها الى امريكا فرسخوها هناك وجمعوا لها التبرعات لاقامة اكبر معبد لهم فى شيكاغو ، وتظاهرت يهوديات امريكيات باعتناق الدين البهائى وسعين حاجات الى مقر النبى الفارسى فى جبل الكرمل لتلتقطن من فيه حـــكم الهداية الموحى بها اليه ويعملن على نشرها فى وطنهن الغربى ، وانبث مستشرقوهم فى المحافل الدولية ومؤتمرات الاديان يقدمون بحـــوثهم عن الديانة الجديدة ، ودارت مطابعهم تنشر الكتاب الاقدس وسائر نصوص البهائية وتعاليمها ، ونشروا معها نحو ثمانين كتابا لمستشرقى اليهود فى الدين البهائى ، وعكف الاحبار على اسفار التوراة يتأولون ما فيهـــا من البشائر بالنبى المنتظر الذى يبعث فى القرن التاسع عشر لميلاد المسيح عليه السلام ، وهو العدد المقدس عند البهائية ، وادعى بهاء الله بدوره ان الوحى اصطفاه للتنبؤ بتطهير بيت المقدس وامره بتبليغ بشرى عودتها الى شعب الله المختار ، واذ كانت فلسطين وقتئذ داخلة فى دولة الخلافة الاسلامية العثمانية فقد تقرر القضاء على هذه الدولة بكل ما تمثله دينا وتاريخا ، وادعى بهاء الله انه تلقى فى كتابه الاقدس ســـورة الملوك ، وجهت اقسى الوعيد والنذير لسلطان تركيا . وتأول اليهود مقابل ذلك من حروف القرآن نفسه ما يزيد افتتان البهائيين بالعدد تسعة عشر ، وذهبوا الى ان كل آية فى التوراة تشيد بمجد يهوه تعنى ظهور مخلص العالم فى شخص بهاء الله ، كما نسبوا جزءا كبـــيرا من الاشـــــارات والتلميحات التى فى الاسفار الى جبل الكرمل ، وفسروا رؤى ســــفر دانيال بأنها تنبىء بقيام الحركة التى اوجدها « الباب » ، واولوا وقت حدوثها ، فالثلاثمائة والالفان من الايام التى يرد ذكرها فى هـــذا السفر قالوا هى فى الحقيقة ثلاثمائة والفان من السنين ، وبعد انقضائها « يثير القدس » اى يتطهر المعبد ، وهى تنتهى تبعا لتقديراتهم ســـنة ١٨٤٤ المسيحية ، وهى السنة التى ظهر فيها ميرزا على محمد واوحى اليه انه « الباب » الذى حل فيه العقل الكلى فى الدور الجديد لتجليه ، وادعوا

ان عباس عبد البهاء الذى خلف بهاء الله هو المقصود بالامارة وسائر الإلقاب الفاخرة العجيبة فى الاصحاح التاسع من سفر اشعيا « لانه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسما عجيبا مشيرا اليه قديرا أبديا رئيس السلام » ، واذن تكون البهائية مذهبا فى المسيحانية اليهودية كالشباتية والفرنكية والحصيدية والصهيونية ، ولا تختلف كثيرا عن الماسونية التى هى بالقطع حركة باطنية يهودية ، ونعلم يهوديتها من كونها ديانة طبيعية deism تقول باله دون رسل او انبياء بدعوى أن الله يمكن ادراكه بالفطرة أو بالعقل ، وكانت هذه هى دعوى اليهود فى كل تاريخهم المعاصر . والماسونية تتوجه بدعوتها لكل مؤمن بوجود الله ، وتتملق كل الطوائف بالاخذ من كل الاديان حتى الدرزية والديونيسية ، ولكنها فى الوقت الذى تضم اليها اعضاء من كل الاجناس والملل تحظر ان يكون من بين اعضائها يهود ، والسبب ان الماسونية كالبهائية تهدف كما يقول منشور كليمنت الثانى عشر (١٧٣٨) الذى يحرم نشاطها ، الى تقويض المسيحية وكل الاديان من داخل مجتمعاتها حتى لا تبقى الا ديانة واحدة هى اليهودية يرتبط بها مصير اليهود بوصفهم الشعب الذى اختاره الله واصطفاه لهذه الديانة دون سواها ، وهذا الهدف نفسه هو التوصية الرابعة عشرة من البروتوكولات الشهيرة : « تقويض كل أشكال الاعتقادات الاخرى حتى لو ادى الامر الى انكار وجود الله اصلا فان ذلك لن يكون الا لفترة مرحلية يسهل بعدها الدعوة لديانة موسى واخضاع الناس لحكم اليهود من خلالها ، ومن ثم لا يجوز أن يكون اليهود من بين الماسونيين الا احبارا لها اى رؤساء » ، ومن المعروف أن الماسونية حركة سرية لا يعلم عن مجالسها شيء وقد حارت فى تعريفها كل الموسوعات البريطانية والامريكية والالمانية والايطالية والفرنسية والروسية ، وقد ذكروا أن من بين رؤسائها أدولف كريميو صاحب البروتوكول المسمى ببروتوكول سنة ١٨٦٠ الذى يدعو اليهود الى التمسك بيهوديتهم كديانة وقومية ، وان تكون ديانتهم الوحيدة هى وحدها ديانة الآباء ، وان لا يتخذوا اولياء لهم من بين المسيحيين او المسلمين ، وان يفيدوا من كل الظروف فلم يعد بعيدا اليوم الذى تتحقق فيه نبوءات كتبهم وان يسود اليهود ويعود اسرائيل الى ارض الميعاد ليحكم شعب الله المختار العالم كما هى مشيئة رب اليهود . وليس ثمة من دليل على صحة نسبة البروتوكولات الى اليهود من انها قد صيغت بنفس الطريقة التى كتبت بها كتبهم الكبرى التلمود والزهار والبهار وسفر الخلق (ياتسيرا) وهى الكتب التى اثرت على تفكيرهم وشكلته

خلال كل العصور ، ولا اختلاف يذكر بين كتاب البروتوكولات وبين هذه الكتب الآنفة فالروح التى تسودها جميعا واحدة ، وهى الروح التى حملت ابن ميمون اكبر فلاسفتهم يكتب كتابه الاشهر « دلالة الحائرين » بالعربية ولكن بحروف عبرية حتى لا يقرا كتابه غير اليهود . والماسونية التى تتحدث عنها البروتوكولات لاكبر دليل على صدق نسبتها اليهم ، وليس هناك من برهان على يهودية الماسونية من توجهها اليهودى او روحها اليهودية ، فالقبلة الماسونية هى هيكل سليمان ببيت المقدس ، والمعبد الماسونى قد اقيم على غرار هذا الهيكل ، والطقوس الماسونية هى نفسها الطقوس الاسرائيلية الاولى قبل ان تتطور الى اليهودية المعاصرة ، وشارة الماسونيين هى رسم ليعقوب يهوذا ليون (١٦٠٣ — ١٦٧٥) صنعه خصيصا للماسونية ، وهو صورة لما كان عليه الهيكل وتابوت العهد ، واسم الماسونى أى البناء نسبة النبى سليمان باعتباره البناء الاكبر . وقد كان الايمان بالله شرط العضوية الماسونية او كما يسمونها الاخوة ، ثم اسقط هذا الشرط مع المد الالحادى الذى اجتاح المثقفين بعد الحرب العالمية الثانية واستقرار الشيوعية الدولية ، ذلك لان الماسونية لا تتوجه بدعوتها الا للمثقفين من شغلة المناصب الكبرى فى كافة التخصصات ، لانها بهؤلاء تزداد مكانة وقوة ، ثم ان هؤلاء هم القدوة فى كل المجتمعات ، وهم المعول عليهم فى كل حين ، وقد انكشفت خطورة الماسونية بعد أن تبين للمطلعين أن معابدها بلغت تسعة آلاف معبدا تنتشر فى انحاء العالم المتحضر فى الشرق والغرب . وبعد قيام اسرائيل أغلقت المعابد الماسونية فى فلسطين الا معبدا واحدا صار هو المعبد الرئيس على معابدها فى العالم . ومن جهة اخرى فان اليهودية تعمل على نشر ثقافتها بين اليهود وتقوية احساسهم الدينى وانتمائهم الاسرائيلى ، وقد جعلت من ذلك علما اطلقت عليه اسم اليهوديات أو علم اليهودية Wissenschaft Des Judentums (١٨٢٢) قيل ان هدفه دراسة التراث اليهودى وتمحيصه ونقده وبعث الوعى اليهودى بهذا التراث حتى لا يذوب اليهود فى الشعوب التى يعيشون بينها ، ومن ثم نجد أن علم اليهودية قد برزت فيه ثلاث سمات ، الاولى هى الوعى بالذات اليهودية ، والثانية الدعاية المحلية بقصد التأثير الداخلى ، والثالثة الدعاية الخارجية بقصد كسب المؤيدين للقضية اليهودية . وكذلك برز من فلاسفته ثمانية هم رابورت وزونس ولوزاتو وكروشمال، وفرانكل وجايجر ومونك وشتاينشنايدر ، ولعل معرفة تخصصاتهم تفيدنا فى الالمام بنواحى هذا العلم ، فرابورت تخصص فى الادب

التالمودى ، ولوزاتو فى اللغويات العبرية . وكروشمال فى تفسير المشاكل العصرية فى ضوء اليهودية ، ونبه فرانكل الى البعد التاريخى فى تطور المشناه والتالمود والهاسكلاه . ودرس جايجر الفرق اليهودية وكتب التفسير ، وتخصص مونك وشتاينشنايدر فىدراسة المخطوطات العربية اليهودية . وكان من نتيجة هذه الدراسات مجموعة من الموسوعات منها الموسوعة اليهودية الكبرى Judaica . ومن الاخطاء التى ترد فى هذه الموسوعة الاخيرة والتى تفصح عن انحيازها غير العلمى ايرادها امية ابن ابى الصلت وكأنه من اليهود . وطرحها وجهة نظر جولدتسيهر من علماء اليهوديات التى تقول ان ابن الصلت كان له شعر نشره شولتس به اشارات من التوراة عن الطوفان وابراهيم ولوط وفرعون كانت هى مصدر محمد نبى الاسلام فيما ورد منها فى القرآن . ورغم أن قصائد ابن الصلت المنشورة عنه يظهر بجلاء لقارئها انها من انتحال المولدين لافتقادها قوة الشعر الجاهلى . الا ان ما يجزم بتهافت هذا الادعاء ان الحوادث التى ورد ذكرها بالقرآن قد تحدى القرآن العرب ان يكونوا قد عرفوا بها ، ولو كان صحيحا ان ما جاء بشعر ابن الصلت هو مصدر القرآن لتنبه العرب لذلك ونبهوا اليه محمدا عليه السلام وكفوه هذا التحدى . وأما ان سورة الاعراف . الآيات من ١٧٤ فصاعدا ، تحكى عن بلعام الذى ورد ذكره فى سفر العدد (٢٢/١ــ٢٤) فان هذا التفسير من فعل المسئولين عن الاسرائيليات . ولا ينطبق ما جاء بسفر العدد مع ما جاء بسورة الاعراف . وأما أن ابن الصلت من اليهود على ما يبدو من ايراد الموسوعة له فانه لا يمت بصلة من قريب أو بعيد لليهود أو لليهودية . فأبوه عبد الله بن ابى الصلت . وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف . وهو حفيد أبى سفيان . وتوفى فيما يبدو فى العام الثامن أو التاسع من الهجرة ، وقيل انه كان يأمر بنبذ الاصنام . وانه حرم الخمر . وقد لبس المسوح ومال الى الحنفية . ولكنه لما سمع بدعوة محمد لم يؤمن بها وأغلق دونها قلبه بعد ان مات بعض اقاربه ببدر . وفيه يقول القرآن « واتل عليهم نبأ الذى اتيناه آياتنا فانسلخ منها فتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » . ولسوف نلحظ ان هذا العلم اليهودى الذى كان سبب هذه الموسوعات التى نبهنا الى بعض ما بها من انحيازات . بل وكل المذاهب اليهودية بلا استثناء . هى نتاج تفكير قيل فى وصفه انه تفكير منفى اى أنه قام فى المنفى بهدف تأكيد

الشخصية اليهودية والانتماء القومى اليهودى وتعميق الاحساس بمغايرة اليهودى ، حتى لقد قيل ان اليهودية برمتها ديانة منفى ، ونستطيع القول ان ما جاء بكتبها الكبرى التوراة والتلمود والزهار والباهر وسفر الخلق قد صدر عن عقيدة كعقيدة التحليليين النفسيين التى كثيرا ما سمعنا بها ، وان الكثير من هذه الكتب كالهذاءات فى المرض النفسى العقلى المعروف بالبارانويا ، وقيل فى تفسير سيكولوجية الفلسفة اليهودية انها فلسفة يحدوها وقوع اليهودى بين متناقضين : ان يكون منبوذا ومع ذلك من شعب الله المختار ، فالمجتمع عندما يعتبر اليهود أقلية دنيا لا تستحق الانتماء اليه ومن ثم يرميهم بالدونية ، فان اليهودى يدافع عن نفسه ضد مشاعر الدونية فيتوهم فى صورة اعتقاد جازم وان يكن خاطئا ، انه أكثر تفوقا من بقية المجتمع ، وان المجتمع ينبذه لانه متفوق عليه ، وهذا هو التفسير السطحى الذى يتيح لليهودى أن يكون منبوذا وفى نفس الوقت من شعب الله المختار ، غير ان التفسير العميق لسيكولوجية الفلسفة اليهودية يكمن فى اعتقاد الفيلسوف اليهودى الجازم ، وان يكن خاطئا ، بأنه موضع الاضطهاد من الآخرين ، وأنه أعظم من الآخرين والا لما اضطهدوه كل هذا الاضطهاد ، وهى أعراض مرض الميجالومانيا أو هذاء الاضطهاد والعظمة ، وتتلخص خطوات هذا المرض فيما يأتى : فالمفكر اليهودى يشعر أولا بميول عدوانية تجاه الثقافة السائدة للغالبية من غير اليهود وبرغبة فى تشويه هذه الثقافة بكل ما تتضمنه من معان وايديولوجيات ومناحى تفكير وديانات ، وفى ايذاء الاغلبية من غير سبب معقول ، والمفكر اليهودى ثانيا يحاول أن يدافع عن نفسه ضد مشاعر العدوانية بأن يسقطها على الآخرين ومن ثم يتوهم أن المجتمع المغاير يضطهده ويتآمر عليه ، وأن الثقافة المغايرة تعاديه ، ولذلك يحق له أن يرد على اضطهاده باضطهاد منه لهذا المجتمع ولتلك الثقافة ، ومن ثم يحق له أن يجعل من الكوجيتو الديكارتى « أنا أفكر فأنا موجود » كوجيتو صهيونيا يقول « انا أحارب واذن انا موجود » حيث الصهيونية هى أعلى أشكال التفكير اليهودى البارانوى ، والمفكر اليهودى ثالثا يتساءل لماذا يضطهدونى . ويجيب على نفسه لانى عظيم بل وتراثى أعظم من تراثهم ، فأنا من شعب الله المختار ، وشعبى مقدس ، وأرضى ولغتى ، وكل فرد من هذا الشعب مقدس ، والنبوة فيه مفتوحة ، وتراثى كان أساس المسيحية والاسلام ، والتوراة أساس الفلسفة الاغريقية وكل تفلسف ، بل ان الله خلق العالم من تركيبات من الابجدية العبرية لغتى ، والمريض بالبارانويا يتلخص مرضه فى هذه الكليات : اننى اقوم باضطهاد الآخرين ردا على اضطهادهم لى ، ولانى أعظم منهم فهم ينبذوننى .

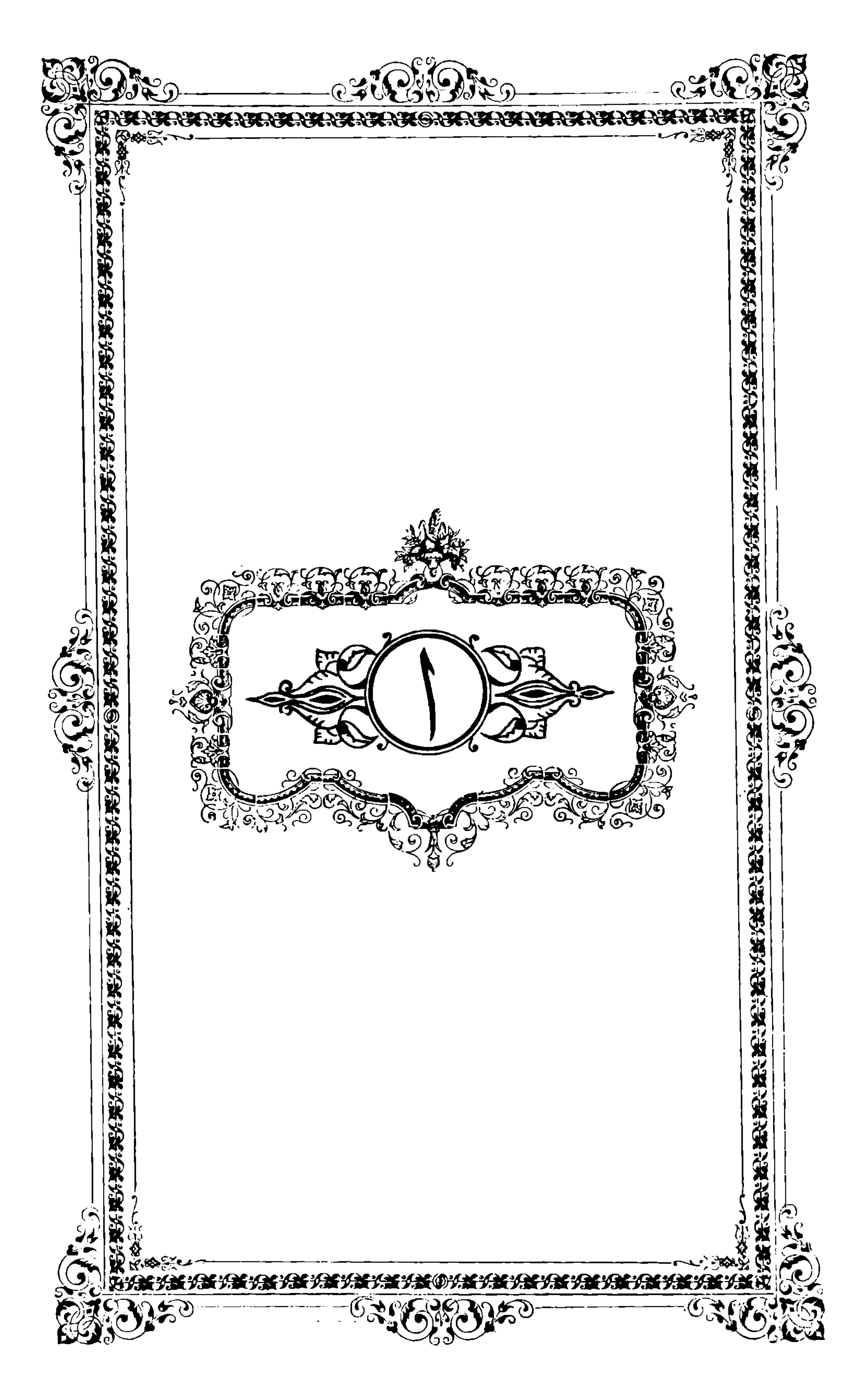
وتبقى كلمة : ان انبه الى بعض ما عثرت عليه من اخطاء فى الكتب العربية التى تناولت موضوعات من الفلسفة اليهودية ، فالتوراة العربية مثلا تورد الفرسان بوصفهم الفريسيين ، والحصيديين على أنهم الحسيديون ، وتقول على المقابيين انهم المكابيون ، ويشايعها على هذه الاخطاء الكثيرة قاموس الكتاب المقدس ، ومصدر الخطأ انهم لا يبحثون فى الاصل الايتيمولوجى لهذه الكلمات ويترجمونها نطقا دون تعريب ، ويقولون عن المؤاسين انهم الاسينيون ، ولو قد فعلوا لعرفوا عن تاريخهم الكثير من هذا الاصل اللغوى وحده ، وانه لامر غريب أن يورد الدكتور على سامى النشار فى كتابه « الفكر اليهودى » ترجمات عن بعض المستشرقين فلا ينسبها لهم صراحة ويلف ويدور حتى لتحسبها بحوثا من عنده . ثم هو لا يدقق اسماء الكتب التى اوردها عن الاصل الاوروبى لفيدا وغيره فهو يقول ان كتاب سعدى الفيومى « العقائد والاعتقادات » وصحته « الامانات والاعتقادات » ، وكتاب باهى بن باقودا أو فاقودا « واجبات القلوب » وصحته « الهداية الى فرائض القلوب والتنبيه الى لوازم الضمير » ، وكتاب ابراهيم بن حيا « تأمل النفس الحزينة عندما تدق على ابواب التوبة » وصحته « تأمل النفس العزونة » وكتاب « التصنيف الصغير للمنزل » وصحته « مجلة المجلى » ، وكتاب يهوذا اللاوى « خوزارى » وصحته « الخرزى » ، وموضوع الميمونى « بنود العقيدة » وصحته « اركان العقيدة » ، وكتاب هليل بن شموئيل « جزاء النفس » وصحته « جمال النفس » ، بالاضافة الى اخطاء اخرى كثيرة منها الشكينا بدل الشخيناه ، والزهر بدل الزهار ، والمركابا بدل المركبة ، واسحق البالاج بدل البلج ، وسعديا الفيومى بدل سعدى ، وبهية باقودا بدل باهى ، وسالمون بن جابيرول بدل سلمان او سليمان بن جبريل ، وابراهيم بارهييا بدل ابراهيم بن حيا ، وجودا هاليفى بدل يهوذا اللاوى ، وليفى بن جرسون بدل لاوى بن جرشون أو جرشوم وهسداى كرسكاس بدل حسداى قريشقش .

وبعد .. فانى ارجو ان اكون قد وفقت ، ففى الحقيقة ان الحقيقة متعددة الاوجه .. والسلام .

عبد المنعم الحفنى

* * *




ا



الابراهيمية Abrahamites

فرقة ادعت انها على ملة ابراهيم عليه السلام بخلاف بقية اليهود ، وانكروا التلمود وقالوا أنهم ورثة الاحناف الذين ورد ذكرهم فى القرآن ، وأن ديانتهم هى ذيانة الفطرة ، وكانوا فى الاصل من اتباع يعقوب فرانك او يعقوب السفاردى ، ثم استقلوا عنه بولاية تلميذه أنطون زرنيفسكى .

* * *

ابربنيل Abrabanel

(نحو ١٤٦٠ – ١٥٢٣) يهوذا ابربنيل المعروف باسم ليون العبرى Leo Hebraeus او Leone Ebreo صاحب كتاب « محاورات فى الحب » سطره شعرا بالايطالية ، ولد فى لشبونة وغادرها بعد قرار طرد اليهود من شبه جزيرة ايبريا سنة ١٤٩٢ الى نابولى حيث أقام بقية حياته وعلم جامعتها الطب والفلك ، وهو من دائرة الثقافة الاسلامية فأبوه اسحق ابربنيل الطبيب الفيلسوف، درس له بنفسه اللاهوت العبرى والفلسفة العربية ، وفى ايطاليا تأثر بتعاليم اكاديمية فلورنسا ، وقيل انه قد تحول الى المسيحية ، وقيل بل ادعى ذلك ليروج كتابه بين الايطاليين . والمحاورات خليط من الفلسفة العربية واللاهوت العبرى ، وتمتزج فيها أفكار افلاطون بأفكار ارسطو، ويدور الحوار بين العاشقين فيلون وصوفيا ، وفيما يبدو أن فيلون المقصود هو فيلون السكندرى (٢٠ ق.م — ٤٠ م) اكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية فى عصره ، وصوفيا هى الحكمة رمز هذه الثقافة ، وكأنه يريد أن يعقد علاقة بين اليهودية والفلسفة ، ويصوغ ليون الحب الذى بينهما فى ثلاث محاورات يعقد فيها الرياسة للحب الذى هو غاية الحياة والقوة الدافعة فى المادة والصورة والعناصر الاربعة والافلاك والعالم الارضى والانسان والحيوان والنبات والجماد ، وهو فيها الغاية والوسيلة معا ، والمتعة المتحصلة منه ليست هى متعة التملك ولكنها متعة المحب فى اتحاده بفكرة الجميل والخير المتمثلين فى المحبوب ، ومن ثم فتوجه الحب الذى يملأ الكون هو الى اتحاد الخلق والمخلوقات

بالجمال المطلق الذى هو نفسه الخير المطلق والعقل الكلى ، وهو اتحاد تهديه الارادة ويشكله العقل ، وهو الحب العقلى لله الذى يطلبه من مخلوقاته ويرصيه فيهم ، وهو عهد على الحب المتبادل بين العالم وخالقه.

* * *

ابربنيل Abrabanel

(١٤٣٧ — ١٥٠٨) اسحق بن يهوذا ابربنيل او ابرافنيل Abravanel كما ينطقه الاسبان ، تصغيرا وتحرينا لابراهيم الذى هو عندهم ابرابان أو أبرافان ، وهو من أهل الظاهر الذين ينأون عن التأويل ويلتزمون النص ، ومن أجل ذلك عارض ابن ميمون ، وخاصة نظرياته الطبيعية فى أصل اليهودية والنبوة وتفسير المعجزات ، وعنده أنها جميعا لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا حاجة طبيعية أو علم ضرورى ، ولكنها الهامات واشراقات يؤتيها الله لمن يشاء وانى يشاء ، ولا تفسير لها الا بأنها من الالهيات ، وليست الالهيات كالطبيعيات ، ولا قانون هذه كقانون تلك ، ويبدو أن أبربنيل قد استخلص من تفسيره للتوراة أن الساعة قد دنت ، ويبدو أن قرار طرد اليهود من أسبانيا نهائيا سنة ١٤٩٢ ، وخروجه هائما الى ايطاليا ، قد تركا به جرحا غائرا ، فكتب « اعلان الخلاص » و « ينابيع الخلاص » يتنبأ بنزول المسيح وانتقام اليهود من مضطهديهم وعودتهم للابد الى أورشليم ، يعيشون فى جنة مقيمة تحت مظلة المسيح وحكومة عالمية ، وحياة تأمل ومعرفة خالصة بالله ، وتلك آراء كانت ارهاصات بالحركات اليهودية المسيحانية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ولم يكن أبربنيل يعتقد فى كمال أية حكومة سوى حكومة المسيح الموعودة ، فأى نظام أرضى ليس سوى محاولة للاقتراب من النموذج السماوى الذى طرد منه آدم بسبب عصيانه للناموس ، ومهما حاولنا فلن نرقى الى هذا الاصل أبدا ولن توجد الحكومة المثلى قبل نزول المسيح وانما تتفاضل الحكومات وافضلها جميعا هى التى تسير على الناموس فترضى الله وتشبع حاجات الناس ، وحكامها موظفون منتخبون ويرأسها مجلس السنهدرين او مشايخ الدين ، فان الدولة والدين وجها عملة ، ولم يكن سقوط اسرائيل الا بسبب فصلها الدين عن الدولة .

* * *

حيي بن أخطب من يهود عصر المبعث ، فلسفته حسابية فقد اتجه الى تأويل حروف التوراة بالحساب العددى الابجدى ومن ثم نحا الى تأويل أوائل السور واستنباط مدة بقاء الامة الاسلامية بمقدار السنين التى يعطيها الحساب الابجدى حروف الفواتح . ويروى ابن اسحق فى سيرته النبوية ان ابا ياسر بن اخطب مر بالمصطفى بعد الهجرة فسمعه يتلو فاتحة سورة البقرة « الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » فأتى أبو ياسر أخاه حيي بن اخطب فى نفر من يهود فنقل اليهم ما سمع ، وكان حيي من أخبث وأضرى قومه حقدا على الاسلام ، فمشى فى النفر من قومه الى رسول الله فسأله فيما تلا من فاتحة البقرة ، فلما استوثق منه قال لقد بعث الله قبلك انبياء بين لكل منهم ما ملكه وما اجل أمته ، وما نعلمه من الم الالف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم اربعون ، فهذه احدى وسبعون سنة ، أفندخل فى دين نبى انما مدة ملكه واجل امته احدى وسبعون سنة ؟ ثم استطرد فقال يامحمد هل معك مع هذا غيره ؟ قال عليه الصلاة والسلام نعم المص (الاعراف) فقال اليهودى هذه أثقل وأطول ، الالف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه احدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا غيره ؟ فذكر عليه الصلاة والسلام الر (فاتحة سور يوسف والحجر وابراهيم المكيات) فحسبها اليهودى فبلغت ٢٣١ سنة ، وسأل عن غيرها فذكر النبى عليه الصلاة والسلام المر (فاتحة سورة الرعد واحصاها اليهودى فكانت ٢٧١ سنة ، وعندها أمسك عن السؤال والعد وقال لقد لبس علينا امرك حتى ما ندرى اقليلا أعطيت أم كثيرا ، وانصرف بمن معه ، فتساءل اخوه أبو ياسر ما يدرينا لعله جمع هذا كله لمحمد ، واحصى مجموع ما سمعوا من حروف فبلغت ٧٣٤ ، وقال النفر من يهود لقد تشابه علينا أمره . ومن ذلك التأويل اليهودى المبكر دخل القول بالحساب العددى للحروف ابجد هوز ينتقل فى قصص التفسير مع غيره من الاسرائيليات ، وقد انكرها ائمة من المحققين كالحافظ المفسر المؤرخ ابن كثير ، وقال شيخ الاسلام الحافظ الحجة ابن حجر « هذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس الزجر عنه ولا اصل له فى الشريعة » .

* * *

ابن الياس Ben Elijah

(نحو ١٣٢٨ — ١٣٦٩) هارون بن الياس او هارون الاصغر تمييزا له عن هارون الاكبر او ابن يوسف الذى عاش قبله بقرن . وابن الياس قراء تركى من دائرة الثقافة الاسلامية اشتهر بكتابه « شجرة الحياة » (١٣٤٦) يعارض به كتاب « دلالة الحائرين » لموسى بن ميمون ، ويبداه بنقد شديد للفلسفة اليونانية او الشطحات الافريقية كما يسميها ، مؤثرا عليها علم الكلام الذى هو ادخل الى مجموعة العلوم العقلية ، وانسب لذلك الى تفسير الكتب السماوية، ثم انه وسيلة القراءين ، وابن الياس قراء كما ذكرنا ، واما الفلسفة فهى وسيلة الربانيين الذين كان ابن ميمون منهم ، والقراءون يعتمدون على العقل فى تفسير الشريعة واستخلاص الاحكام ، والعقل هو وسيلة تحصيل المعرفة بالله ، وبه نعلم ان الله موجود ، ولم يعرف ابونا ابراهيم الله الا بالعقل وليس بالنقل ، وعرف به أن الله واحد سررمدى لا يتغير . وينكر ابن الياس التجسيم ويبيح تأويل نصوص التوراة التى تصف الله بتجسيمه او تشبيهه ، ولكنه يحظر التأويل فيما عدا ذلك ، ويرفض السلوب المحض الذى قال به ابن ميمون ، لان كل سلب يتضمن بالضرورة الاثبات ، وليس صحيحا ان ايجاب الصفات لله اشراك به ، والعالم ليس قديما كما يقول الارسطيون ، بل هو محدث ، وحدوثه خير برهان على وجود الله ، لان كل محدث لا بد له من صانع ، والعالم مركب من ذرات تتصل فتكون الاجسام ، وتنفصل فيحدث الفناء ، والذرات ليس لها حجم وليست قديمة ، وعلم الله محيط بكل شيء ، والانسان له مشيئة ومن ثم فهو مسئول ، ولا تعارض بين مشيئة الله ومشيئة الانسان ، لان من مشيئة الله انه خلق الانسان حرا يفاضل بين الخير والشر ، ولكن الله يساعد المؤمن ويبسط للشرير ، وقد يبتلى المؤمن كما حدث لايوب ليعرف الانسان أن خير الدنيا الى زوال ، وان متعة الآخرة هى الابقى والتى ينبغى أن يكون عليها الطلب .

***

ابن تميم Ibn Tamim

(نحو ٩٠٠ — ٩٦٠) دوناش بن تميم ، قروانى وتلميذ اسحق الاسرائيلى ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، وهو معتزلى له تعليق على سفر الخلق (٩٥٦) يرد به على تعليق سعدى

الفيومى ويبدو منه انه مقتنع أن الحكمة اليهودية اذا فسرت تفسيرا وافيا منذ عهد ابراهيم عليه السلام انما تتوافق مع نتائج العلم الذى ثبت ثبوتا حاسما ، كما تبدو معلوماته موسوعية فقد كانت علوم الحساب والفلك والفيزياء والطب مألوفة لديه مثلما كانت لدى اكبر علماء عصره ، وفيما يختص بالفلسفة فان ما يبدو تقصيرا عنده انما نجده فى عمق آرائه الفلسفية وليس فى معلوماته الفلسفية ، وكما فعل اسحق الاسرائيلى فقد تصدى ابن تميم لمسألة صفات الله وذكر ان لغة التنزيل جاءت فى متناول ضعف العقل البشرى ، ولما كانت عقليته علمية فقد اكد على برهان وجود الله بواسطة الحركة ، وأن الذات الالهية تسمو على الزمن الذى لا يمكن ادراكه قبل خلق الاجسام السماوية ، وتتجلى قدرة الله الكاملة وعنايته فى نظام الكون العجيب ، وقال ان الخلق هو الخير الاعظم، وليس الشر سوى عدم الوجود .

***

ابن جبريل Ibn Gabirol

(نحو ١٠٢١ — ١٠٥٨ / ١٠٧٠) سليما بن جبريل ، وشهرته ابو أيوب سليمان بن يحيى ، ويعرفه اللاتين باسم ابن جبرول Avicebrcl ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، ولد فى ملقة وعاش فى سراقوسه ، وهو شاعر يعتبرونه من أعظم شعراء المدرسة اليهودية فى اسبانيا ، وتعكس فلسفته الكثير من فلسفة اخوان الصفا ، واليهودية بها غير ظاهرة فهو لا يقتبس من التوراة ولا التلمود ولكنه يحاول أن يجعل من الاخلاق اليهودية ووجهة النظر الاسرائيلية اخلاقا ووجهة نظر عالمية باللجوء الى العقل غالبا ، وكتابه الرئيسى « ينبوع الحياة Fons Vitae » وضعه بالعربية وضاعت النسخة الاصلية ولم تحفظ الا النسخة اللاتينية وملخص عبرى لها ولم يعرف ان كاتبها افيسبرول هو نفسه ابن جبريل الا فى القرن التاسع عشر ، ورغم انه افلوطينى الا ان مذهبه يختلف بعض الشىء للأسوأ ، فهو يجعل انبثاق العالم من الله من ثنائية من مادة وصورة تشمل الكائنات كلها وتتكرر فى جميع درجات العام والخاص ، وتسير من اعلى الى اسفل كل سلم الموجودات ، فكأن هناك ثنائية فى الله هى ارادته وفعله ، على عكس المذهب الشائع عن الافلاطونية المحدثة، وهى الارادة التلقائية ، الامر الذى يقضى بأن العالم مدين بوجوده الى فعل خلاق ارادى وليس الى عملية فيضية ضرورية كما هو فى الافلاطونية المحدثة . وثمة نقاط اخرى غامضة عند ابن جبريل كقوله ان المادة والصورة متلازمان ، ومع ذلك يجعل

الصورة وحدها فى اغلب الاحيان هى التى تتولد عن الارادة الالهية دون المادة . ويعتذر لذلك بأن المادة لا تتولد من صفة الهية ولكن من ذات الله ، ومع ذلك فانا نقول له بان الارادة لا يمكن أن تخلق بمعارضة الذات الالهية ولكنها مرتبطة بها وهى تتقوم بالخلق . فالفعل الخلاق لا يكون حرا حرية كاملة ولكنه محدود بقانون مغروس فى ذات الله . أعنى بامكانيات الخلق التى تتجسد فى المادة وهى أساس الوجود الذى ينشأ فى الذات. ولكى يراب ابن جبريل هذا الصدع فى نظريته فى العلاقة بين ارادة الله وذاته يقول ان الارادة فى وجودها بصرف النظر عن فعلها هى الله . ولا تميز الا عندما تبدأ فى الفعل . وكذلك فان الارادة تصير لا نهائية حينما لا تعمل . وتبعا لهذا تكون الارادة فى منتصف الطريق بين مظهر الذاتية الالهية وبين اقنوم خارجى عن الله . وهو موقف غير مفهوم . ويشبه ابن جبريل الارادة بالحكمة أو كلمة الله . وهو نظر يتصل بنظرية اللوغوس. ويذكرنا بفيلون دون أن يكون باستطاعتنا الربط التاريخى بين المفكر اليهودى السكندرى وبين هذا الافلاطونى المحدث السراقوسى .

* * *

ابن جرشون Ben Gershon

(١٢٨٨ — ١٣٤٤) لاوى بن جرشون المعروف عند اللاتين باسم الجرشونى Gersonides . وكتابه « سفر ملاحم الرب » الذى جمعه من آراء الفارابى وابن سينا وابن رشد على الخصوص يناقش فيه الفلسفة الدينية يطرح الآراء السابقة عليه وما أثير حولها من اعتراضات . ثم يثنى عليها بما يراه هو نفسه مقدما ذلك بعبارة « ويقول اللاوى » . وأفكاره يبدو فيها بوضوح تاثير المذهب المشائى من أرسطو نفسه . ومن شراحه ثيمسطيوس والاسكندر الافروديسى . ومن خلال تعليقات ابن رشد . والواقع أن ابن رشد موجود فى كل صفحة من الكتاب ويعود به الى مذهب أرسطو الصحيح ويقول معه عند ابن ميمون أن العلاقة بين صفات المخلوقات وصفات الله ليست سوى علاقة بالتشكيك . بمعنى أنها تختص بالله فى كمالها وصفائها . وبالمخلوقات بالاشتقاق والمشاركة . ويستخدم ابن جرشون كابن رشد البرهان الغائى ليثبت وجود الله وأن العالم مخلوق . ولكنه عكس ابن ميمون يقول مع أرسطو انه مخلوق من مادة قديمة وليس من العدم ، الا ان قدمها لا يعنى أنها فوق الزمن . فطالما أن فعلها داخل العالم المخلوق فانها تكون قديمة ولكنها تحت الزمن . ومع ذلك اذا كانت المادة قديمة بشكل ما . واذا كانت الصور وحدها تصدر عن

الله ، فمن الواضح ان الله لا يستطيع معرفة المخلوقات العديدة الفردية التى تولد من اتحاد الصورة بالمادة ، بمعنى أن الله يعرف العام وحده ولا يعرف الجزئى من حيث هو جزئى ، وعلى هذا الوجه فان الله لا يعرف الا ذاته من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان معرفته التى تسمو على المقابلة بين الكلى والجزئى تحيط علما بكل شىء . وتحديد علم الله بهذه الطريقة يشكل عند ابن جرشون حجة لصالح حرية الانسان ، فطالما ان الجزئى يخرج عن نطاق العلم الالهى فان ما يقرره الانسان خاصا به لا يدخل مجال هذا العلم . وحتى العقل الالهى يقتصر عند ابن جرشون كما هو عند ابن رشد على خلق ما يسميه العقول المفارقة وهى مخلوقات لا مادية تفيض منها الصور على العالم المادى ، وحالما تخلق هذه العقول تتولى حكم العالم ، وهى لا تدير نظام الطبيعة العادى فحسب بل ايضا تصنع النبوة والعناية الالهية وحتى المعجزات .

* * *

ابن حفنى Ibn Hephni

(توفى ١٠١٣ م) شموئيل بن حفنى ، عراقى وزعيم المدرسة التلمودية بها فى زمانه ، ثقافته عربية ، وفلسفته كلامية ، وهو يستعير من علماء الكلام نظريتهم عن صفات الله، فالله حى وعالم وقادر بذاته وليس بصفاته التى تتميز عنه ، وتفسيره لاسفار موسى الخمسة يظهره عقلانيا بعض الشىء ، وهو يرفض التنجيم والسحر ، ولا يقر بالمعجزات الا للأنبياء ، وعلى ذلك يرفض الخوارق لاولياء عصر التلمود .

* * *

ابن حيا Bar Hiyya

(المتوفى نحو ١١٣٦) ابراهيم بن حيا ، اسبانى من دائرة الثقافة الاسلامية ، شارك فى ترجمة العديد من الكتب العربية الى اللاتينية ، واسهم فى نقل المعرفة العلمية العربية الى اوروبا ، وفلسفته يطرحها فى كتابيه « مجلة المجلى » (بضم الميم الثانية) ، و « تأمل النفس العزونة » ، ففى البدء خلق الله كل شىءبالقوة فكانت مادة وصورة وعدم ، ثم رفع الله العدم وربط الصورة بالمادة فكانت الاشياء ، وكان الانسان على قمتها ، وتميز بقدراته العقلية ، وارادته وتفريقه بين الخير والشر ، فاذا اخطأ فهو الوحيد الذى يمكنه أن يتوب.

والارض هى عالم الفناء ، وارقى مراتب الانسانية هى مرتبة الزاهدين، والعالم لما كانت له بداية فستكون له نهاية ، ولقد خلقه الله فى سبعة ايام ، وتقابلها سبع فترات تاريخية ، او سبع مراحل حضارية ، ومن ثم فنهاية العالم ستكون سنة ١٣٨٣ والقيامة سنة ١٤٤٨ ، ولن تقبل التوبة الا من المؤمنين بالتوراة ، ولهؤلاء وحدهم سيكون الخلود . وكان لاحاديث ابن حيا عن القيامة الاثر الكبير على الكثيرين ومنهم يهودا اللاوى والقباليين من المدرسة الالمانية .

* * *

ابن داؤد Ibn Da'ud

(نحو ١١١٠ — ١١٨٠) ابراهيم بن داود او داؤد كما اشتهر ، اندلسى من دائرة الثقافة الاسلامية ، كتابه « العقيدة الرفيعة » باللغة العربية ، صورة من فلسفة ابن سينا ، ويعد أول محاولة يهودية فى التأليف للفلسفة ، تتغلب فيه الفلسفة المشائية فى صورتها الاسلامية ، فمهد بذلك لمن جاء بعده لينظر فى التوفيق بين ارسطو والدين الاسرائيلى . والفلسفة عنده كما هى عند ابن سينا لا تتعارض مع الدين ، والتوراة كتاب يحوى كل شىء ، والمعرفة التى يطرحها لم تتيسر لغير شعب اليهود الا بعد آلاف من السنين ، ويأخذ داؤد براهينه فى اثبات وجود الله ، وخاصة برهان الضرورى والممكن ، من ابن سينا ، ويتابعه على غير ما تقول به اليهودية فيؤكد على حرية الانسان فى حدود أن الممكن عند الله يظل ممكنا من غير ان ينتقص ذلك من قدرة الله وارادته، والمذهب الاخلاقى القائم على الاخلاق العقلية يتمشى مع الكتاب المقدس الذى يقول بأخلاق دينية ، وغاية الانسان تحصيل المعرفة ، ولكنها اخيرا المعرفة بالله التى هى اساس حب الله ، ويتحقق كمال الانسان ويبلغ سعادته عندما تكون له فى النهاية المعرفة والحب معا .

* * *

ابن داود Bendavid

(١٧٦٢ — ١٨٣٢) اليعازر بن داود ، المانى من اتباع كنط ، يعكس فى كتابه هموم جيل ما بعد مندلسون ، وكان يعتبر اليهودية الاصلاحية الوسيلة الوحيدة لمنع اليهود من اعتناق المسيحية ، ونصح لذلك بالغاء الطقوس التى تجعل من اليهودية شيئا متميزا عن المسيحية والتى تنفر اليهود انفسهم من اليهودية ، وقال باندماج

اليهود فى مجتمعاتهم وتقبلهم للثقافة الغربية ، وهذا ما جعل كنط يظن ان ابن داود ينصح قومه باعتناق المسيحية ، ولذلك فقد نصح كنط اليهود بناء على افكار ابن داود أن يقبلوا على المسيحية فتكون لهم اخلاق دينية ومن ثم يكون لهم دين .

* * *

ابن سبا Ibn Saba

عبد الله بن سبأ (انظر السبئية) .

* * *

ابن سلام Ibn Salam

عبد الله بن سلام ، تروى عنه الكثير من الاحاديث التى عرفت باسم الاسرائيليات ، وكان اسرائيليا اسلم والرسول فى مكة على راى واسلم بعد الهجرة فى راى آخر ، وكان يدعى فى يهوديته الحصين بن سلام بن الحارث ، فلما اسلم سماه الرسول عبد الله ، وهو من بنى قينقاع ، وذكر انه كان شريفا فى قومه وحبرا عالما، فلما اسلم نبذه قومه وتحدثوا فيه ، وفيه نزلت الآية وشهد شاهد من بنى اسرائيل (الاحقاف) وكان اليهود قد جاءوا الىالنبى صلى الله عليهوسلم برجل وامراة قد زنيا ، فقال لهم كيف تفعلون بمن زنى منكم ، قالوا نحممهما ونضربهما ، فقال لا تجدون فى التوراة الرجم ، فقالوا لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام كذبتم ، فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ، فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم ، فنزع ابن سلام يده عن آية الرجم فقال ما هذه ، فلما راوا ذلك قالوا هى آية الرجم ، فأمر بهما فرجما . وروى عن معاذ بن جبل قال ان العلم والايمان عند اربعة ارهط ، عند عويمر أبى الدرداء ، وسلمان الفارسى ، وعبد الله ابن مسعود ، وعبد الله بن سلام الذى كان يهوديا فأسلم ، فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه عاشر عشرة فى الجنة . وكان لابن سلام ابنان يوسف واحمد فكنوه باسم اولهما ، وله حديث عن الرسول قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من الانصار وامراته : « اعتمرا فى رمضان فان عمرة من رمضان لكما كحجة » . وروى صاحب الفهرست أن أحمد بن عبد الله بن سلام ترجم التوراة ترجمة دقيقة ، وقيل ان ترجمته كانت سببا فى ادخال المزيد من الاسرائيليات الى تفسير القرآن .

ابن السوداء Ibn al- Sawda'

عبد الله بن السوداء ، قال المقريزى فى الخطط انه وعبد الله بن سبأ شخص واحد ، والاوصاف التى ينعت بها كل هى الاوصاف التى ينعت بها الآخر . وقال المحققون ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، واراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على واولاده ، لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام ، فانتسب الى الرافضة السبئية حين وجدهم اعرق اهل الاهواء فى الكفر ، ودلس ضلالته فى تأويلاته . وذكر البغدادى أن ابن السوداء كان يعين السبئية على قولها ، وانه كان فى الاصل يهوديا من الحيرة فأظهر الاسلام ، واراد ان يكون له عند اهل الكوفة سوق ورياسة ، فذكر لهم أنه وجد فى التوراة ان لكل نبى وصيا ، وأن عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه خير الاوصياء ، كما أن محمدا خير الانبياء ، فلما سمع ذلك منه شيعة على ، قالوا لعلى انه من محبيك ، فرفع على قدره واجلسه تحت درجة منبره ، ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له ان قتلته اختلف عليك اصحابك ، وانت عازم على العود الى قتال اهل الشام وتحتاج الى مداراة اصحابك ، فلما خشى من الفتنة التى خافها ابن عباس نفاه الى المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه (انظر السبئية) .

* * *

ابن شموئيل Ben Samuel

(نحو ١٢٢٠ ــ ١٢٩٥) هليل بن شموئيل ، ايطالى ، فلسفته عقلية على طريقة ابن ميمون ، وبسببه صدر الحكم بحرمان سليمان بن ابراهيم من مونبلييه الذى كان يؤلب يهود جنوب فرنسا على مذهب الميمونى فى تأويله التوراة بالفلسفة اليونانية وخاصة عند ارسطو . ولابن شموئيل كتاب وحيد « جمال النفس » (نحو ١٢٨٨) عبارة عن ترجمات لابن رشد فى هذا الموضوع ولآخرين من المشايعين للفلسفة الرشدية .

* * *

ابن صديق Ibn Tzaddik

(المتوفى ١١٤٩) يوسف بن صديق ، القرطبى الاندلسى ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، يستخدم مذهب الاشاعرة

ليهاجم به مذهب المعتزلة عند اليهود القراءين خاصة يوسف البصير ، فمن رايه ان الله هو صفاته ، وهو يقول كاخوان الصفا ان الحكمة هى تحصيل المعرفة بالله ، وتبدأ الحكمة عندما يعرف الانسان نفسه ، وكمال الحكمة ان يعمل بمقتضى المعرفة بالله ، اى ان يتمثل الانسان العارف صفات الله فتكون له قدوة ، ولكن ابن صديق يظل يهوديا مع كل ما يقبسه من الثقافة الاسلامية ، فهو ينكر البعث الجسمانى ، ويقول ان البعث لا يكون الا للفضلاء بالعودة الى الحياة عودة روحية فى عهد المسيح الذى هو المهدى المنتظر ، ليحيوا فى ظل عدله نعيما مقيما وسعادة ابدية .

* * *

ابن عزرا Ibn Ezra

(نحو ١٠٥٥ — ١١٣٥) أبو هارون موسى بن يعقوب بن عزرا ، اندلسى من دائرة الثقافة الاسلامية ، ويعتبر مرجعا فى الشعر اليهودى الاندلسى ، وله فيه « كتاب المحاضرة والمذاكرة » بالعربية ، وله « ديوان » معظمه موشحات كالموشحات الاندلسية ، وكتابه فى الفلسفة « الحديقة فى معنى المجاز والحقيقة » يقول فيه بالفيض والعقل الفعال ، وينسب الى فيثاغورس وسقراط وافلاطون وارسطو كثيرا من الاقوال التى لم تذكر عنهم .

* * *

ابن عزرا Ibn Ezra

(١٠٨٩ — ١١٦٤) ابراهيم بن عزرا ، اسبانى من دائرة الثقافة الاسلامية ، قيل ان ابنه الوحيد موسى تحول الى الاسلام فارتحل ابن عزرا عن بلاد الاسلام لا يقربها بقية حياته متنقلا بين أوساط اليهود فى فرنسا وايطاليا . وهو من فحول شعراء العبرية يقرضه على الطريقة العربية الاندلسية سواء فى البحور او القافية او فى شكل القصيدة او المقامة ، ومن خلال انتقل التأثير العربى الى الشعر اليهودى الاوروبى . وفلسفته افلوطينية تنتثر فى تفسيراته للتوراة ، وعلمه بها من خلال قراءاته لسليمان بن جبريل ، ومذهبه يقرب كثيرا من مذهب الحلوليين ، فالله هو المبدا الاول الذى منه تفيض كافة العقول والعوالم ، والخلود للنفس بعودتها للنفس الكلية ، وهذه باتصالاتها بنفس النبى يكون الوحى ، وعلم الله كلى ، وكذلك عنايته

كلية ، والعالم مخلوق من مادة قديمة غير مخلوقة ، واقدار الناس معلقة بتعييناتهم النجمية ، ولا يفلت من هذا التعيين الافراد الذين تكون نفوسهم فى اقتران مع النفس الكلية ، وكذلك الاسرائيلى عندما يكون مخلصا مع الاتحاد مع الله ، وقصة الخلق فى الكتاب المقدس لا قيمة لها الا بالنسبة للعالم المحسوس الذى له بداية زمنية . ويحمل ابن عزرا بشدة على الاخطاء التاريخية فى اسفار التوراة الخمسة ، وكان سبينوزا من المتأثرين بنقده ، ولكنه بشكل عام فيلسوف متوسط القيمة ، اسلوبه مقتضب احيانا الى حد الغموض ، ويعجز فى كثير من الاحيان عن تناول المسائل التى تعرض لها بنضوج ، رغم قسوة نقده وملاحظاته النافذة .

* * *

ابن فاقوده Ibn Paquda

(النصف الثانى من القرن الحادى عشر) باهى بن يوسف بن فاقوده ، وابن باقودا ايضا ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، عاش فى سراقوسه بالاندلس وكان قاضى جاليتها اليهودية ، ونسب اليه خطأ « كتاب معانى النفس » ، وله كتاب « الهداية الى فرائض القلوب ، والتنبيه الى لوازم الضمير » بالعربية ، وقيل انه اول كتاب فى الفلسفة اليهودية الاخلاقية ، وهو صورة من الكتب الاخلاقية الاسلامية ، يحفل بالاقتباسات من فلاسفة المسلمين والادب العربى والحكايات العربية ، ولذلك قيل ان الربانيين حاكموه لميوله الاسلامية الواضحة ، وخاصة اتجاهاته الصوفية الاسلامية ونقده للاحبار لاهتمامهم بالشعائر التى يسميها الفرائض الجسمانية وقوله كالمسلمين بأن فرائض القلوب اولى بالالتزام عن الفرائض الجسمانية ، وهو يعرفها بأنها التسليم لله الخالق الواحد الاحد ، والشكر له والتوبة عما يغضبه ، ويبرهن على وجود الله ببرهان الصانع يأخذه من المعتزلة ، والبرهان الغائى يدلل به على طريقة اخوان الصفا .

* * *

ابن كمونه Ibn Kammuna

(نحو ١٢١٥ — ١٢٨٥) سعد بن منصور بن كمونه ، بغدادى ، من المدافعين عن اليهودية ضد خصومها اليهود المرتدين الى الاسلام ، واخصهم السموال المغربى صاحب كتاب « افحام اليهود » ، ومصنفه « تنقيح الابحاث للملل الثلاث » باللغة

العربية يقدم له بفصل عن النبوة ينقله من اقوال لابن سينا والغزالى والرازى والميمونى ؛ ولا يشير فيه الا لاسم الرازى ، ثم هو يحاول التصدى بالصرح لاسس الديانات الثلاث متهما الاسلام بالنقل عن اليهودية وعدم انطباق شروط النبوة على النبى عليه الصلاة والسلام ، الامر الذى اثار حفيظة الجماهير عليه فهاجمت داره عقب صلاة الجمعة وساعده الحكام على الهروب من بغداد .

* * *

ابن لطيف Ibn Latif

(نحو ١٢١٠ — ١٢٨٠) اسحق بن ابراهيم بن لطيف ؛ من دائرة الثقافة الاسلامية ، وقراءاته فى الفلسفة اليونانية من خلال المصنفات العربية ، ومعظم اقتباساته من الفارابى ، ويأخذ منه نظريته فى المدينة الفاضلة والنبى الذى هو الملك الفيلسوف ؛ ويبدو فى فلسفته التأثر الواضح بابن جبريل والميمونى ، ويتابع كتاب ينبوع الحياة لابن جبريل فى كثير من افكاره ، وهو افلوطينى يمزج الفلسفة بالتصوف ولذلك يصف بعضهم طريقته بأنها بدعة . ويراها آخرون فتحا جديدا له صداه عند قريشقش .

* * *

ابن منبه Ibn Munabbih

(٣٤ — ١١٤ هـ) ابو عبد الله وهب بن منبه اليمانى الصنعانى ، من رواة الاسرائيليات من التابعين ، ابوه من خراسان وارسل الى اليمن فى زمن كسرى انو شروان واسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، ونشأ وهب فى اليمن وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز ، واخرج له البخارى وابو داود والنسائىوالترمذى، وقيل ان له كتاب المبدا وكتاب الاسرائيليات ، وانه كتب كتابا فى القدر ، وقيل انه كان صاحب علم ولكنه لم يكن يتورع عن التلفيق ، شأنه فى ذلك شأن زمليه من مسلمة اليهود كعب الاحبار وابن سلام ، وقد لاحظ ابن قتيبة الفرق بين معلوماته عن بدء الخلق وبين سفر التكوين .

* * *

ابن موسى Ben Moses

(١١٨٦ — ١٢٣٧) ابراهيم بن موسى بن ميمون ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، أبوه موسى بن ميمون ، وقد تولى بعده رئاسة الطائفة اليهودية فى مصر ، ونهج نهجه فحاول التوفيق بين الربانية والفلسفة ، وناصر العقل على النقل ، الا انه اختلف عن ابيه فى اشياء ، فبينما ابوه كان عقلانيا وميوله اكثر الى الفلسفة ، فان ابراهيم كان من اهل الكشف واتجاهاته صوفية ، وكتابه «كفاية العابدين» بالعربية موسوعة فى الصوفية ، وتأثير صوفية المسلمين فيه واضح ، وعنهم ادخل الوضوء وغسل القدمين قبل الصلاة ، والوقوف فى صفوف متراصة عند الصلاة ، والجلوس على الفخذين وعند القراءة ، والسجود فى الصلاة ، وغاية الفلسفة عنده الاتحاد بالله وليس معرفة الله كما هى عند ابيه ، فبعد المعرفة تكون المرتبة الاعلى وهى الاتحاد ، ولم تعجب طريقته الكثيرين لتقليدها المسلمين .

* * *

ابن ميمون Ben Maimon

(١١٣٥ — ١٢٠٤) موسى بن ميمون ، اعظم فلاسفة اليهود فى دائرة الثقافة الاسلامية وفى القرون الوسطى فى اوروبا ، ويعرفه العرب باسم ابى عمران عبيد الله موسى بن ميمون ، ويعرفه اللاتين باسم الميمونى Maimonides ، ولد بقرطبه الاندلس واقام بمصر وبها وضع اغلب مؤلفاته ، وذكره ابن ابى اصيبعة فى طبقاته فقال : هو الرئيس ابو عمران ، كان عالما بسنن اليهود ، ويعد من احبارهم وفضلائهم ، وكان رئيسا عليهم فى الديار المصرية ، وهو اوحد زمانه فى صناعة الطب وفى اعمالها ، متفنن فى العلوم وله معرفة جيدة فى الفلسفة ، وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه ، وكذلك ولد الملك الافضل على ، وقيل ان الرئيس قد اسلم فى المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه ، ثم لما اتجه الى الديار المصرية واقام بفسطاطها ارتد ، وقال عنه ابو الفرج الملطى المعروف بابن العبرى « كان موسى قد قرا علم الاوائل بالاندلس ، واكره على الاسلام فأظهره واسر اليهودية ، ولما الزم بجزئيات الاسلام من القراءة والصلاة فعل ذلك الى ان امكنته الفرصة فخرج من الاندلس الى مصر ونزل الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه وارتزق بالتجارة ، وكان عالما بشريعة اليهود ، وصنف كتابا فى مذهب اليهود سماه بالدلالة ، وبعضهم يستحبه وبعضهم

يذمه ويسميه الضلالة ، وغلبت عليه النحلة الفلسفية فصنف رسالته فى المعاد الجسمانى ، وانكرها عليه اليهود فأخفاها الا عمن كان يرى رأيه ، ورايت جماعة من يهود بلاد الافرنج بأنطاكية وطرابلس يلعنونه ويسمونه كافرا ، وكذلك ذكره عبد اللطيف البغدادى فقال « عمل موسى كتابا لليهود سماه كتاب الدلالة ولعن من يكتبه بغير القلم العبرانى ، وقفت عليه فوجدته كتاب سوء ، فصل اصول الشرائع والعقائد بما يظن انه يصلحها » . وتشمل كتابات موسى الفلسفية رسالة فى المنطق باللغة العربية يذكر فى بدايتها « أن المنطق لا يعد علما قائما بذاته ، بل هو وساطة الى تمرين التلميذ والمعلم على البحث وتنظيم التفكير تنظيما معقولا ، وهو للعقل كالقواعد للغة ، فكما تعين القواعد على فهم اللغة يرشد المنطق الى مسالك الضبط وتنظيم العقل » . وكذلك كتب بالعربية كتاب السراج ، يهمنا فيه صدره الذى بحث فيه تاريخ نشأة الرواية والاسناد عند اليهود ، وكتاب « تثنية التوراة » الذى احدث فتنة بسبب اعتماده على العقل اكثر من النقل ، وقيل لانه أدخل فيه وهو الكتاب التشريعى نظريات فلسفية مستقاة من مصادر غير اسرائيلية ، وانه لم يقل رايه صراحة فى المعاد الشرعى وفقا لتعاليم أحبار التلمود ، فى حين وجه عناية مفرطة الى البحث فى الروح فى الدنيا والآخرة،الامر الذىجعل الناس يعتقدون انه لا يؤمن ببعث الاجسام ، وقد اضطره ذلك الى أن يفرد كتابا للبحوث الفلسفية فكان مصنفه الاكبر « دلالة الحائرين » ، كتبه باللغة العربية بالحروف العبرية ، رغبة منه فى أن ينتشر الكتاب بين جماهير اليهود فى البلاد العربية دون العرب ، ولانه خشى ان يثير بعض ما جاء فيه من المعارضة للمتكلمينوالمعتزلة والاشعرية فتنة عليهفيتناولان تعميماته بالرد الواجب خاصة انه لم يتوخ فيها الموضوعية ولم يقدم الدليل عليها ، بالاضافة الى انه يذكر أنه يعارضها ثم عندما يتحدث تفصيلا يبين انه يوافقها فيما يخص الديانتين الاسلامية واليهودية من امور عامة ، وقد تورط فى أخطاء نحوية لا تحصى تثير الشك فى حقيقة مقدرته ، خاصة أنه ينقل عبارات بأكملها من المؤلفين العرب لا ينسبها لاصحابها ، وكتابه خليط من مبادىء ارسطو ونظريات فلاسفة المسلمين صبغها بصبغته الخاصة ووجهها وجهةيهودية ، وهو متأثر بأرسطو الذى عرفه من خلال الترجمات العربية عند ابن حنين ويحيى النحوى والغزالى وابن باجه وابن طفيل وثابت بن قرة والتبيصى وابن افلح الاشبيلى والرازى والفرغانى والحرانى والفارابى والمتكلمين ، وتأثره بالفارابى شديد ، وهو يتابعه حتى فى الاسلوب ، ويمتد تأثيره فيه الى كتابهاليهودى « تثنية التوراة » . اما غرضه من تأليف دلالة الحائرين فلم يكن « نقل كتب الفلاسفة » او تلخيص معانى العلم الالهى على بعض المذاهب ، اذ

الكتب المؤلفة فى جميع ذلك كافية ، وانما الغرض ان ابين مشكلة الشريعة، واظهر حقائق بواطنها التى هى اعلى من افهام الجمهور ، فلذلك ينبغى لك (والكلام هنا ليوسف بن عقنين تلميذه) اذا رايتنى أتكلم فى اثبات العقول المفارقة وفى عددها ، او فى عدد الافلاك وفى اسباب حركاتها أو فى تحقيق معنى المادة والصورة ، او فى معنى الفيض الالهى ونحو هذه المعانى ، فلا تظن او يخطر ببالك انى انما قصدت لتحقيق ذلك المعنى الفلسفى فقط ، اذ تلك المعانى قد بسطت فى كتب كثيرة . وبرهن على صحة اكثرها ، بل انما اقصد لذكر ما يبين مشكلة من مشكلات الشريعة فأفهمها واحل عقدا كثيرة بمعرفة ذلك المعنى الذى ألخصه ، وهو هدف نرى أن معظم فلاسفة اليهود يتوخونه فلا يغرن القارىء لهم انهم فلاسفة يتحدثون فى اللغة او فى الوضعية او الجشطلت أو الكنطية أو علم النفس أو الاقتصاد ، فانما هى أمور يتوسلون بها لبسط جانب من ديانتهم التى يعدونها خاصتهم القومية ، وقد بسط ابن ميمون رأيه فى كتابه عن ماهية الله مثلا ، وشرح العبارة الشهيرة ٢٦ من الفصل الاول من سفر التكوين « نصنع انسانا على صورتنا وشبهنا » ، وقال ان الناس قد ظنوا أن لفظ صورة فى اللسان العبرى يدل على شكل الشىء وتخطيطه فيؤدى ذلك الى التجسيم المحض ، ورأوا انهم ان فارقوا هذا الاعتقاد كذبوا النص . . واما صورة فتقع على الصورة الطبيعية ، أعنى على المعنى الذى يجوهر الشىء بما هو ، وهو حقيقته من حيث هو ذلك الموجود المعنوى هو الذى يكون عنه الادراك الانسانى . . . فيكون المراد من الصورة الصورة النوعية التى هى الادراك العقلى لا الشكل والتخطيط . وتعرض لتعريف بعض التعبيرات مثل « كلمة الله » و « الالواح التى كتبها الله » و « الحركة والسكون المنسوبة لله » ، فقال ان القصد من وصف الله بالكلام مثل وصفه بالافعال كلها الشبيهة بأفعالنا فأرشدت الاذهان الى ان ثم علما الهيا يدركه النبيون بأن الله كلمهم حتى نعلم ان هذه المعانى التى يوصلونها لنا من قبل الله هى ليست من مجرد فكرتهم ورواياتهم . واما ما ذكرته التوراة من أن الالواح صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة عليها ومكتوبة باصبع الله ، فهذه أشياء طبيعية لا صناعية لان كل الامور الطبيعية من صنع الله ونتيجة مشيئته ومحض ارادته ، ويشرح ابن ميمون نسبة الكون والحركة لله وعلاقتها بكل ما ابتدع فى ستة أيام من خلق الكون على هذا النحو ، بأن كل يوم من الايام الستة كانت تحدث حوادث خارجة عن هذه الطبيعة المستقرة الموجودة الآن فى الوجود بجملته ، وفى اليوم السابع استمر الامر واستقر على ماهو عليه الى الآن » . وعلى هذا الشكل يشرح ابن ميمون الفاظا كثيرة من اسفار الكتاب المقدس ، مستخدما ثقافته الاسلامية ودرايته بكتب المسلمين ، متأولا نصوص التوراة على غير

ما جاء من تعاليم احبار اليهود ، يلف لنا طويلا ويأتى بمقدمات يحاول بها ان يهيىء القلوب الى ما يريد أن يصرح به ، ويحاول أن يكون اقرب الى الفلاسفة منه الى المتكلمين ، ومع ذلك فهو يتوجه الى هؤلاء وهؤلاء بنقد عام يستعلى به عليهم لانهم على غير ملته ، فقال « ان الفلاسفة يسمون الله العلة الاولى ، والمتكلمين يهربون من تسميته بالعلة الاولى والسبب الاول ، ويسمونه الفاعل ويظنون أن هناك فرقا عظيما بين سبب وعلة من جانب وبين فاعل من جانب آخر ، والذى نعلمه أنه لا فرق بين قولك علة أو فاعل فى هذا المعنى ، وذلك أنك اذا اخذت العلة أيضا بالقوة فهى تتقدم معلولها بالزمان ، وأما اذا كانت علة بالفعل فان معلولها موجود بالفعل ضرورة ، ولذلك متى اخذت الفاعل فاعلا بالفعل فانه يلزم وجود مفعوله ضرورة لان البناء قبل أن يبنى بيتا ليس بناء بالفعل لكنه بناء بالقوة ، كما ان مادة ذلك البيت قبل أن يبنى هى بيت بالقوة ، فعندما يبنى بناء بالفعل يلزم وجود شىء مبنى حينئذ ضرورة فما ربحنا شيئا فى تفضيل اسمية فاعل على اسمية علة » . ثم يقول عن المتكلمين والمعتزلة والاشعرية « ان كل ما قالوه انما هو آراء مبنية على مقدمات مأخوذة من كتب اليونان والسريان الذين راموا مخالفة آراء الفلاسفة ودحض اقوالهم ، وكان سبب ذلك أنه لما عمت الملة النصرانية بين الملل وكانت آراء الفلاسفة شائعة فى تلك الملل ، ومنهم نشأت الفلسفة ، ونشأ ملوك يحمون الدين ، رأى علماء تلك العصور من اليونان والسريان أن هذه دعاوى تنقضها الآراء الفلسفية نقضا عظيما بينما نشأ فيهم علم الكلام ، وابتداوا يثبتون مقدمات نافعة لهم فى اعتقادهم ، ويردون على تلك الآراء التى تهد قواعد شريعتهم ، فلما جاءت ملة الاسلام ونقلت اليهم كتب الفلاسفة نقلت اليهم ايضا تلك الردود التى الفت على كتب الفلاسفة ، فوجدوا كلام يحيى النحوى وابن عبرى وغيرهما فى هذه المعانى ، فتمسكوا بها وظفروا بمطلب عظيم بحسب رأيهم ، واختاروا ايضا من آراء الفلاسفة المتقدمين كل ما رأوا أنه نافع لهم ، وان كان الفلاسفة المتأخرون قد برهنوا على بطلانه ورأوا أن هذه امور مشتركة ومقدمات يضطر اليها كل صاحب شريعة ، ثم اتسع الكلام وانحطوا الى طرق أخرى عجيبة ما الم بها المتكلمون قط من يونان وغيرهم ، لان أولئك كانوا على قرب من الفلسفة ، ثم جاءت فى الاسلام اقاويل شرعية خصيصة بهم احتاجوا ضرورة الى ان ينصروها ، ووقع ايضا اختلاف فى ذلك فأثبتت كل فرقة منهم مقدمات نافعة لها فى نصرة رأيها . . وبالجملة ان كل المتكلمين من اليونان والمسلمين لا يتبعون الظاهر من امر الوجود أولا فى مقدماتهم ، بل يتأملون كيف ينبغى ان يكون الوجود حتى يكون منه دليل على صحة هذا الرأى او نقضه ، فاذا صح ذلك التخيل فرضوا أن

الوجود على صورة كذا واحتاجوا الى اثبات تلك الدعاوى التى تؤخذ منها تلك المقدمات التى يصحح بها المذهب او لا ينقض » . ولم يلتفت علماء المسلمين الى تعميمات موسى بن ميمون لانه كتبها بحروف عبرية فلم يعرفوها ولم يوجهوا اليها عنليتهم . واعتبر اليهود ابن ميمون فى غاية الجراة ان يقتحم هذه المشكلات اقتحاما عنيفا ، وان يخرج منها ان كان قد خرج منها موفقا بين الدين والفلسفة مرة ، او مرجحا الدين مرة ، او الفلسفة أخرى ، ومن ثم ايقظ العقلية اليهودية على الفلسفة من خلال الفلسفة العربية حتى ذكر الغزالى والفارابى وابن رشد وأرسطو وافلاطون وجالينوس بجانب أحبار اليهود ، ودرست آراؤهم الفلسفية فى المعابد الى جانب التوراة والمشنا والتلمود ، وانقسم الناس ازاءه قسمين ، فريق يؤيده وآخر يرفضه ، وعلل الرافضون رفضهم بأن موسى قد جعل ارسطو فى مرتبة المشترع الاسرائيلى ، وذهب الى تأويل نصوص التوراة على الطريقة الفلسفية ففتح فتحا الى التأويلات السخيفة ومال بالناس الى دراسة كتب الدين عن طريق الفلسفة ، وتزعم الرافضين الحبر سليمان بن ابراهيم من مونبلييه ، واحتدم الصراع بين الرافضين والمؤيدين ، وأعلن المؤيدون لعنة الحرمان على ابن ابراهيم الرافض وافراد شيعته ، فألب المعارضون السلطة واستعدوها على الكتاب بحجة انه يعرض بالمسيحية ، فجمعت نسخة وأحرقت أمام الجماهير فى مونبلييه وباريس سنة ١٢٣٣ ، وفى سنة ١٣٠٥ اجتمع رؤساء اليهود فى برشلونة واعلنوا لعنة الحرمان على كل من يدرس العلوم الفلسفية قبل بلوغ سن الخامسة والعشرين ، وانتشر احراق الكتاب فى كل البلاد التى فيها اليهود ، ويقول اسرائيل ولفنسون انه لم يحدث أن كان لكتاب عبرى مثل هذا التأثير بعد التوراة والتلمود ، لان انصار موسى فى حياته وبعد وفاته كانوا يقراونه ويدرسونه فى الكنائس ، واصبح عماد الاسترشاد لكل من درس كتب الدين وفقه الشريعة .

* * *

ابن وقار Ibn Waqar

يوسف بن ابراهيم بن وقار ، من اسبان القرن الرابع عشر ودائرة الثقافة الاسلامية ، له كتاب « المقالة الجامعة فى بيان الفلسفة والشريعة » بالعربية ، يقلد فيه ابن رشد والغزالى ، ويحاول التوفيق بين أهداف ومناهج الفلسفة والشريعة . والفلسفة التى يعرفها هى التى يطرحها ابن رشد والفارابى وابن سينا وابن طفيل فى كتبهم ، وفلسفته اليهودية يستقيها من الميمونى وموسى

اللاوى ، غير ان قوله بالعقول الفلكية والعقل الفعال واستغراقه فى شطحات القباليين الى حد الاغراب صرفت القراء عن كتابه فلم يتجاوز النسخ اليدوى .

* * *

ابن يشوع Solcmon Maimon

(نحو ١٧٥٢ — ١٨٠٠) سليمان بن يشوع ، الملقب بسليمان الميمونى ، لاعجابه بموسى بن ميمون ، وهو المانى ، وان كان قد ولد بلتوانيا من أعمال بولندا آنذاك ، الا انه هاجر الى المانيا فى سن الخامسة والعشرين ، وكانت دراسته يهودية محضة ، فاستطاع ان يتقن الالمانية وعاش فقيرا بقلمه يكتب بالمانية والعبرية ، وله شرح بالعبرية للجزء الاول من « دلالة الحائرين » لموسى ابن ميمون ، الا انه اشتهر بتفسيره اليهودى لفلسفة كنط ، وقيل ان كنط اعتبر كتابه « مقال فى الفلسفة المتعالية » من أحسن الشروح عليه ، وقال ابن يشوع ان منهجه فيه تلمودى اكتسبه عن موسى بن ميمون ، من دراسته لكتابه « تثنية التوراة » ، وهو منهج تحليلى يقوم على المقابلة والحكم التفصيلى ، وفلسفة ابن يشوع تلفيقية يحاول فيها أن يتابع ابن ميمون فى المزج بين الروح العلمية الالمانية والروح الربانية اليهودية ، ويبدو ان تفسيره لكنط ، ومذهبه فى هذا التفسير كان له تأثير من بعد على اعتناق كثير من اليهود للكنطية .

* * *

ابن يعقوب Ben Jacob

نسيم بن يعقوب القيروانى ، عاش فى القرنين العاشر والحادى عشر ، وله « كتاب مفتاح مغاليق التلمود » بالعربية ، فقد كان متكلما مغتزليا له اتجاهات افلاطونية محدثة ، وتفسيره للدين عقلى ، وهو يستخدم صيغ المعتزلة فيفتتح كتابه بحمد الله والثناء عليه ، ويقول ان علم الله وقدرته هما ذاته ، وان الله لم يفرض أوامر الا واعطى المؤمن القوة على تنفيذها ، وهو يحاول فى شروحه ان يسقط التجسيم والتشبيه ، ويستعير مذهبه فى الحساب (تعويض آلام الاطفال) عن المعتزلة ، ويقول ان الهدف من التنزيل هو ازالة الشك الذى تثيره المعرفة مخالفا بذلك راى سعدى الذى يذهب الى القول

بان الشك سبب المعرفة ، ويتجاوزه ابن يعقوب فيرى أن المعرفة التى يعطيها التنزيل هى المعرفة الحقة لانها الاثبت والارسخ .

* * *

ابو البركات Hibat Allah

(نحو ١٠٧٧ — ١١٦٥ م) هبة الله بن ملكا ابو البركات البغدادى ، فيلسوف العراقيين ، ولقبه أوحد الزمان ، قيل انه اسلم طلبا لسلامة نفسه من غضب السلطان ، وقيل طلبا لدوام نعمة السلطان عليه ، ويبدو أن اسلامه كان ظاهريا لانه كتب بالاضافة الى كتابه الفلسفى « المعتبر » تفسيرا باللغة العربية لسفر الجامعة كان له شأن من الناحية الفلسفية ، ومدحه الشاعر اسحاق بن ابراهيم بن عزرا بقصيدة باللغة العبرية ، وايا كانت حقيقة اسلامه فالشاهد أنه كان يهوديا من دائرة الثقافة الاسلامية ، تتلمذ على أبى الحسن سعيد بن هبة الله ، وكتابه « المعتبر » ذكره القفطى فقال انه احسن كتاب صنف فى هذا الشأن فى ذاك الزمان ، وقد تناول فيه المنطق والطبيعيات والالهيات ، واستن فيه لنفسه منهجا استنبط منه اسم الكتاب « المعتبر » لانه كما يقول « ضمنته ما عرفته واعتبرته وحققت النظر فيه وتممته ، لان ما نقلته عن غير فهم ، أو فهمته وقبلته من غير نظر واعتبار ، ولم أوافق فيما اعتمدت عليه فيه من الآراء والمذاهب كبيرا لكبره ، ولا خالفت صغيرا لصغره ، بل كان الحق من ذلك هو الغرض ، والموافقة والمخالفة فيه بالعرض » ، وهو يركن فى منهجه هذا الى اليقينيات الاولية يدحض بها القضايا المكتسبة السائدة عند معاصريه ، وفى ذلك يقول ابن تيمية « عترض ابو البركات على ما ذكره ابن سينا بما يبين فساد الفرق بين الذاتى المقوم والعرضى اللازم ، وابو البركات لما كان معتبرا لما ذكره ائمة المشائيين لا يقلدهم ولا يتعصب لهم كما يفعله غيره مثل ابن سينا وامثاله » ، ويمدحه ابن تيمية بأنه اقرب الى السنة والحديث فقال « ولكن ابن سينا نشأ بين المتكلمين النافين للصفات، وابن رشد نشأ بين الكلابية ، واو البركات نشأ ببغداد بين علماء السنة والحديث » ، وقال « واما ابو البركات صاحب المعتبر ، ونحوه ، فكانوا بسبب عدم تقليدهم لاولئك وسلوكهم طريقة النظر العقلى بلا تقليد ، واستنارتهم بأنوار النبوات ، اصلح قولا فى هذا الكتاب من هؤلاء وهؤلاء فأثبت علم الرب بالجزئيات ورد على سلفه ردا جيدا » ، وقال ايضا « وابو البركات وامثاله قد ردوا على ارسطو ما شاء الله لانهم يقولون انما قصدنا الحق ، وليس قصدنا التعصب لقائل معين ولا لقول معين »،

وقال فى مسئلة جواز قيام الحوادث بالقديم « ومن جوز قيام الصفات بالبارى ،نهم جوز قيام الحوادث به مثل كثير من أساطينهم القدماء والمتأخرين كأبى البركات » ، وقال فى مسئلة الصفات « ولهذا لما تفطن أبو البركات لفساد قول ارسطو افرد مقالة فى العلم وتكلم على بعض ما قاله فى المعتبر وانتصف منه بعض الانتصاف مع أن الامر أعظم مما نكره أبو البركات » ، ثم قال « ويجوزون حوادث لا أول لها ، ولهذا كان كثير من أساطينهم ومتأخريهم كأبى البركات خالفوهم فى اثبات الصفات وقيام الحوادث بالواجب ، وقالوا لاخوانهم الفلاسفة ليس معكم حجة على نفى ذلك » ، وآخر ما قال « وليس هذا من لوازم القول بقدم العالم، بل فى القائلين بذلك من يقول ان الله يفعل بمشيئته وقدرته كأحد القولين اللذين ذكرهما أبو البركات واختاره » . ومما خالف به أبو البركات الارسطيين قوله بوجود حيز ذى ثلاثة مقادير ، وتعريفه للزمان بأنه مقدار الوجود لا مقدار الحركة ، والزمان عنده ، على غير ما يقول ابن سينا ، يتعلق بوجود الخالق كما هو يتعلق بوجود المخلوق ، ولكنه يوافق ابن سينا فلا يقبل القول بأن الحركة برهان على وجود الله ، وينكر مذهب الفيض الذى يقول به الافلوطينيون ويرى أن الاشياء خلقت بسلسلة من الارادات الالهية الازلية أو المحدثة ، ولكن نزعته الشخصانية فى تصوره لله تقربه من مذاهب علم الكلام ، كما تقربه نزعته التجريبية من القائلين بأن الطبيعيات أمور محسوسة يكون الحق فيها لناصر الحس والمشاهدة والتجربة لا القياس البحت والظن الصرف .

***

الابيونيون Ebionites

فرقة من اليهود المتنصرين ، عرفوا بهذه التسمية العبرانية الاصل التى ربما تعنى الاغمار لانهم كانوا من نكرات اليهود ، وقيل ربما هذا الاسم هو الذى أطلقوه على انفسهم بمعنى انهم الفقراء الى الله وبوصفهم يهودا كانت الشريعة تلزمهم ، ولكنها لم تكن تلزم المسيحيين من غير اليهود ، ولانهم تمسكوا بالناموس لم يجد بولس الرسول بدا من الانصراف عنهم بدعوته والتوجه الى غير اليهود ، ورغم انهم قبلوا المسيح الا انهم قبلوه بمعنى المهدى المنتظر ، ورفضوا الاقرار بألوهيته وولادته العذرية ، وشايعوا كبيرهم سيرينثس الفريسى فقالوا أن المسيح ليس سوى رسول قد خلت من قبله الرسل ، وانكروا رسولية بولس لانه قال بغير ذلك مجدفا فى حق الله ومستحقا اللعنة . وذهب فريق من الابيونيين مذهب الغنوصيين فقالوا ان المسيح

هو آدم ، وقال فريق آخر بانه الروح القدس ، حل بآدم ، ثم بالآباء ، واخيرا حل بعيسى ، فلما صلب عيسى صعد الروح القدس الذى هو المسيح الى السماء . وعندهم جميعا ان المسيح قد ورث الشريعة عن موسى ، وانه لا كتاب سوى الاسفار الخمسة ، وهؤلاء كانوا من الزهاد ، وعاشوا كبطرس على الخبز والزيتون ولم يقبلوا الخمر وعافوا الزواج ثم عادوا فأباحوه من بعد .

* * *

احد العامة Ahad Ha - Am

(نحو ١٨٥٦ — ١٩٢٧) الاسم القلمى لاشير جينزبرج ، صاحب الدعوة الى التربية اليهودية قبل الدولة اليهودية ، وهو بالعبرية آحاد هعام ، وكان قد وقع به مقالا له يعارض برنامج جمعية احباء صهيون فى أوديسا حيث ولد ونشأ ، لانه برنامج يطالب بالهجرة اليهودية الفورية الى فلسطين بوصفها السبيل العملى الوحيد لتأسيس الدولة اليهودية ، فكتب يقول « ليس هذا هو الطريق » ، فلا هجرة بدون اعداد روحى مسبق ، وليس الوطن اليهودى هدفا فى حد ذاته ، وانما الهدف هو انشاء وطن يكون ملهما ليهود العالم على الوحدة والمحافظة على جوهرهم بوصفهم الشعب المختار الذى اختص برسالة نحواها الاخلاق ، فالصهيونية اخلاقية قبل أن تكون سياسية ، واسرائيل ليست مجرد تجمع يهودى ، ولكنها مركز ثقافى روحى لكل يهود العالم ، ومصدر غذائهم الدائم بالقيم اليهودية ، ومن ثم اسس آحاد هعام جمعية اطلق عليها اسم بنى موسى ، بهدف نشر المثل القومية اليهودية وبعث الاحساس بمعنى الامة والرسالة لدى يهود العالم ، وظل يراس دعوتها السرية من ١٨٨٩ الى ١٨٩١ ، وعارض هرتزل ووصف برنامج الصهيونية السياسية بأنه ضرب من الخيال لانه لا ينهض على علم بتاريخ اليهودية وحقيقة الاسهام الحضارى لليهود ، ومن ثم فمآل الدولة التى تقوم عليه أن تكون شكلا بلا مضمون ، اى انها ستكون دولة هزيلة تلعب بها الدول الكبرى ، ولكن آحاد هاعام شارك مع ذلك فى الاحداث التى ادت الى اصدار وعد بلفور الشهير ، وادرك منذ البداية مدى ما سيحيق الشعب العربى فى فلسطين من غبن ، ولذلك اعلن أن اى برنامج لتأسيس الدولة اليهودية فى فلسطين لا بد ان يضع فى اعتباره الحقوق القومية لهذا الشعب ، وكتب سنة ١٩٠٨ « فى مفترق الطرق » ، ثم استقر اخيرا فى تل ابيب (١٩٢٣) داعيا الى ان الامة هى انا الشعب ، وهى قوته الابداعية الذاتية وجماع ذكرياته وارادته على البقاء التى يعبر عنها فى

معتقداته السياسية والدينية والخلقية ، وعندما تشتت اليهود انفرط عقد الامة فاصبح الانا فرديا وليس قوميا ، ولم يعد الاحساس القومى فى الشتات بالدرجة التى يدفع اليهود الى استرداد التراب اليهودى ، ومن ثم فلكى نطالب بالارض ونقيم الدولة لا بد من بعث القومية اليهودية، والسبيل الى بعثها هو بعث الروح اليهودية ، بالتربية والتثقيف وتطوير التراث وتطوير الادب وكافة الاشكال الثقافية ، وهو مايسميه آحادهاعام رسالة الصهيونية ومضمونها الروحى ، فالصهيونية الثقافية هى التى ستلهم الشعب ارادة الخلاص ، وهذه ستدفعه الى الاستيطان . ولايخفى تاثير الاستنارة اليهودية على فلسفة آحاد هاعام ، وكذلك تأثره الواضح بنيتشه وداروين ، فمن الاول أخذ فكرة السوبرمان فقال بالامة المتفوقة ، ومن الثانى اقتبس نظرية البقاء للاصلح واعتبر استمرارية اليهود دليلا على انهم الامة الاصلح وهو معنى « الشعب المختار » .

* * *

الادومية Edomism

مذهب الفرنكيين اتباع يعقوب فرنك ، نسبة الى ادوم ومعناها الاحمر لقب عيسو بن اسحق لانه كان احمر عند ولادته . ولانه باع بكوريته لاجل طعام احمر اللون ، وسميت سعير التى سكنها عيسو واولاده باسم أدوم ، وصارت عند الفرنكيين رمزا للحياة كما ينبغى لها أن تعاش ، ولونها عندهم اللون الاحمر ، فقد كان عيسو صيادا وكما يقول « صائر الى الموت فمالى والبكورية » وتعنى البكورية الشريعة ، والفرنكيون يبطلونها على مذهب عيسو وينشدون الفطرة بدعوى انها الحياة الحقة التى سيدعو اليها المسيح الذى هو المهدى المنتظر ، لان الشريعة تكون باقتراف الانسان للخطيئة ، وبنزول المسيح ترفع الخطيئة عن الانسان فلا تعود ثمة ضرورة للشريعة ، والرحلة الى عيسو او ادوم كان يعقوب أخو عيسو الذى اشترى منه بكوريته قد وعده بها ليستأنفا الحياة معا ولكنه لم يستطع الوفاء بوعده لان همته تقاعست به عن القيام بها ، ولكن المسيح سيقوم بها فى آخر الزمان وسيتابعه على الرحلة المؤمنون . وادوم هى طوبى آخر الزمان ، والادوميون مبطلون ينكرون المعاد والحساب ، وحلوليون يقولون ان روح الله تحل بالانبياء ، وانها قد حلت فى ابراهيم واسحق ويعقوب ، حتى حلت فى آخر الزمان فى يعقوب فرنك المهدى المنتظر ، وهم اباحيون يقولون انه برفع الخطيئة يباح كل شىء ولا يحظر اى شىء .

* * *

ارم Arama

(نحو ١٤٢٠ – ١٤٩٤) اسحق بن موسى ارم او الارم بمعنى الهادى او الذى يهتدى به ، فلسفته ايمانية اخلاقية ، تعادى الخط العقلانى الذى بداه الميمونى ، وكتابه « عقيدة اسحق » محاولة للرد على «دلالةالحائرين» للميمونى ، وهو عبارة عن مواعظ نقل الكثير منها من اسحق ابرابانيل ونسبها الى نفسه . ويطرح فى كل منها احدى القضايا الفلسفية ، ثم يرد عليها من التوراة بما يدلل على تهافت العقل ، ويعرض مفهوم الله فى ضوء العقل والنقل ليوضح الفرق فى المنهج وهو فرق تظهره قوة ايمان ابراهيم الذى ينصاع لصوت الايمان فيسارع لذبح ابنه اسحق ؛ ويطيع الابن بلا نقاش ، ومن ذلك يشتق ارم اسم كتابه « عقيدة اسحق » . وارم من اهل الباطن ، ويذهب الى تفسير التوراة بطريقة « الزهار » كتاب الباطنية اليهود ، ويقول بحرية الانسان ومن ثم مسئوليته ، ولكنها حرية لا تتنافى مع القول بالقدرية ومعناها عنده مطلق ارادة الله وعلمه السابق وخيريته . والاخلاق عنده هى الوصايا العشر ، وهى نفسها الفضائل العقلية التى نبه اليها الفلاسفة ، وهى قوانين طبيعية او فطرية ، غايتها سعادة الانسان التى هى خير الفلاسفة الاسمى .



اريستوبولوس Aristobulus

(النصف الاول من القرن الثانى قبل الميلاد)
من أوائل الذين ردوا الفلسفة اليونانية الى أصول يهودية فزعم فيها زعم أن اجزاء من سفر التكوين قد ترجمت الى اليونانية قبل ظهور الترجمة الكاملةالمعروفة بالسبعينية ، وأن فيثاغورسوسقراط وأفلاطون وارسطو قد اطلعوا عليها وكانت اساسهم الذين بنوا عليه فلسفاتهم فى أصل الكون . وذهب اريستوبولوس الى تأويل نصوص التوراة على طريقة انتيستانس الكلبى ، فيما قال ، فى تأويل حكايات هومر عن الآلهة ، فاذا ذكر التوراة ان الله قد خلق العالم فى ستة ايام واستراح فى اليوم السابع ، فان المقصود بالايام الستة هو المراحل التى تعاقب عليها هذا العالم حتى بلغ مبلغه الحالى من الانتظام والانسجام والتوافق بين أجزائه ، وهو ما يعنيه التوراة من قوله ان الله قد استراح فى اليوم السابع ، او انه قد جلس واستوى على العرش ، فالجلوس المقصود هو الاستقرار ، والاستواء هو الانتظام ، وبذلك يعتبر اريستوبولوس من اوائل المدافعين عن اليهودية ضد الذين اتهموها

بالتجسيم ، وهو يعتبر ان تكرار الاعداد فى التوراة ، كالعدد سبعة (السموات سبع ، وأيام الخلق سبعة ، وقوى الانسان سبع هى الحواس الخمس والنطق والعقل) ، هو أصل نظرية الاعداد عند الفيثاغوريين .

* * *

اسرائيلى Israeli

(نحو ٨٥٠ — ٩٥٠ م) اسحق اسرائيلى ، مصرى هاجر الى القيروانى التى كانت آنذاك من اهم المراكز الثقافية الاسلامية فى العصور الوسطى ، وتتلمذ فيها على الطبيب العربى اسحق ابن عمران ، واشتهر كطبيب ، ويعتبر اول فيلسوف أفلاطونى محدث فى اليهودية ، ولو ان ابن ميمون لا يدرجه ضمن الفلاسفة ويقول انه طبيب فحسب ، وقد يكون ابن ميمون على حق ، فكتاباه « كتاب التعاريف » ، و « كتاب العناصر » ، وهما محفوظان فى ترجماتهما العبرية واللاتينية من اصولهما العربية ، لا يبدى فيها اسرائيلى الكثير من الاصالة ، غير ان استطراداته الكثيرة المنطقية والميتافيزيقية والطبية ، وهوامشه على كتاب التعريفات ، تعد محاولات جادة لتركيب مذهب يهودى على اساس من الفلسفة الاسلامية القائمة على ارضية اغريقية من الفلسفتين المشائية والافلاطونية المحدثة ، والغاية عنده من التفلسف هى معرفة الله بقدر ما يستطيع الانسان ، وهو هدف عقلى اكثر منه خلقى . ويسلم اسرائيلى بفكرة الخلق ، غير أنه يميز بين الخلق من العدم ، والتوالد الطبيعى للاشياء على أساس موجود من قبل ، ويقول ان الله قد خلق العالم لانه أراد أن تتنزل فيه حكمته ، ولقد فاض العقل من الله ، ومن العقل فاضت النفس بدرجاتها المختلفة ، ومن الدرجة السفلى للنفس كان ملك السماء الذى يؤثر فى الطبيعة ، وعنده تتوقف سلسلة الفيوضات ، وتكون العناصر التى هى اصل الاجسام المركبة ، ونظريته فى العناصر ياخذها من المدرسة الارسطية ، وكذلك فكرة النفس العقليةوالحيوانيةوالنباتية، فالاولى تفيض مباشرة من العقل ، ويتلوها الاثنان الآخران ، والنفس الفردية هى جوهر مستقل عن الجسم ، لكنها تتحد به من اجل ان يعرف الانسان الحقيقة (فكرة افلاطونية) ويحيا حياة مطابقة للقانون الخلقى، ويلغى الجزاء الالهى الذى هو عبارة عن اتحاد النفس الفردية بالنفس الكلية ، وبذلك يصل مذهب اسرائيلى عن الجزاء بمنهج مختلف الى النتيجة ذاتها التى يصل اليها الفكر الدينى الخالص .

* * *

الاحاديث التى كان المسلمون يستشهدون بها من التوراة ، ويذكر ان اول من ادخل ذلك عبد الله بن عباس ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد وصفه النبى عليه السلام فقال « اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل » ، ولذلك اطلق عليه المسلمون اسم الحبر البحر ، وترجمان القرآن ، وكان اسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره للقرآن ينقل عن ابن عباس ، ويتناقل عنه ما يحكيه من اقاويل التوراة التى اباحها رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو ، ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد اصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الاذن فى ذلك . ولكن هذه الاحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فانها على ثلاثة اقسام ، أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح ، والثانى ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه ، والثالث ما هو مسكون عنه ، لا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ، ولا نكذبه ، ويجوز حكايته لما تقدم ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود الى امر دينى ، ولهذا يختلف علماء اهل الكتاب فى هذا كثيرا ، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك ، كما يذكرون فى مثل هذا اسماء اصحاب الكهف ، ولون كلبهم ، وعددهم ، وعصا موسى من أى الشجر كانت ، واسماء الطيور التى أحياها الله لابراهيم ، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة ، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى ، الى ذلك مما ابهمه الله تعالى فى القرآن ، مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دينهم ولا دنياهم ، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز ،كما قال تعالى : سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ، رجما بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ، قل ربى أعلم بعدتهم مايعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ، ولا تستفت فيهم احدا » ، فقد اشتملت هذه الآية على الادب فى هذا المقام ، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا ، فانه تعالى حكى عنهم ثلاثة اقوال ، ضعف القولين الاولين ، وسكت عن الثالث فدل على صحته ، اذ لو كان باطلا لرده كما ردهما ، ثم ارشد على ان الاطلاع على عدتهم لاطائل تحته،فقال فى مثل هذا « قل ربى اعلم بعدتهم فانه ما يعلم ذلك الا قليل من الناس ممن اطلعهم الله عليه ، فلهذا قال » فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا » ، اى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته ، ولا تسألهم عن ذلك ، فانهم لا يعلمون من ذلك

الا رجم الغيب ، فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف : أن تستوعب الاقوال فى ذلك المقام ، وأن تنبه على الصحيح منها ، وتبطل الباطل ، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لافائدة تحته، فنشتغل به عن الاهم فالاهم ، وهو منهج ابن كثير فى تفسيره وابن تيمية فى مقدمته فى اصول التفسير . ويذكر الامام البقاعى فى كتابه الاقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة : حكم النقل عن بنى اسرائيل ولو كان فيما لا يصدقه كتابنا ولا يكذبه الجواز وان لم يثبت ذلك المنقول ، وكذا ما نقل عن غيرهم من اهل الاديان الباطلة ، لان المقصود الاستئناس لا الاعتماد ، بخلاف ما يستدل به فى شرعنا ، فانه العمدة للاحتجاج للدين فلا بد من ثبوته ، فالذى عندنا من الادلة ثلاثة اقسام : موضوعات وضعاف وغير ذلك ، فالذى ليس بموضوع ولا ضعيف مطلق ضعف يورد للحجة ، والضعيف المتماسك للترغيب ، والموضوع يذكر لبيان التحذير منه بأنه كذب ، فاذا وازنت ما ينقله أئمتنا من أهل ديننا للاستدلال لشرعنا بما ينقله الائمة عن اهل الكتاب ، سقط من هذه الاقسام الثلاثة فى النقل عنهم ما هو للحجة فانه لا ينقل عنهم ما يثبت به حكم من أحكامنا . ويبقى ما يصدقه كتابنا فيجوز نقله وان لم يكن فى حيز ما يثبت ، لانه فى حكم الموعظة لنا . وأما ما كذبه فهو كالموضوع لا يجوز نقله الا مقرونا ببيان حاله . ويروى ابن خلدون فى مقدمته فى أسباب تسرب الاسرائيليات الى المسلمين واسباب استكثارهم من روايتها أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والامية ، واذا تشوقوا الى معرفة شىء مما تتشوق اليه النفوس البشرية فى أسباب المكونات وبدء الخليقةواسرار الوجود فانما يسألون عنه اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم ، وهم اهل التوراة من اليهود كانوا يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ماتعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين اخذوا بدين اليهودية ، فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالاحكام الشرعية التى يحتاطون لها مثل اخبار بدء الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم ومثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلاموأمثالهم. فامتلأت التفاسير من المنقولات عنهم ، وفى أمثال هذه الاغراض اخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام فيتحرى فيها الصحة التى يجب بها العمل ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات ، واصلها عن اهل التوراة الذين يسكنون البادية ولاتحقيق عندهم كما قلنا بمعرفة ما ينقلونه من ذلك ، الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهملما كانوا عليه من المقامات فى الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ .

***

الاسـيـيون Essenes او Ossenes

فـرقة يشـتق اسـمهم من أصـل أرامى ، قيـل مـن فعـل آسى وهم المؤاسـون الـذين يسـاوون بـين النـاس سـيد ولا مسـود ، وقيل من اسى ، وهم الاساة بمعنى الزاهدون ، وقيل المفرد هو الآسى الذى يعالج الجراحات وهم الاساة بمعنى الشافون الذين يمتهنون التطبيب . وكانوا لايأكلون اللحم ويأبون الذبح ، وينصحون بالاستعفاف الا من اضطر غير باغ ، وكانوا يعيشون فى مستعمرات خارج المدن ، العضوية فيها بالتطوع ، والاولاد بالتبنى ، ويطالبون بأن تكون الملكية على المشاع ، ولكل منهم حرفة ، واكتناز المـال محظور ، واذا تهيأوا للطعام اغتسلوا وصلوا . يقـولون ان العبادة غاية ، وينكرون المعاد الجسمانى ، ولكنهم يؤمنون بالثواب والعقـاب وبخلود الروح ، ويؤثرون من الثياب البيض ، ولا يبدلونهـا حتى تبلى ، وقراءاتهم فى الاخلاق وفيما يزيد معرفتهم بها وينميها فيهم ، ويعزفون عن المنطق لانه ترف فكرى ، ولا يبحثون فى العلم الطبيعى لان مجاله اوسع من قـدرات الانسان ، لكنهم يتفكرون فى آثار الله سبحانه بتدبر مخلوقاته والنظر فى الكون . وقيل أن النبى يحيى قد تلقى عنهم وعاش بينهم ، وأن المسيح كان من الزاهدين على طريقتهم وان دعوته هى دعـوتهم ، وأن الشركة المسـيحية الاولى كانت على منوالهم ، وقيل انهم كانوا باطنيـة تأثروا بالفيثاغورية والاورفية والزردشتية والبوذية والهرمسية .

* * *

الأفعـويون Ophites

عبـدة الافعى ، مـن افعـه العبـرية التى هى افعى العـربية ، وقيـل انهم هم فرقة من الباطنية وجدت زمن موسى فى برية سيناء قال فيهم سفر العدد « تكلموا على الله وعلى موسى ، وقالوا لماذا اصعدتنا من مصر لنموت فى البرية فانه ليس لنا خبز ولا ماء وقد سئمت نفوسنا هذا الطعام الخفيف ، فأرسل الرب عليهم حيات نارية فلدغت منهم كثيرين وماتوا ، واقبلوا على موسى وقالوا قد خطئنا اذ تكلمنا على الرب وعليك ، فادع الرب ان يزيل عنا الحيات ، فتضرع موسى لاجلهم فقال الرب لموسى اصنع لك حية وارفعها على سارية فكل لديغ ينظـر اليها يحيا ، فصنع موسى حية من نحاس وجعلها على سارية ، فـكان اى انسان لدغته حية ونظر الى الحية النحاسية يحيا » (٢١/٨–٩) . وفى السنوات التالية شاعت عبادة الافعى وقد حطم حزقيا صنمها ودعاها

ساخرا نحشتان اى قطعة نحاس . وقيل أن ارهاصات عبادة الافعى كانت من يوم أن عاينوا افعى موسى تلقف أفاعى سحرة فرعون ، وكانت عبادتها ما تزال ايام المسيح وقد قارن نفسه بها فقال « وكما رفع موسى الحية فى البرية ، هكذا ينبغى أن يرفع ابن البشر لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكن له الحياة الابدية » (يوحنا ٣/٤—١٥) . وقد رمزوا للطب بها فكانت صورتها استجلابا للشفاء ، وقد قيل ان الافعويين كانوا اكثر من فرقة ، ومنهم من عبد الافعى ضد اله التوراة ، لانها كانت مطية ابليس لغواية حواء ، وهى عندهم رمز للحياة او لقوة الحياة ، شأنهم شأن عبدة الشيطان ، وفى التوصية الثالثة من بروتوكولات حكماء صهيون الافعى رمز لسيطرة اليهود كاللوياثان الاسطورى القابض على زمام العالم ، وهى الهة القوة تضفيها على عبدتها كما كانت افعى موسى تهبهم الخلاص والحياة والقوة معا .

* * *

اكوستا Da Costa

(نحو ١٥٨٥ — ١٦٤٠) جبريل اكوستا او داكوستا . يضرب به المثل فى الثورة على الجمود الدينى اليهودى . وكان اكوستا من يهود المارانو البرتغاليين الذين اعتنقوا المسيحية تقية . فلما سنحت لهم فرصة الهجرة ارتدوا ، وكانت هجرة اكوستا الى امستردام (١٦١٥) ، وفيها اصطدم بتعصب الاحبار ، وكان أكوستا عقليا ، فوقف فى وجه هؤلاء ، واعلن معارضته لقطعية الديانة اليهودية. واتهم الربانيين بتحريف عقيدة موسى ، وبدأ ما يسمى فى تاريخ الكتب المقدسة بحركة تفسيرها تفسيرا تاريخيا ، وشكك فى صدق نسبتها لله ، او صدورها عمن صدرت عنهم بالهام من الله ، للتناقض الواضح بين نصوصها ، وانكر صدق التراث المنقول لتعارضه مع المعقولية ، ونفى ان يكون هناك نص فى التوراة على خلود النفس او البعث والجزاء ، وأكد ان ذلك من افتعال الربانيين لمجاراة الديانات الاخرى ، وقد لقى اكوستا نتيجة افكاره تلك الوانا شتى من الاضطهاد من طائفته ، فألبوا عليه الحكومة حتى صادرت كتبه ، وطردوه من مجتمعهم ، وكانوا يبصقون فى وجهه ويلقون على بيته القاذورات والجيف ، ولم يحتمل الرجل سوء المعاملة والفقر ، فندم واعلن توبته بعد خمس عشرة سنة من المهانة ، ولكن قيل انه لم يقبل الطقوس اليهودية ، ومنع اثنين من المسيحيين من اعتناق اليهودية ، فجددوا اتهامه بالكفر ، واضطروه مرة ثانية الى طلب المغفرة واعلان التوبة ، ولكنهم لم يقبلوها منه هذه المرة الا بعد أن جلدوه أمام جمهور اليهود تسعا وثلاثين جلدة ، وكانوا خلالها

يستنزلون عليه اللعنات ، ثم طلبوا اليه ان ينبطح امام باب المعبد ، ومر الجميع من فوقه امعانا فى اذلاله ، وكان ذلك أكثر مما تحتمله أعصابه فعاد الى داره وكتب رسالته الباقية «نموذج الحياة الانسانية» باللاتينية ، سجل فيها كل ما صادفه ، ووجه أشد النقد لفكرة الدين عموما ، وفكرة القانون الطبيعى الذى كان الاعتقاد سائدا بأنه فطرى فى الانسان ، ويجمع بين الناس بالحب المتبادل ، ويستخدم كأساس للتمييز بين الخير والشر ، ثم اطلق على نفسه النار فمات لتوه ، وحاول اليهود ايجاد مختلف المبررات لاضطهاده ، فقالوا ان هؤلاء المهاجرين من بعد كل ما عانوه فى مواطنهم الاصلية من اضطهاد على يد الاسبان والبرتغاليين كانوا حريصين على الا يقبلوا فى صفوفهم أى انشقاق ، وكانوا يرون أن كل من ليس معهم فهو عليهم ، ومن ثم لم يتسامحوا على أى خروج على مبادئهم ، ولكن الرد على هذا الاضطهاد الشنيع للفكر الحر فى حالة اكوستا ان هذه الطائفة التى عانت الاضطهاد كان أولى بها ان تأخذ على عاتقها وضع حد لكل اضطهاد بما فيه اضطهاد الفكر الحر ، وكان الاولى ان تبدأ بنفسها قبل ان تطلب رفع الاضطهاد الواقع عليها من الغير ، فتفتح صدرها رحبا للانتقادات الموجهة اليها ، ولقد كان تأثير كتاب اكوستا كبيرا على الكثيرين من بين اليهود انفسهم ، ولما قراه سبينوزا كان ملهمه فى ثورته على هؤلاء اليهود انفسهم فى امستردام ، وتكررت معه هو نفسه واقعة الاضطهاد ، واوقعوا عليه حكم الحرمان كذلك (١٦٥٦) ، بفارق ان سبينوزا لم يمكنهم منه ، فثبت للنهاية ، ولم يستطيعوا تأليب السلطة عليه .

* * *

البو Albo

(نحو ١٣٨٠ — ١٤٤٤) يوسف البو ، اظهر المدافعين عن اليهود فى العصور الوسطى ، وكان ممثل اليهود فى مناظرة تورتوز الشهيرة (١٤٤٤) ، وهو من دائرة الثقافة الاسلامية وان كان لم يكتب مثل ابن ميمون بالعربية التى كان يتقنها بعد العبرية ، وكتابه « الاصول » يبدو فيه اثر الارسطيين العرب وخاصة ابن رشد ، وان كان لا يذكر ذلك صراحة ، الا أنه فيه ينقل عنهم وعن قريشقش وابن ميمون وسعدى الفيومى والاكوينى عبارات بأكملها ، ويعتبر ان من حقه السطو على افكار الآخرين طالما انه يجد فيما يقولونه ما يدافع به عن دينه ، ولعل هذا هو السبب فيما قيل ان فلسفته تلفيقية ، ودفوعه سطحية لذلك ، وهو يرى أن اية عقيدة لا بد أن تتوفر لها ثلاثة اركان او اصول هى الايمان بالله وبالوحى المنزل

وبالبعث والحساب ، وهو يتابع فى ذلك ابن رشد ، ويربط الايمان بالله بالايمان بوحدانيته ، ويقول عن المسيحية انها حطمت وحدة الذات الالهية وتبدو مخالفة للعقل ، ويربط الايمان بالوحى بالايمان بالشريعة المنزلة على النبى ، والتنزيل وحده ، كما قال ارسطو ، هو الكفيل باقامة نظام صالح اخلاقى وسياسى. والتنزيل او الشريعة التى يقصدها هى شريعة موسى التى تعترف بها المسيحية والاسلام ، والتى لاتنسخها اية شريعة اخرى مالم تتوفر لها نفس الشهادة العلنية التى كانت لشريعة موسى ، وهى ان يشهد تنزيلها خمسون الفا ، ومن ثم يرفض البو اعتبار الاسلام والمسيحية ملزمين .

* * *

الالفانية Alphans

اصحاب الالفان الساحرى ، زعموا أن الثواب والعقاب فى الدنيا ، وقيل اسمهم الدوستانية ومعناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، وهو الاسم الذى اطلقه عليهم خصومهم من الفرقة المقابلة الكوستانية ومعناها الجماعة الصادقة الذين يقرون بالآخرة ويقولون أن الثواب والعقاب فيها .

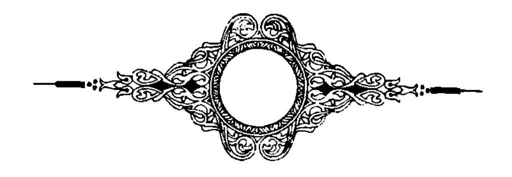
* * *

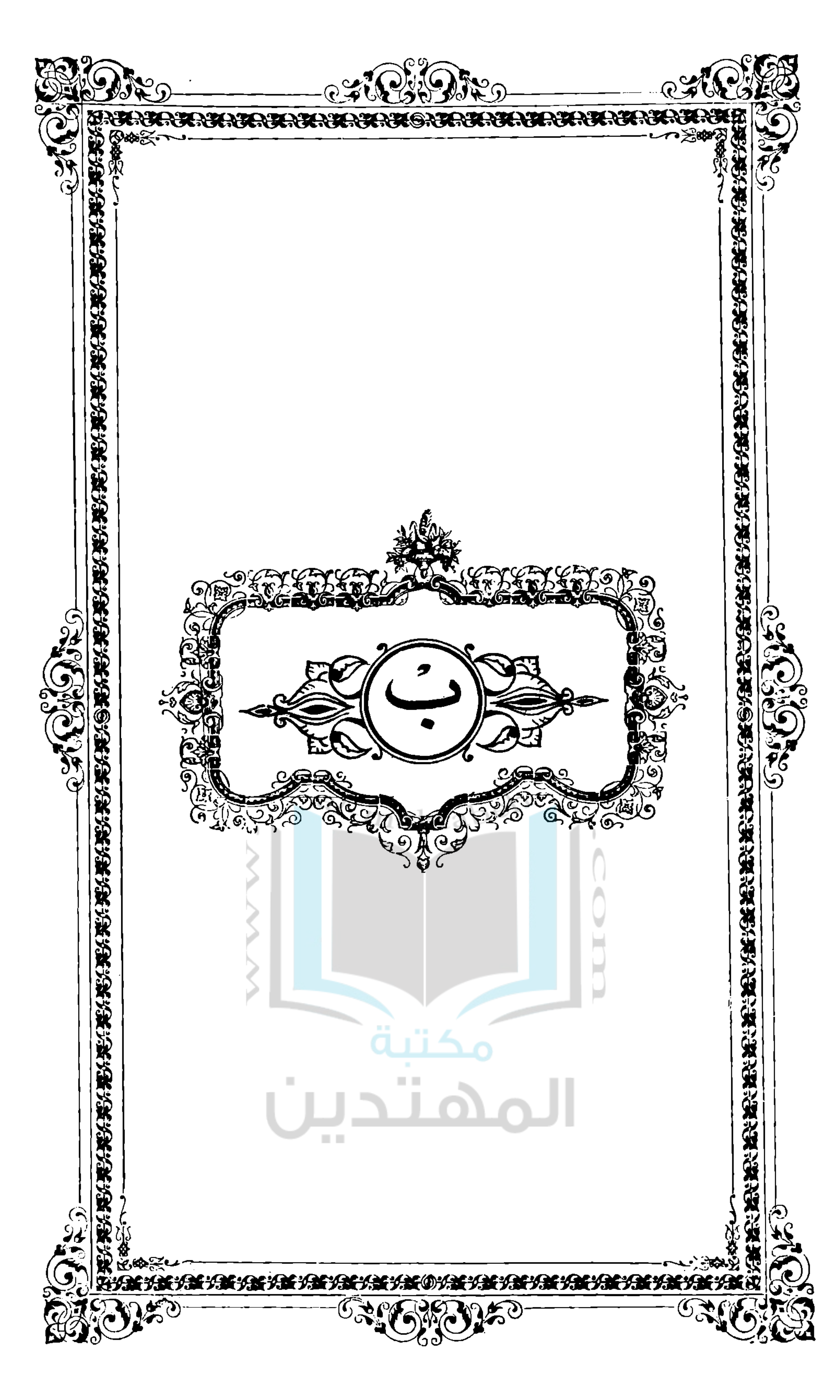
الكسندر Alexander

(١٨٥٩ – ١٩٣٨) شموئيل الكسندر ، اشتهر بأنه ميتافيزيقى طبيعى او واقعى ، وقيل انه خير من يمثل الواقعية المحدثة فى بريطانيا ، وكان استاذا للفلسفة بجامعة مانشستر وعضوا بمجلس الجامعة العبرية ، ومن أنشط اعضاء الجالية اليهودية فى بريطانيا عملا لخير هذه الجالية ، وكتابه الرئيسى « المكان والزمان والالوهية » (١٩٢٠) يبين منه أنه مادى ، لا يؤمن باله مفارق ، ولكنه كسلفه سبينوزا من القائلين بوحدة الوجود ، وان الله هو العالم برمته عبر تطلعه الى التاله ، بمعنى انه يقول بالتطور من الادنى الى الاعلى ، وان العالم قد تخلق من المادة فى شكل انبثاقات كيفية متلاحقة ، كل مرتبة منها تؤدى الى التى تليها وتعتمد على التى قبلها ، والعقل اعلى كيفية انبثق اليها التطور فى الحاضر ، ولكن وجود العواطف الدينية دليل على تطلعات الى المرتبة الالهية ، وليست هذه العواطف لدى البعض الا مشاعر كائنات حبلى بكيفية الالوهية ، وهى الكيفية الجديدة التى يتجه اليها الانبثاق ،

ولكن التنبؤ بما سيكون عليه شكل هذه الكائنات مستحيل ، وانما يمكن القول بأن الفارق بين هذه الكائنات الحاملة للالوهية وبين الانســــان الحامل للعقل هو كالفارق بين هذا الانسان الحامل للعقل وبين المــادة العقل أضل الحياة ، وربما تكون هذه الكائنات الحاملة للالوهية بدورها الاساس لتطور لاحق ولانبثاق كيفية أسمى ، ويعتمد الكسندر فى فكرته عن التطور على فلسفة برجسون فى التطور الخلاق ، وعلى نظرية لويد مورجان ، ويأخذ عنه مصطلحه فى الانبثاقات ، ويقول الكسندر ان اصل المــادة متصل من الحركة يمكن تحليله الى علاقات بين نقاط ولحظات ، والنقطة اللحظة هى أصغر جزء فى الحركة ، وتعيد الى أذهاننـــا مذهب الذرة ، وخاصة اقوال الذريين من فلاسفة المسلمين ، وان كان الكسندر يستخدم فى شرح نظريته مصطلحات علمية ، ويحاول أن يصف ميتافيزيقاه بأنها تجريبية لانها تستخلص مقولاتها من تأمل تركيب العالم ، شأنها فى ذلك شأن سائر العلوم ، الا أن العلم الحديث يتعارض كليا مع ما يقول به ويذهب اليه .






بُ



البــــداء Mutability

هــو اشـــــد من النســـــخ فى التــوراة ، وذلك أن فيهـــا ان الله تعـــالى قال لموسى عليـــه الســـــلام ســـأهلك هـــذه الامة ، وآقدمك على امة اخرى عظيمة ، فلم يزل موسى يرغب الى الله تعالى فى ان لا يفعل ذلك حتى اجابه وامسك عنهم ، وهذا هو البداء بعينهوالكذب، المنفيان عن الله تعالى ، لانه ذكر ان الله تعالى أخبر انه سيهلكهم ويقدم عليهم غيرهم ، ثم لم يفعل ، فهذا هو الكذب بعينه ، تعالى الله عنه .

* * *

البـــديرسى Bedersi

(نحـــــو ١٢٧٠ ــ ١٣٤٠) يدايا بن ابراهيــم البـــــديرسى ، فـــرنسى ، وربمـــا كان للقبـــه صـــلة ببلدة بزييه حيث نشأ ، وثقافته اسلامية ، وقراءاته فى الفلسفة من خلال ما كتب عنها وفيها بالعربية ، وله تعليقات على كتاب القـــانون لابن سينا ، وشروح على تعليقـــات ابن رشد على كتاب الطبيعة لارسطو ، وملخص لكتاب النفس لارسطو، وترجمة لكتاب العقل والمقالة للفارابى ، وشروح على كتاب دليل الحائرين للميمونى ، ورد على سليمان أدرت دفاعا عن الفلسفة والايمان القـــائم على العقل ، وعنده أن الفلسفة اساس طيب للاعتقاد .

* * *

برجســـون Bergson

(١٨٥٩ ــ ١٩٤١) هنـــــرى برجســـــون ، فـــرنسى أمه من اصـــل انجليـــــزى وابوه من اصـــــل بولنـــدى ، تلقى تعليما علمانيا فى مدرسة المعلمين العليا ، وتوجه الى الدراسات الفلسفية فعين أستاذا بالكوليج دى فرانس (١٩٠٠) ، وانتخب عضوا بأكاديمية العلوم الاخلاقية والسياسية (١٩٠١) وبالاكاديمية الفرنسية ، وحصل على جائزة نوبل فى الآداب (١٩٢٨) ، واشتهر بكتابيه « التطور الخالق » (١٩٠٧) ، و « ينبوعا الاخلاق والدين » (١٩٣٢) ، ومع أنه ابتعد بهما عن التراث

اليهودى ، الا ان الالحاد الذى ظهر به الكتاب الاول اكسبه عداوة رجال الدين فظهرت اسماء مؤلفاته فى القائمة التى يذيعها البابا على المؤمنين موردا فيها اسماء الكتب التى تحرم المسيحية عليهم قراءتها ، بينما وجدت الاوساط الفلسفية والدينية فى كتابه الثانى نبرة صوفية قربت بينه وبين الكثيرين ، ونشرت زوجته بعد وفاته وصيته فى فبراير سنة ١٩٣٧ ، يعلن فيها انضمامه الادبى الى الكنيسة الكاثوليكية التى هى فى نظره كمال اليهودية ، مع رغبته فى الوقت نفسه فى عدم اتخاذ الخطوات النهائية للانضمام الى الكنيسة وتقبل طقس العماد « حتى لا يتخلى عن أولئك الذين سيقع عليهم العذاب والاضطهاد من بنى جنسه » . ويظل برجسون بالرغم من كل شىء طبيعيا او من الدهريين ، تقوم فلسفته على القول بالصيرورة ، فالروح فى الطبيعة ليست بمثابة شىء يحل فى شىء آخر ، وكل كائن حى هو فى جوهره زمانى يتصف بالصيرورة التى تعنى تطور الكائن وانتقاله من مرحلة الى اخرى وخضوعه الى حكم الزمن ومروره بأطوار يأتلف منها تاريخ واحد متصل ، فالحقيقة الاولى هى اذن الصيرورة لا الوجود ، والتغير لا الثبات ، وما دام الزمان هو نسيج الواقع فان التطور حقيقة ثابتة ، وتطور الكائن الحى كتطور الجنين ينطوى على تسجيل مستمر للديمومة وبقاء للماضى فى الحاضر ، وبالتالى ما يشبه الذاكرة العضوية ، وفى هذا يبدو الفارق الكبير بين الزمان الحى الواقعى والزمان الرياضى المجرد ، فان الزمان الحى الواقعى هو زمان التطور والديمومة ، بينما الزمان الرياضى المجرد هو زمان الخلق المتجدد الذى لا يكف عن الفناء والتجدد والموت والبعث ، واما التطور فانه عبارة عن استمرار حقيقى للماضى فى الحاضر ، وديمومة حية بمثابة همزة الوصل بين الماضى والمستقبل ، وتسلسل منطقى بين صور التطور ، وتعاقب زمنى بين الاجناس التى تجسمت فيها تلك الصور ، تسلسل وتعاقب ليس آليا ، بل تطور مدفوع باطنيا بما يسميه برجسون بالوثبة الحيوية elen vitel ، تنقل الحياة عبر صورها المتعاقبة التى تزداد تعقيدا حتى تمضى بها نحو اعلى صور الحياة وارفعها ، فكأننا بازاء تيار حى قد نبع فى وقت ما وفى نقطة من مكان ما ، وانتقل من جسم الى جسم ومن جيل الى جيل ، ولم يلبث ان انقسم بين الاجناس وتشتت بين الافراد دون أن يفقد شيئا من قوته ، بل كان يزداد كلما اوغل فى التقدم . ولا يخفى على احد أن برجسون قد جعل هذه الوثبة الحيوية فى مكان الله ، او انه قد خلط بين الله والوثبة الحيوية ، ما دام الله يخضع للديمومة ، ومادامت صفة القدرة المطلقة ليست من صفاته ، والواقع ان نظريته فى التطور تجعل مذهبه طبيعيا ولا تسمح بتصور وجود اله مفارق للكون ، لان كل ما هنالك من فارق بين الله والعالم ان هو الا اختلاف فى درجة الشدة او

التوتر أو الترقى ، فاله برجسون متغير متحرك قابل للنمو والتزايد باستمرار ، ومثل هذا الاله لا يتصف بأى كمال من الكمالات التى ننسبها فى العادة الى المبدأ الالهى ، ومعنى هذا ان تطور برجسون نزعة واحدية Monisme تقربه من بعض الوجوه من مذهب يهودى آخر هو سبينوزا فى وحدة الوجود ، ولو أننا هنا بصدد وحدة وجود صدورية من نوع خاص تجعل من الله الينبوع الحر الخالق الذى تنبعث منه الحياة والمادة على السواء بمقتضى جهد ابداعى يتجلى فى تطور الانواع الحية وظهور الشخصيات البشرية ، وهذا الذى يجعلنا نقول ان البرجسونية فلسفة طبيعية تطورية تخلص للتراث اليهودى وان بدت نائية عنه ، ولذا فقد اتجه برجسون بعد ذلك الوجهة الاخلاقية التى تميز الفلسفة اليهودية، فمع انقسام الدفعة الحيوية وتشتتها ظهرت مراتب الحياة المختلفة،وتميز الحيوان بالغريزة والانسان بالذكاء ، والغريزة وثيقة الصلة بالحياة ، ومهمتها استخدام آلات عضوية او استعمال آلات طبيعية ، وتبلغ أوجها لدى النحل والنمل ، والعقل أو الذكاء ملكة تقوم بوظيفة صناعية هى تركيب واستخدام آلات غير عضوية ، ويبلغ العقل اوجه لدى الانسان ، ويتميز الانسان بالاختراع والخلق ، فهو صانع ، وليست الصفة الاولى له هى الحكمة أو العلم ولكنها العمل او الصناعة ، ولذا تقوم الحياة الاجتماعية على الصناعة . وادى الوثبة الحيوية فى مجال الاخلاق الى ظهور ضربين مختلفين منها يقابلان هذين الاتجاهين المتمايزين ، اتجاه الغريزة واتجاه العقل ، والاولى تناسبه الاخلاق المغلقة ، وهى اخلاق الجماعات المغلقة على نفسها التى تشبه من بعض الوجوه مجتمع النحل او النمل ، والثانى تناسبه الاخلاق المفتوحة التى تتجاوز حدود الجماعة، وعليها يتوقف مصير الانسانية لانها هى التى تفتح امام التطور البشرى افقا واسعا لا نهائيا . وتقوم الاخلاق المغلقة على الالزام الذى يفرض على الجماعة نظاما من العادات يحقق لها وحدتها ويصون كيانها ، بينما الاخلاق المفتوحة تصدر عن نزوع سام تتمثل فيه جاذبية القيم وحب الانسانية ، والاولى يسميها برجسون اخلاقا اجتماعية ومثالها الاعلى تحقيق العدالة والتضامن الاجتماعى ، والثانية يسميها اخلاقا انسانية ومثالها الاعلى هو المحبة والكمال الاخلاقى . وعلى ذلك فاليهودية اخلاق مغلقة من وحى مجتمع مغلق ، ولكن الوثبة الحيوية لم تستطع ان تنتج الا مجتمعات مغلقة بطريقة أو بأخرى ، ولذلك فانها عندما عجزت عن الاستعانة بالنوع بأكمله لم تجد بدا من أن تستعين ببضعة شخصيات ممتازة منه اتخذت منها أدوات لتحقيق مقاصدها واغراضها ، وهؤلاء هم الابطال والانبياء والمصلحون ، رموز الوثبة الحيوية ودعاة المحبة الايثار، وهم الصفوة المختارة التى تحقق للحياة حركتها الصاعدة ، وكأن برجسون

ينطق عن التراث اليهودى وفكرة الشعب المختار ، ولكنه يريد أن يخرج من انغلاق اليهودية الى رحابة العالمية ، ولذا نراه فى وصيته كما قلنا يعلن عن تأيده الادبى للكاثوليكية ، لانه رأى فيها ديانة عالمية تتجاوز اليهودية وتكملها ، ثم انه راى ان يفرق بين ضربين من الدين بعد أن فرق بين ضربين من الاخلاق ، فقال بوجود دين ساكن او استاتيكى ودين متحرك او ديناميكى ، والاول يحمل الفرد على التشبث بالحياة والاخلاص للجماعة ، والثانى تجربة روحية ، منبعها الحدس لا الغريزة ، وغايتها الاتصال بالوثبة الحيوية التى تكمن وراء شتى مظاهر الوجود ، ووسيلتها الانفصال عن كل شىء لا التعلق بأهداب الحياة ، وهو شىء لا نلقاه الا لدى الصوفية ، والصوفى هو تلك الشخصية النادرة التى تستطيع ان تتجاوز الحدود التى عينتها للنوع البشرى ماديته ، وبالتالى تستطيع أن تواصل الفعل الالهى نفسه ، والمسيح فى نظر برجسون هو اكبر شخصية صوفية عرفها التاريخ بحيث يمكن القول ان كل المتصوفة اتباع له ، والصوفى المسيحى يشعر بأن الحب يستنفد وجوده كله ، وهو ليس حب انسان لله ، ولكنه حب الانسانية من خلال الله وبواسطته . ثم يعرف برجسون اله الصوفية بأنه حياة ومحبة تعبر عنهما تلك الوثبة الحيوية التى تصدر عنها ديانتهم ، وهم وحدهم الذين يتلقون عن تلك الطاقة الخلاقة التى هى الاصل فى رؤاهم وكشوفهم ، وعلى عاتقهم تقع مسئولية توجيه الانسانية الى حياة مستقرة مليئة بالمحبة والتعاطف . ورغم هذه النغمة الروحية العالية الا أن برجسون يظل الطبيعى الذى نوهنا عنه ، بقوله بملكة خاصة ارجع اليها الاعتقاد الدينى واطلق عليها اسم الوظيفة الاسطورية ، وهو لم يستخرج من تجارب الصوفية الا ما يخدم نظريته فى التطور الخالق وفلسفته الحيوية والا لما قال ان التصوف انفعال صرف يجهل الصوفى مصدره ، وهذا ما حدا بالكثيرين الى القول بأنه لم يفهم التصوف على حقيقته ، وكيف يفهمه وهو ما يزال متعلقا بمقولاته البيولوجية وتجريبيته المادية وحتى لو قال عنها انها تجربة صوفية ..

***

برجمان Bergman

(١٨٨٣) شموئيل هوجو برجمان ، تشيكى هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٠ ، وكان من شبابه الباكر صهيونيا ، فقد اتصل خلال تلمذته بمارتن بوبر وتأثر به وانطبع بفلسفته ، وخلال دراسته ببرلين انضم للكنطيين المحدثين من اليهود وخاصة هيرمان كوهن وارنست كاسيرر ، واتجاهاته علمية مشايعة لبرنتانو ، ولكنه يقول بالعلم

المؤسس على الايمان ، وله كتاب فى ذلك باسم « الايمان والعقل » ، ولكنه الايمان اليهودى المتعصب ، فهو لا يكتب الا عن اليهود واثرهم فى الفلسفة الغربية ، وعن المسائل الفلسفية من وجهة نظر يهودية ،وبصفة تجربته الدينية بأنها مباشرة ، وانها لقاء يتم بينه وبين الله او فى حضرة الله، شكله الصلاة ، والحوار وسيلته ، ومذهبه فى ذلك كمذهب مارتن بوبر استاذه الذى ينقل مقولات هذه الفلسفة من التجربة اليهودية الكبرى التى يقول انها اللقاء الاكبر بين شعب اسرائيل والله عندما تجلى للشعب وجاذبه اطراف الحديث ، ويطرح برجمان الكثير من هذه الافكار فى كتابه الرئيسى « مفكرون ومؤمنون » (١٩٥٩) .

***

برلين Berlin

(١٩٠٩) اشعيا برلين ، صاحب كتاب « كارل ماركس » (١٩٣٩) الذى اشتهر به ، صهيونى النزعة ، وان كانت فلسفته تقوم على أفكار تتناقض مع الصهيونية بوصفها فلسفة فاشية استعلائية ، فهو يرفض الحتمية التاريخية فى كتابه « أوجست كونت » (١٩٦٤) ، ويقول بالنمط الغربى للحرية فى كتابيه « مفهومان للحرية » (١٩٥٨) و « أربع مقالات فى الحرية » (١٩٦٩) ، بحجة انه النمط الذى يقوم على الاتفاق ويقر مختلف المشارب والحاجات ولا يدعى أصحابه العصمة ، بينما النمط الشيوعى عكس ذلك ، الا أن تأييد اشعيا برلين لاسرائيل والصهيونية يكشف عن عيب أصيل فى شخصيته حيث تتباين عنده النظرية عن تطبيقها ، وتتخالف أقواله عن افعاله ، ورغم انه يكتب عن كارل ماركس من منطلق غربى ، وكذلك كتابه عن« موسى هيس» (١٩٥٩) الا انه يريد أن ينبه ربما الى الشىء المشترك فيهما وهو « عبقريتهما اليهودية » ، وهذه العبقرية الخاصة هى التى شدته الى تأييد اسرائيل وتوثيق علاقاته بزعمائها ، وقد قبل ان يرأس جامعتها فى القدس ، وأن يكون ضمن اللجنة التى اشرفت على نشر رسائل حاييم وايزمان ، وكانت له به صلات حميمة دائما .

***

برنابا Barnabas

برنابا الرسول ، صاحب انجيل برنابا على زعم البعض ، جاء فى الاصحاح الرابع من أعمال الرسل « وان يوسف ،

الذى لقبه الرسل برنابا ، الذى تأويله ابن العــزاء ، اللاوى القبرصى الاصل ، كان له حقل فباعه واتى بثمنه والقاه عند اقدام الرسل » ، فهو اذن من أوائل من استجابوا للشركة المسيحية فحقق المبدأ « وكان جميع المؤمنين معا ، وكان كل شىء مشتركا بينهم ، وكانوا يبيعــــون أملاكهم وامتعتهم ويوزعونها على الجميع على حسب حاجة كل واحد (أعمــال الرسل ، الاصحاح الثانى) . وبرنابا هو الذى شهد لشاول الذى اشتهر فيما بعد باسم بولس ، وقدمه الى التلاميذ ، وكان شاول « قد حاول ان يلتصق بهم فكانوا يخافونه غير مصدقين انه تلميذ ، فأخذه برنابا واحضره الى الرسل ، وحثهم كيف أبصر الرب فى الطريق ، وانه كلمــه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع » (الاصحاح التاسع) ، فلما كان الآباء فى انطاكية ، اختص الروح القدس برنابا وشــاول من المعلمــين جميعهم « افرزوا لى شاول وبرنابا للعمل الذى دعوتهما اليه » (الاصحاح الثالث عشر) ، فلما عاينا تجديف اليهود قالا بجراة « انما كان يجب ان تقــال كلمة الله اولا لكم ، ولكن بما انكم رفضتموها وحكمتم بأنكم غير مستحقين للحياة الابدية فها نحن نتوجه الى الامم » (الاصــحاح الثالث عشر) ، وحدثت على ايديهما المعجزات حتى ظنهما الناس الهين ، وسموا برنابا زوســا وبولس هــرمس ، فلمــا ســمع بذلك برنابا وبولس مزقا ثيــابهما ووثبا نحــو الجمــوع صــارخين وقائلين « ايها الرجال لمــاذا تصنعون هذا ، انما نحن بشر نقبل الآلام مثلكم ، ونحن نبشركم بأن ترتدوا عن هذه الاباطيل الى الله الحى » (الاصحاح الرابع عشر) ، ولكن رفقة الجهاد هذه لم تدم بين الرسولين ، وكان يعلم من بشارة روح القدس ان برنابا وشاول قد افرزا للعمل معا ، ولكن البشارة خبت « فبعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد الاخوة فى كل مدينة بشرنا فيها بكلمة الرب كيف هم ، فارتأى برنابا ان يأخذا معهما يوحنــا المسمى مرقس ، لكن بولس كان يستحسن ان لا يؤخذ معهما من كان فارقهمــا من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل ، فوقع بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الآخر ، فأخذ برنابا مرقس واقلع الى قبرص » (الاصــحاح الخامس عشر) ، ومرقس الذى كان سبب هذا الخلاف هو مرقس الرسول صاحب الانجيل المعروف باسمه ، ويصفه بولس فى رسالته الى اهل كولسى بأنه ابن اخت برنابا ، ويقول عنه صاحب مروج الاخبار فى تراجم الابرار « انه صنف انجيله بطلب من اهالى رومية ، وكان ينكر الوهية المسيح » ، اما بولس فهو القائل بأن المسيح ابن الله ، وكان مرقس تلميذا لبطرس ، وبطرس هو الذى انكر على بولس مقولته عن المسيح وتعطيله للنــاموس ، ولم يكن يرى فى المسيح الا انه نبى قد مسحه الله بروح القدس وبالقوة ، ومن أجل ذلك وصف بولس فى رسالته الى أهل غلاطية بطرس وبرنابا بأنهما

مرائيان ، ولم يرض عن مرقس ، وقيل ان مرقس كتب انجيله بوحى من بطرس ، وقيل ان برنابا هو صاحب الرسالة الى العبرانيين ، ويلاحظ أن هذه الرسالة هى الوحيدة التى تلقب المسيح بالكاهن الاعظم ، وتعقد المقارنة بينه وبين موسى بوصفهما نبيين وليس بوصف المسيح الها ، وكذلك ينسب الى برنابا انه كاتب الانجيل المعروف باسمه ، ولذلك وقع الشقاق بين بولس من ناحية وبرنابا ومرقس من ناحية أخرى ، ويذكر التاريخ ان البابا جلاسيوس الاول الذى جلس على الاريكة البابوية سنة ٤٩٢ م اصدر امرا يعدد فيه اسماء الكتب المنهى عن مطالعتها ، وفى عدادها كتاب يسمى انجيل برنابا ، فانجيل برنابا حقيقة تاريخية وليس كتابا منحولا على المسيحيين ، وصاحبه شخصية تاريخية مشهود لها بالصلاح ، ولم يكن تأخر العثور على نسخة منه حتى فجر القرن الثامن عشر الا بسبب هذا التحريم البابوى ، وقد عثر على هذه النسخة كريمر احد مستشارى ملك بروسيا سنة ١٧٠٩ ، وانتقلت النسخة مع بقية مكتبة ذلك المستشار الى البلاط الملكى بفينا سنة ١٧٣٨ ، وكانت تلك النسخة هى الاصل لكل نسخ هذا الانجيل فى اللغات التى ترجم اليها ، ولكن فى أوائل القرن الثامن عشر ، أى فى زمن مقارب لظهور النسخة الايطالية وجدت نسخة اسبانية ترجمها المستشرقون سايل الى اللغة الانجليزية ، ولكن لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها الا شذرات ، ورجح المحققون أن النسخة الايطالية هى اصل النسخة الاسبانية ، وأن صاحب النسخة الاسبانية مسلم نقلها من الايطالية الى الاسبانية ، وذلك انها قدمت بمقدمة تذكر أن الذى كشف النقاب عن النسخة الايطالية راهب لاتينى اسمه فرامينو ، وأنه يقص قصتها فيقول « انه عثر على رسائل لايرانوس ، وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس الرسول ، ويسند تنديده الى انجيل برنابا ، فدفعه حب الاستطلاع الى البحث عنه ، وقد وصل الى غايته عندما صار من المقربين الى البابا سكتس ، فانه عثر على ذلك الانجيل فى مكتبة هذا البابا ، فأخفاه بين أرديته وطالعه فاعتنق الاسلام » ، وقد قيل فى أمر هذه النسخة انها مدخولة على المسيحيين ولكن الواضح انوجودها يمتد الىمنتصف القرن الخامس عشر او اول القرن السادس عشر ، وكان العثور عليها فى جو مسيحى خالص ، وأول من عثر عليها رئيس دينى خطير وفى خزانة كتبه ، وكاشفها راهب ، ولما تداولتها الايدى انتقلت الىمستشار مسيحى منمستشارى ملك بروسيا ، ثم آلت الى البلاط الملكى بفينا ، فلا مظنة أنها مدخولة عليهم ، وهى منسوبة لقديس من القديسين هو برنابا ، ولم يعرف بهذا الاسم سواه ، وله مثل مكانته الدينية ، واذا صح أن البابا جلاسيوس الاول قد حرم تداوله فان هذا الانجيل كان موجودا قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم

بأكثر من قرنين ، وزعم الدكتور خليل سعادة مترجم النسخة العربية بأنه لو كان معروفا فى ذلك الحين لعرفه النبى صلى الله عليه وسلم واحتج به او اخذ منه ، وهو زعم باطل لان النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يقرا ولا يكتب ، ولم يحدث أن أقام فى بلاد مسيحية لمدة تسمح له بالاطلاع عليه سماعا ومعرفة ، ولان مضى قرنين من الزمان بعد تحريم البابا لتداوله يجعل التحريم ينتج اثره . وانك لتجد فى هذا الانجيل أخبارا دقيقة عن التوراة حتى ليقول الدكتور سعادة « انك اذا اعملت النظر فى هذا الانجيل وجدت لكاتبه المـاما عجيبا بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد لها مثيلا بين طوائف النصارى الا فى أفراد قليلين من الاخصائيين الذين جعلوا حياتهم وقفا على الدين ، كالمفسرين ، حتى انه ليندر أن يكون بين هؤلاء ايضا من له المـام بالتوراة يقرب من المـام انجيل برنابا » . ولكن الدكتور سعادة يزعم أن أصله عربى بدليل أنه وجد على النسخةالايطالية تعليقات عربية ، وأنه صرح فى التبشير باسم النبى مع أن المعهود فى البشارات الرمز لا النص ، وقد يكون وجود التعليقات العربية دليلا فقط على أن بعض من قرأ هذه النسخة يعرف العربية ، وخاصة أن اللغة العربية كانت منتشرة بين المتعلمين فى العصور الوسطى انتشار اللغة الانجليزية هذه الايام ، ومع ذلك فهذه التعليقات سقيمة العبارة فى احيان كثيرة ، ولا يمكن أن تكون دليلا على الاصل الاسلامى لهذه النسخة الايطالية ، ومن الغريب أن تتخذ هذه التعليقات دليلا على ان الكاتب مسلم ، ولا يتخذ الانجيل نفسه بما تميز به من قوة التصوير وسمو التفكير والعبارات الايطالية المحكمة والمعانى المنسجمة أدلة على الاصل المسيحى للنسخة . اما كون التبشير بالنبى محمد صريحا فيها وليس بتلميح فان بعض البشارات فى الكتب المقدسة تصريح وليست بتلميح . ومن المؤكد أن المسلمين فى العصور الوسطى لم يكونوا على علم بهذا الانجيل والا لاحتجوا به فى مناظراتهم الكثيرة مع الانجيليين على مر العصور . وقد يسأل سائل لكن لماذا ينكره الانجيليون مع أن قوة النسبة فيه لا تقل عن قوة النسبة فى اناجيلهم الاربعة ، والجواب عن ذلك أنهم رفضوه لانه خالف العقيدة ، فهو لم يعتبر المسيح ابن الله ، ولم يعتبره الها « ان الله العظيم افتقدنا فى هذه الايام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم ، والآيات التى اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر ، داعين المسيح ابن الله ، ورافضين الختان الذى امر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذى ضل فى عدادهم ايضا بولس الذى لا اتكلم عنه الا مع الاسى ، وهو السبب الذى لاجله اسطر ذلك الحق الذى رايته » (المقدمة ، العبارة الثانية) . وقال برنابا ان الذبح الذى تقدم به ابراهيم للفداء هو اسماعيل

وليس باسحق كما هو مذكور فى التوراة « الحق اقول لكم انكم اذا أمعنتم النظر فى كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا ، لان الملاك قال يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ، ولكن كيف يعلم الله محبتك لله ، حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لاجل محبة الله . اجاب ابراهيم هاهو ذا عبد الله مستعد ان يفعل كل ما يريد الله ، فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا خذ ابنك بكرك واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة » ، فكيف يكون اسحق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين . والامر الثالث أن برنابا يجعل النبى المنتظر هو محمد ويذكره باللفظ الصريح ويقول انه رسول الله (الفصلان الثالث والاربعون والرابع والاربعون) . والامر الرابع قوله ان المسيح لم يصلب ولكن شبه لهم ، فألقى الله شبهه على يهوذا الاسخريوطى حتى اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة انه يسوع ونسوا انه القائل أنه سيرفع عن العالم وأن آخر سيعذب باسمه (الفصل٢١٧)، ولكل هذه الاسباب رجح البعض أن لا يكون كاتب هذا الانجيل هو برنابا الرسول ، وللتشابه بين ما يذهب اليه وما يقول به القرآن قالوا ان مؤلفه مسلم ، ولا يلزم من ذلك أن يكون عربى الاصل بل الاحرى أن يكون يهوديا اندلسيا اعتنق الدين الاسلامى بعد تنصره واطلاعه على اناجيل النصارى، وربما كان هذا الانجيل عندهم صياغة جديدة لانجيل قديم يسمى بالانجيل الاغنسطى ، مقدمته تندد بالقديس بولس ، ويذكر ان ولادة المسيح كانت بدون ألم ، ومن المحتمل أن احد معتنقى الاسلام من اليهود او النصارى عثر على نسخة منه فى اليونانية او اللاتينية فى القرن الرابع عشر او الخامس عشر وأعاد كتابته على الصورة الراهنة مخفى بذلك أصله . وايما كانت حقيقة هذا الانجيل فالواقع الذى لا يختلف عليه اثنان أن كاتب هذا الانجيل كان على جانب كبير من الحكمة وقوة الحجة وجلاء البيان . وان مباحثه الفلسفية فى الجسد والنفس من الوجهة الدينية لمن اسمى ما كتبه الباحثون الدينيون فى هذا الموضوع . الامر الذى يجعل الاحتمال الارجح ان كاتبه لا يمكن أن تكون غايته الانتحال والتضليل . ومن ثم لانرى ثمة ما يمنع ان يكون مؤلفه هو برنابا نفسه مع ما عرف عنه من تقوى وصلاح وبراعة وبيان ، ومع قصة اختلافه مع بولس وانحيازه لمرقس تلميذ بطرس الذى لم يذهب الى القول بتأليه المسيح .

* * *

برنشفيك Brunschvig

(١٨٦٩ ـ ١٩٤٤) ليون برنشفيك فرنسى ، فلسفته خليط من سبينوزا وبرجسون وكلاهما يهودى ، وفلسفته كما طرحها فى كتابيه « العقل والدين » و « تطور الوعى فى الفلسفة الغربية » تقوم على التوحيد ، الا ان الديانة التى يبشر بها تختلف عن الديانات التقليدية التى يعتبرها ديانات تجسيمية قد تشخصن فيها الله ، وهو يقول ان الوعى هو الحقيقة الوحيدة ، والله هو الذى يبعث الحركة فيه ويمنحه الحياة ، ويعتقد انه مع تطور الوعى وارتقاء الانسان الى مراحل أعلى تحقق الانسانية لنفسها عهدا ثالثا يمكن ان يحل محل العهد الثانى المسمى العهد الجديد ، وديانة القرن العشرين لذلك فى مفترق الطرق ، بين ديانة الماضى التقليدية او ديانة العهدين القديم والجديد التى كان الله فيها صورة لطموحات الانسان وآماله فى تلك الاوقات ، وبين ديانة المستقبل التى ينبىء بها التفكير الفلسفى ، وهى ديانة روحية خالصة من كل شوائب التجسيم والتشخيص . واتهم لوروى فى مناظرة عقدت بالجمعية الفلسفية الفرنسية (١٩٢٨) ، وحضرها بلوندل وجيلسون ، اتهم برنشفك بانكار الاله التقليدى ، اى بالالحاد ، وقال ان الله عنده كالروح المطلق عند هيجل ، يحققه الوعى فى تطوره ، حيث ان برنشفيك لا يؤمن بشىء خارج هذا الوعى المتطور .

* * *

برونر Brunner

(١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) اسمه الحقيقى ليوبولد فيرتايمر ، واسمه القلمى قسطنطين برونر ، المانى ، عاش فى بوتستدام حتى اضطره النازى الى الرحيل منها الى هولنده (١٩٣٣) ، وكان العدو المبين للصهيونية ، فقد كان يراها خرافة من شأنها ان تشوه الحقيقة ، وترفع النسبى الى مستوى المطلق ، وعنده ان التفكير مستويات ، أدناه التفكير العملى ، ويمتلكه كل الناس ، وارقاه التفكير الذى غايته ادراك المطلق ، والاعتقاد الذى يقوم عليه قد يقوم على الالهام ، وقد يدعمه المنطق ، وفى الحالين هو تفكير يتوجه الى النفاذ الى اسرار العالم ، ويقصد الى الاحاطة بالمطلق ، واما الاعتقاد الذى يقوم على خرافة ، والصهيونية من هذا النوع ، فهو يشبه التفكير وليس بتفكير

حقيقى ، وحل المسألة اليهودية ليس بالصهيونية لانها تشويه لليهودية وافراغ لها من محتواها الايديولوجى العالمى ، ولكنه بأن يطرح اليهود عنهم خرافة تميزهم الذى أساسه الاسطورة ، وباندماجهم فى مجتمعاتهم.

* * *

البصير Al-Basir

يوسف بن ابراهيم ، وشهرته يوسف البصير ، أو الضرير بمعنى أصح فقد كان أعمى ، وكان على مذهب القراءين ، واشتهر فى النصف الاول من القرن الحادى عشر ، وله كتب «المحتوى»، و « التمييز » و « الاصطبار » ، وثقافته عربية ، وكان متكلما على مذهب المعتزلة ، فبالمعرفة العقلية لله يثبت التنزيل ، وليس للمعجزات أية قوة مؤكدة بالنسبة لحقيقة العقائد التى يأتى بها الانبياء طالما اننا لم نكتسب الاقتناع بأن الذى بعث بهؤلاء الانبياء اراد لنا الخير ، وانه ليس روحا كاذبا ، وانه الوسيلة التى يستقر بها هذا الاقتناع فى نفوسنا بدون العقل الذى يرينا حكمة الخالق وقوته . وتتمثل عقلانية البصير خصوصا فى مجال الاخلاق ، فهذه الاخلاق القائمة على الوضوح العقلى لا تعتمد على اى نوع من التنزيل ، فاذا لم يكن الامر كذلك كما يزعم الاشاعرة ان الخير والشر كانا محددين تماما بكلمة الله الموحاة ، فلن يكن ثمة سبيل لتأكيد الارتباط بحقيقة الله وتنزيله ، ولن نكون ايضا مضطرين للتحقق مما اذا كان التنزيل آت أم لا من عند الله .

* * *

بعل شمطوب Ba'al Shem Tov

(١٧٠٠ — ١٧٦٠) اسرائيل بن عزير المعروف ببعل شمطوب اى العارف بالله او بأسرار الاسم الاعظم ، وهو من اهل السلوك ، وطريقته الحصدية من الحصيد وهو ما يتبقى فى الارض من الزروع لا يبلغه المنجل ، فالحصيديون هم البقية الصالحة ، وهم المتقون ، والتقوى عند شمطوب هى أن لاترى فى الوجود بنباته وحيوانه وجماده الا الله ، وهو حلولى يقول ان العالم بالنسبة لله كالصدفة بالنسبة للحيوان ، فهى خارجة ولكنها جزء منه . ولان الله فى كل شىء فأى تعامل مع الاشياء بالفعل أو بالقول ، خيرا كان او شريرا ،

هو تعامل مع الله ، والصلاة ليست مجرد الشعيرة ولكنها كل عمل ؛ والمتقى لذلك يستحضر الله فى كل ما يفعل ويقول ، وعبادة الله تكون بالجسد كما تكون بالروح ، والمصلى مجذوب وموجود ، وكذلك المتقى فيما يفعل ويقول ، فهو يشتهى كل شىء بما فى ذلك الطعام والشراب والنساء ، والفرح الحصى يؤدى الى الوحى الروحى ، وشمطوب لذلك من الاباحيين ، ومذهبه مذهب الفرحين ، يقرن الذكر بالرقص والانشاد والعزف ، ولا ينصح بالزهد وينأى عن الصيام ، ويقول انهما مجلبة للحزن ، والحزن ظلام يغشى القلب ، والمؤمن له نور يتغشاه ويسعى بين يديه ، وكل الموجودات يحكمها الشوق الى الله ، واللذة اشتياق وهى مبدأ يحكم الوجود ، والملتذ المتقى هو الذى يشرب بوجد حتى الثمالة لان اطفاء العطش يكون بالشرب حتى الرى ، واذا ارتوى العطشان المتقى حمد الله ، والحمد عرفان ، والعرفان طريق الوصول ، والوصول اتحاد بالله ، بمعنى أن لا يعود يذكر انه موجود ، ويستحيل انا العابد الى انت الله ، ولا يكون ثمة فرق بين عابد ومعبود ، ومن ثم فالخلاص مسألة فردية ، واذا تحقق يكون الخلاص الجماعى المسيحانى ، ويروى انه فى رؤيا قال له المسيح انه لن ينزل الى الارض الا اذا تم لكل يهودى هذا الخلاص الفردى وجرب بنفسه الصعود كما يمارسه بعل شمطوب . ويظهر من فلسفة شمطوب اثر التراث اليهودى الهاجادى والقبالى ، وتبين معرفته بكتابات سعدى الفيومى ، وقيل ان تعاليمه استقاها من أحد كتب آدم بعل شم القبالى ، غير ان الاثر المؤكد هو تعاليم شبتاى تسفى ولوريا القبالى ، والاثنان من دائرة الثقافة الاسلامية ، والاول ادعى النبوة واعتنق الاسلام ولو تقاة ، وعن طريقه دخلت التقية الى اليهودية نقلا عن شيعة المسلمين ، وقد نقل عنهم كذلك القول بالامامة ، والامام عند شمطوب هو الصديق ، والصديقية عند المسلمين تتوسط بين النبوة والولاية ولكنها عند شمطوب تسبق النبوة ، ومنهج الصديق الهبوط لكى يصعد ، وهو المنهج الذى ينصح به شمطوب كسبيل للخلاص الفردى والجماعى معا ، والصديق عند المسلمين تقواه مراقبة لله فى القول والفعل والسر والعلن ، ولكن الصديق عند شمطوب يتزين فى سريرته للحق وفى علانيته يتزين للخلق ، وقد عاش كثير من الصديقين حياة مترفة كالملوك من اتاوات فرضوها على المريدين قيل فى تبريرها انها دليل التكافل بين الصديق والمريد ، فالمريد من فرط حبه للصديق يرعاه ماديا ، والصديق من فرط حبه للمريد يعيش على معوناته . وقد قيل ان تعاليم البعل جعلت من الحصيدية ديانة تنافس اليهودية حتى سلب الصدقون مكانة الحاخامات

فقامت جماعة من الاخيرين باسم « المناهضون » بتأليب السلطة على البعل حتى قيل انهم اصدروا قرارا بحرمانه . ولم يترك البعل كتابات تذكر الا ان تلميذه يعقوب يوسف قد توفر على جمع مواعظه ، ونشرت عام ١٩٣٨ فى نسخة محققة بعنوان « سفر بعل شمطوب » .

* * *

البلج Albalag

اسحق البلج ، من دائرة الثقافة الاسدمية ، اندلسى عاش فى قطالونية خلال النصف الثانى من القرن الثانى عشر ، واشتهر بترجمته لكتاب « مقاصد الفلاسفة » للغزالى الى العبرية ، وله شروح وهوامش على الكتاب يشايع فيها ابن رشد على قوله بخطأ التوفيق بين الفلسفة والدين حيث لكل طريقته فى تصور نفس الحقيقة ، فالفلسفة تدرك حتى المحسوس فى صورة تصورية ، بينما يدرك النبى حتى التصور فى صورة محسوسة . ومن خاصية الحدس فى النبوة وخاصية التصور فى الفلسفة ينتج حتما اختلاف مضمون كل منهما ، فالحقيقة الفلسفية لا يمكن اداركها الا بوسائل المعرفة الفلسفية . والحقيقة المنزلة لا تصل الا عن طريق النبوة ، وأولئك الذين ليسوا بأنبياء لا يستطيعون ان يفعلوا الا أن يسلموا فى ايمان خالص وسيط بالحقيقة النبوية ، ومع ذلك يبقى التفسير الفلسفى للتوراة ممكنا بينما ليس هناك من شيء يضمن لنا الوصول الى المعنى الحقيقى للنصوص الدينية .

* * *

بلوخ Bloch

(١٨٨٥) ارنست بلوخ ، ماركسى المانى ، قيل عن اشتراكيته انها اشتراكية طوباوية ، ووصفت ماركسيته بأنها ماركسية انسانية ، ومن أجل ذلك ضيقت عليه حكومة المانيا الشرقية فهرب الى المانيا الغربية يحاضر فى جامعة توبنجن ، وهو يقول عن فلسفته انها فلسفة الامل فى المستقبل ، ويؤمن بقول ماركس ان غاية الفلسفة هى المعرفة ، ولكنها المعرفة التى من شأنها ان تدفع صاحبها الى تغيير واقعه والعالم من حوله نحو الافضل والحرية ، وهذه هى النغمة المسيحانية او الطوباوية التى تمتلأ بها الفلسفة اليهودية عموما والماكرسية خصوصا بوصفها افرازا يهوديا . وفى كتابه « مبدا الامل »

(١٩٥٩) يفرد بلوخ فصلا لنقد صهيونية هيرتسل ، ويسميها صهيونية بورجوازية ، لانها دعوة قومية تخاطب اليهود دون غيرهم ، وتطالب بأرض ودولة ، بينما اليهودية التى يؤمن بها اكبر من ذلك ، فالعالم موطنها ، وهى تأخذ من طوبيا موسى هيس احسن ما فيها وتحوله الى عقيدة اشتراكية مسيحانية دولية ، ولم يذكر بلوخ فى هذا الفصل أى شيء عن دولة اسرائيل لهذا السبب ، ولكن عندما شنت اسرائيل حرب يونيو سنة ١٩٦٧ بدعوى الدفاع عن نفسها ضد العرب ، كان بلوخ أول المتحدثين واعنفهم فى الاجتماع الذى نظمته جامعة فرانكفورت وقتها لمناصرة اسرائيل ، وقال فى هذا الاجتماع قولته التى يلوكها كل الماركسيين « ان اسرائيل قامت لتبقى » .

* * *

بوبر Martin Buber

(١٨٧٨ — ١٩٦٥) مارتن بوبر ، المانى صهيونى ، هاجر الى اسرائيل سنة ١٩٣٨ ، وعلم بجامعتها العبرية ، وقيل ان فلسفته صوفية مسيحانية ، وقيل انها فلسفة حوار وجودية ، وقيل انها اشتراكية انسانية تنقل التأكيد من الدولة الى الانسان حيث انه وسيلة الدولة للانتقال الى المجتمع الاشتراكى ، وهو هدف هذا الانتقال وغايته ، وقيل هى اشتراكية انسانية لانه يخلط فيها الاشتراكية بالصهيونية ، وهو يصف الاخيرة بأنها « طريق مقدس » ، وقيل بل لانه يخلط الاشتراكية بالصوفية اليهودية المسماه بالحصيدية ، ويقول عن الاخيرة انها رسالة اليهود الى العالم ، وقيل ان فلسفته لكل ذلك « انسانية عبرية » ، وقالوا ان بوبر ، تأكيدا لذلك طالب بدولة تضم اليهود والعرب ، وعارض تأكيد هرتسل على الجانب السياسى وطالب بالتأكيد على الثقافة فالمهم بالدرجة الاولى بناء الانسان المثقف ، وقد نشر بوبر كتابه « الانا والانت » يميز فيه بين نوعين من العلاقات ، الاول يسميها علاقات « الانا والانت » ، بين الانسان والانسان ، وهى علاقات تتميز بالانفتاح والمشاركة والحضور ، والحوار وسيلتها ، وهو حوار حقيقى لانه بين انداد . والضرب الثانى علاقات « الانا والهو » ، بين الانسان والاشياء ، فيستعمل الانسان الاشياء لمصلحته ، ويطوعها لغاياته ، وقد تقوم علاقات من هذا النوع الاخير بين انسان وانسان ، ولكن الحديث الذى يجرى بينهما لا يكون حوارا لانه لا يكون بين انداد ، ولكنه املاء ، المتكلم الوحيد فيه هو الطرف الاول ، بينما الثانى ينصت

ويطيع ، ولذلك فعلاقات الانا والانت اســـاس الديموقراطية ، وعلاقات الانا والهو طابع الديكتاتورية ، ولا يعنى ذلك ان كل علاقات هذا النوع الاخير شر ، فبهذه العلاقات نستطيع ان نعرف العالم من حـــولنا حيث يكون الانا هو الذات ، والهو موضوعه ، وبالمعرفة التى نحصل عليهــا عن طريق هذه العلاقات نستطيع أن نصنع ونبدع ، اى تكون لنا التكنولوجيا والفن ، وفى الانسان الصحيح والثقافة السليمة يوجد النمطان من هذه العلاقات فى تداخل جدلى ، حيث يمكن ان تستحيل علاقات الانا والانت الى علاقات تداخل جدلى ، حيث يمكن أن تستحيل علاقات الانا والانت الى علاقات الانا والهو ، وتتضمن هذه فى نفسها امكانيات الاستحالة من جديد الى علاقات الانا والانت . وعلاقاتنا بالله من النوع الاول ، حيث الله هو الانا الازلى ، لاننا لا يمكن ان نعرفه من علاقات من نوع الانا والهو . والحوار مع الله وحى ، وبه يكون تعيننا ، لان كل أنت انســـانى يوجـــد دائما أنا ازلى ، والوحى ليس شيئا حدث فى المـــاضى وانتهى امره ، ولكنه حوار دائم يقوم فى كل آن ومكان ، والنبوة لذلك مفتـــوحة لم تختتم ، والوحى مستمر طالمـــا الانسان مستعد للتلقى ، ولان شعب اسرائيل مقدس ، فالوحى معه مستمر من الازل ، وامة اسرائيل لذلك امة ازلية من الانا الازلى ، وهذا الحوار الازلى يشمل كل نواحى حيـــاتها الاقتصـــــادية والاجتماعية والقومية والفكرية ، ولكن هذا التعبير يكون اقوى ما يمكن عندما يتكامل المجتمع اليهودى ، أى عندما يكون الشعب على ارضـــه ، بسبب الرابطة المقدسة التى تربط الشعب بأرضه ، وهذه الامة المقدسة لها لذلك دورها الفريد فى الحضارة العالمية بسبب شخصيتها الفـــريدة وتاريخها المقدس ، فما تتلقاه من وحى تقوم بترجمته الى تاريخ ، وتاريخها لذلك وحى منزل ، ودلالة هذا التاريخ الاخلاقية من ثم مطلقة ، فارادتها من مشيئة الله ، وقد شاء الله ان يعيد اليها الارض ، وليس ادل على وجود الله من تحقق ما وعد به هذه الامة ، فقد وعدها الارض واوفى . وواضح ان بوبر قد خلط فلسفته الوجودية بالصهيونية والحصيدية ، فجعل فلسفة الحوار اطارا لافكاره اليهودية التى تقول بتداخل القـــومى والدينى ، والزمنى والمقدس ، وحلول الخالق فى المخلوق ، واختلاط الوحى بالتاريخ ، وجعل اليهود مركزا للعالم والتاريخ ، وقد بسط ذلك فى كتبه الاخـــرى « الحصيدية والانسان المعاصر » (١٩٥٨) و «أصل ومعنى الحصيدية» (١٩٦٠) و « مملكة الله » (١٩٥٦) و « معرفة الانسان » (١٩٦٥) .

＊＊＊

بوبـــر Popper

(١٨٣٨ ـــ ١٩٢١) يوســـف بوبر ، وكنيتـــــه ذو البصـــر الحـــديد Lynkeus . فقـــد كانت بعينيـــــه حـــدة وغضب . نمسوى ، فلسفته تبدو لاول وهلة كما لو كانت دفاعا عن الفرد ضـــد الاضطهاد بكافة اشكاله ولكنها فى الحقيقة دفاع عن اضطهاد اليهود فى المجتمعات المسيحية ، ورغم أنه ضد التعصب الا انه متعصب لبنى قومه ويؤيد فكرة قيام دولة لليهود فى فلسطين ، ويزعم أنه ضد الدين لمـــا له من آثار تربوية سيئة فى زعمه . وينسى ان اليهودية قوامها الدين ، وهو يقول ان ايمانه باليهودية كقومية ، ومطالبته بانشاء وطن قومى لليهـــود يفسد مع ذلك دعواه بوحدة الامة التى يقول ان الدين يقصمها باشـــاعته الفرقة وافشائه العداء بين الطوائف ، وكتبـــه فى معظمها تهجم عـــلى الدين : « أوهام فيلسوف واقعى » (١٨٩٩) و « عن الدين » (١٩٠٥) و « الفرد وتقويم حياة البشر » (١٩١٠) ، وهو يريد حضارة خالية من الدين ، والمجتمع الامثل عنده مجتمع مادى يسعى لتـــوفير الضروريات لافراده ، وكتابه « واجب توفير الغذاء » (١٩١٢) هو أهم كتبه لذلك ، اراد به أن ينبه الناس الى ضرورة نقل الاهتمام من التربية الدينيـــة أو الروحية الى نوع من التربية يتحقق به للمجتمعات تدريب الناس عـــلى أن يكونوا عمالا فى جيش هائل يسميه جيش توفير الغذاء للجميع ، وهو يقول ان الدين ترف فكرى ووهم من الاوهام الكثيرة التى تحفـــل بهـــا الفلسفة والثقافة . بل انه اكبر هذه الاوهام واخطرها ، وهو الذى يحول بين المجتمع والتوفر على مشكلته الحقيقية ، وهى توفير الحد الادنى من العيش الكريم لكل فرد بصرف النظر عن مواهبه ومؤهلاته. ويقترح بوبر لضمان الحرية والكرامة لكل الناس فرض ما يسميه التجنيد المدنى كمقابل للتجنيد الاجبارى بهدف توفير الضروريات . والخدمة فيه اجبارية للنساء والرجال على السواء ، ومدتها للنساء سبع سنوات ، وللرجال اثنتـــا عشرة ، ويعمل الجميع خمسا وثلاثين ساعة أسبوعيا ، واختصـــاص الدولة انتاج وتوزيع الضروريات ، بينما انتاج الكماليات وتوزيعها من اختصاص المشروعات الخاصة . وبعد أن يقضى الفرد مدة خدمته تكون له حرية اختيار المهنة التى تناسبه ويحبها أو الركون الى الراحة بقيـــة أيامه . والضروريات وهى المسكن والمأكل والملبس والعـــلاج والتعليم الاولى من نصيبه فى الحالتين . وواضح ان فلسفة بوبر مسيحانية وان كانت لا تقول بالماسيح أو المهدى المنتظر، ولكنها تبشر بالعصر المسيحانى. وهو يعارض الخدمة العسكرية فيما يزيد عن دفاع الدولة عن نفسها ،

ويعارض أن يشهر الفرد سلاحه الا دفاعا عن نفسه . وحق الدفاع عن النفس مشروع فى الحالتين . ولكنه ينسى فى الحالتين ان دعوته الى انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين معناه عدوان على سكان آمنين وانتزاع لاراض وبيوت من أهلها . وفلسفته لا تجيز العدوان . ولكن يبدو أن ما يحلله لقومه يحرمه على الآخرين . وهو التناقض الواضح المشهور بالتناقض بين النظرية والتطبيق . وسنجده مرة ثانية يعثر بهذا التناقض عندما يطالب بتطبيق المعاملة بالمثل على من يبيح استعباد الناس أو الاساءة اليهم من منطلق عنصرى . فيقول ترى ماذا يكون موقف مستعبد الناس لو اننا استعبدناه لفترة من الوقت . وبالمثل فنحن نقول وماذا يكون موقف بوبر لو أن فلسطينيا سطا على بيته ونزا على امرأته ، اتراه كان سيوافق على مبدأ المعاملة بالمثل الذى أثار عليه ثائرة الكثيرين وكان بوبر كثير الاحتجاج به على تريتشكه . لان الاخير كان فى زعمه من المعادين للسامية ، وهى التهمة التى لم ينج منها عنده حتى بسمارك ، وله فى ذلك كتاب صريح بهذا الاسم . والتى على أساسها هاجم هيجل ونيتشه وكارلايل وسبنسر واوزفالد . بدعوى أن فلسفاتهم تجيز أحيانا التضحية بالفرد فى سبيل المثل والقضايا العليا ، وطبقا لما يسميه حساب القيمة تكون حياة الفرد الواحد مهما كانت مكانته الاجتماعية أثمن من الف مثال وقضية عليا ، وهى حجة مردودة عليه والا فلماذا يجيز انشاء الوطن القومى وهو يعلم ما سيسببه ذلك من مآس ؟ وبوبر يقول ان حياة الانسان قيمة ضرورية ، والتقدم وما شابهه من مثل عليا قيمة كمالية ، ولا ينبغى أن تطلب القيم الكمالية على حساب الضرورية . وقد اعجبت حجته هذه اليهود وكانوا يتذرعون بها ضد النازية ، وكأن بوبر كان يقرأ الغيب ويتنبأ بقيام فلسفات تبيح التضحية باليهود فأعد لهم الدفوع التى تدحض هذه الفلسفات ، ولهذا السبب عينه أطلق اينشتاين على بوبر اسم النبى .



البيثية Boethusians

اتباع بيثوس Boethus او بويثوس ، كان وصادوق تلميذين لانطيجونس القائل « لا تكونوا كالعبيد يخدمون بأجر » ففهما انه لا أجر على الخير من الاعمال ، ومن ثم ذهبا يبشران انه لا بعث ولا حساب .

* * *

بولس Paul

المؤسس الحقيقى للمسيحية ، اسمه العبرى شاول ، وتسمى باسم بولس فى سفر اعمال الرسل ، وكان يلقب نفسه ببولس الرسول ، وبهذا الاسم عرف عند الامم ، وهو فريسى من سبط بنيامين ، ولد بطرسوس ، وكانت مركزا من مراكز الثقافة الكبرى، وتربى فى اورشليم ، وكان استاذه فيها غمالائيل عضو السنهدريم ، وقد عارض بولس المسيحية رغم ان تعاليم استاذه كانت تطالب برفع القيود عن رسل المسيح والكف عن اضطهادهم ، وحضر استشهاد استفانس ووافق على قتله (أعمال الرسل ، الفصل السابع) ، وكان شديد الاتلاف للكنيسة والايذاء لمغتصبيها ، حتى طلب من رئيس الكهنة ان يرسله الى مجمع دمشق ليكشف اتباع هذه الطريقة ويسوقهم موثقين الى اورشليم، ولكنه فى الطريق اصيب فى عينيه ورأى رؤية ان المسيح يلومه على اضطهاده ، فلما التقى فى دمشق بحننيا طببه باسم يسوع ، وظل معه والتلاميذ الذين فى دمشق حتى امتلا بتعاليم المسيح ، وخرج يكرز فى المجامع بيسوع انه هو ابن الله ، وحاول فى اورشليم ان يتصل بالرسل ولكنهم اوجسوا منه خيفة ولم يصدقوا ايمانه ، وشهد له برنابا وحدثهم كيف ابصر الرب وكلمه ، وكيف جاهر فى دمشق باسم يسوع ، ومن ذلك الوقت ظهرت رياسة بولس ، وكانت له اجتهادات انشق بها على الرسل ووصفهم بأنهم ناموسيون ، واطلق على تعاليمه اسم انجيل الامم ، ونسب الى المسيح انجيلا قلبوه (الرسالة الى اهل غلاطية ، الفصل الاول العبارة ٦) ، وقال عنهم انهم رسل كذبة وعملة خداعون يغيرون هيئتهم الى هيئة رسل المسيح (الرسالة الى اهل كورنتس ، الفصل الحادى عشر العبارة ١٣) ، وهو ما اعتبره كثير من المفسرين اعترافا بوجود تزييف للاناجيل ودعاة صناعتهم التحريف . وطالب بولس المؤمنين بالتمثل بالمسيح فلا يتزوجون ان احبوا ، واعتبر كل الاطعمة طاهرة وكل خليقة الله جيدة فألغى النجس والمحرم ، واباح شرب الخمر وامر بها ، وافتى بأنه لا لزوم للختان ، واخذ فى التطواف فى آسيا واوروبا ، ينشىء الكنائس ويخط الرسائل ، فكانت رسائله الاربع عشرة هى الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادىء فى الاعتقاد والشرائع العملية ، وصار هو نفسه كل شىء فى المسيحية ، بحيث صارت مطبوعة بطابعه ومنسوبة اليه . وكان متى علم انه يكلم فريسيين يقول انه فريسى ، كما ورد قوله فصرت لليهود كيهودى لاربح اليهود ، وللذين تحت الناموس

كانى بلا ناموس مع انى لست بلا ناموس (الرسالة الاولى الى اهل كورنتوس ، الفصل التاسع) ، ووصف البعض طريقته بأنها نفاق ، ويعجب الذين درسوا الديانات وعرفوا احوال رجالها وادوارهم من كيفية انتقال رجل من الكفر بديانة الى الاعتقاد الشديد بها طفرة من غير سابق تمهيد ، وقد كان من الممكن ان يزول العجب لو كان الانتقال مقصورا على مجرد الانتقال من الكفر الى الايمان فان لذلك اشباها ونظائر ، ولكن العجب ان ينتقل شخص من مطلق الكفر الى الرسالة فى الدين الذى كفر به وناواه وعاداه ، فان ذلك ليس له نظير ولا مشابه ، ولم يعهد ذلك فى الانبياء والرسل ، ولم يعرف فى التوراة رسول بعث من غير ان يكون فى حياته الاولى استعداد لتلقى الوحى وصفاء نفس يجعله اهلا للالهام ، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته ، فاذا لميكن للرسالة ارهاصات قبل تلقيها فلا اقل من أن لا يكون قبلهـا ما ينافيها ويناقضها ، ولذا وجد فى العصور المسيحية من كانوا يثيرون مناقشات قوية حول اقوال بولس ، منكرين لها او مبطلين ، فوصفته الفرقة الابيونية بأنه مرتد ، والفرقة المارسيونية لم تكن تعترف له الا بعشر رسائل فقط من رسائله الاربع عشرة ، وظلت رسالته الى العبرانيين مشكوكا فيها حتى سنة ٣٦٣ ، ففى الباب التاسع العبارة ١٩ ورد « لان موسى لما تلا على مسامع الشعب جميع وصايا التوراة اخذ دم العجول والتيوس مع دماء وصوف قرمزى وزوفى ورش على السفر عينه وعلى جميع الشعب ، قائلا هو ذا دم الوصية التى وصاكم الله بها ، وكذلك رش الدم على المسكن ، وعلى جميع أدوات الخدمة » ، وهو غلط من اوجه : الاول انه ما كان دم العجول والتيوس بل كان دم عجول فقط ، والثانى ما كان الدم فى هذه المرة مع ماء وصوف قرمزى وزوفى بل كان دما فقط ، والثالث ما رش على الكتاب نفسه ولا على جميع آنية الخدمة ، بل رش نصف الدم على المذبح ونصفه على الشعب كما هو مصرح فى الباب الرابع والعشرين من سفر الخروج ، العبارة ٥ « وبعث فتيان بنى اسرائيل فأصعدوا محرقات وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب ، فأخذ موسى نصف الدم وجعله فى طسوت ورش النصف الآخر على المذبح ، وأخذ كتاب الله فتلا على مسامع الشعب فقالوا كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به ، فأخذ موسى الدم ، ورشه على الشعب وقال هوذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به على جميع هذه الاقوال » . وفى الرسالة الاولى الى اهل كورنتس نقل بولس الآية الرابعة من نبوءة اشعيا « انه منذ الدهر لم يسمعوا ولم يبلغوا ولم تر عين ما خلاك يا الله ما تصنع للذين ينتظرونك » هكذا « ولكن كما كتب ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا

خطر على قلب بشر ما اعده الله للذين يحبونه » ، فاما ان اليهـود قد حرفوا نبوءة أشعيا عند هذا الموضع وأوردها بولس سليمة ، واما ان بولس قد انحرف بها عن المتن . وقد قيل كذلك أن أقـوال بولس قـد شابتها تاثيرات من الفلسفة اليونانية وخاصة الرواقية التى عرفهـا فى باكورة حياته فى مسقط رأسه طرسوس وكانت مركزا من مراكـزها . وأصبحت هذه التأثيرات فى كثير من تعبيراته التى أصبحت مبادىء مسيحية . واهلته معرفته وعارضته القوية أن يكون أكثر من سائر الرسل للمداخلة والتبشير . وقام مذهبه على فكرة الخطيئة : بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم ، وبالخطيئة دخل الموت ، وبواحد سيكون الخلاص هو يسوع. واذا كان بزلة واحد كان على جميع الناس القضاء ، كذلك ببر واحـد يكون لجميع الناس تبرير الحياة (الرسالة الى أهل رومية ، الفصـل الخامس) فالمسيح بذل نفسه لاجل خطايانا ، ومات عنا (الرسالة الى اهل غلاطية ، الفصل الاول) . واذا كان اليهود يتفاخرون بالشريعة التى هى الناموس ، ويزعمون أن الله قد فضلهم بها على العـالمين ، وميزهم بعلامة الختان ، فالناموس انما أضيف بسبب المعاصى . والختان ينفع اذا عملوا بالناموس ، لانه ليس اليهودى هو من كان فى الظاهر ، ولا الختان ما كان ظاهرا فى اللحم ، بل اليهودى هو من كان فى الباطن ، والختان هو ختان القلب بالروح لا بالحرف (الرسالة الى أهل رومية ، الفصل الثانى)، لانا نحسب أن الانسان انما يتبرر بالايمان بدون أعمال الناموس . والله ليس اله اليهود فقط ، بل هو اله الامم ايضا ، لان الله واحـد ، ويبرر الختان بالايمان ، والقلف أيضا بالايمان (الفصل الرابع) ، واذن فناموس بولس ليس الشريعة المكتوبة ولكنه ناموس البر ، أى المحبـة ، لانه بالقلب يؤمن الانسان بالبر ، وبالفم يعترف للخلاص ، والكل فى واحد ، فاذا كان المسيح قد مات عن الجميع ، فانما كان ذلك لكى لا يحيا الاحياء لانفسهم فيما بعد ، بل للذى مات وقام لاجلهم (الرسالة الاولى الى اهل كورنتس ، الفصل الخامس عشر) ، وهو المسيح الذى لنا فيه الفداء ، بدمه مغفرة الخطايا ، الذى هو صورة الله غير المنظور وبكر كل خلق ، لانه به خلق ما فى السموات وعلى الارض ، ما يرى وما لا يرى ، به واليه خلق الجميع ، وهو قبل الجميع ، وبه يثبت الجميع ، لان فيه رضى الآب ويصالح به الجميع لنفسه (الرسالة الى أهل كولسى ، الفصل الاول) .

ومن رأى سيجموند فرويد ان شاول قد التمس الاحساس بالذنب المتأصل فى الشعب اليهودى ، وبنى عليه مذهبا انفصل به عن الديانة اليهودية ، وقد استطاع شاول أن يتتبع هذا الاحساس بالذنب الى أصوله الاولى ، واطلق عليه اسم الخطيئة الاصلية ، وكانت هذه الخطيئة هى جـريمة

التجديف والعصيان من قبل الشعب المختار ، اى الابناء ، فى حـــق الاله الاب ، وما كان فى وسع الابناء ان يكفروا عن جريمتهم الا بالموت ، فالموت قد نفذ الى العالم من خلال هذه الخطيئة الاولى ، وتناسى الابناء الجرم الذى أتوه فى حق الله الاب ، ولم يبق لديهم منه الا رغبتهم فى التكفير عنه . وظلت الرغبة تلاحقهم ، فلما جاءتهم بشارة خلاصهم بفداء المسيح الابن رحبوا بها لانها سبيلهم الى التكفير ، وكان لا بد أن يكون المضحى بنفسه الذى تحمل ذنب العالم ابنا ، لان الخطيئة كانت فى حق الاب ، وربما كان للتراث الشرقى والاغريقى أثره على تشكل فكرة الخلاص هذه ، ويبدو ان جوهر الخلاص هو ما أضافه بولس الى مذهب المسيحية ، فقد كان بولس انسانا له موهبة الدين بأصدق ما فى هذه العبارة من معنى ، وكانت آثار المـــاضى عالقة بأعماق نفسه ، مستعدة للنفاذ عنوة الى شعوره ، فصار بولس محطم الديانة اليهودية بتطويره لها ، ويرجع نجـــاحه من أساسه إلى أنه من خلال فكرة الخلاص استطاع أن يتجاوز الشـــعور بالذنب ، ويرجع كذلك الى تخليه عن فكرة الشعب المختار ، والختـــان علامة أنه مختار ، وبهذه الطريقة استطاع أن يجعل الديانة الجـــديدة مقبولة عالميا ، وربما كان دافعه الى اتخاذ هذه الخطوة انصراف اليهود عن دعوته ، ورغبته فى الانتقام منهم بالانتقاص من معتـــقداتهم بسبب المعارضة التى واجهوا بها ابتكاره (موسى والتوحيد ، الفصل الثانى) .



بومجـــارت Baumgardt

(١٨٩٠ ــ ١٩٦٣) داود بومجـــارت ، المـــانى كان صـــهيونيا مـــن شـــبابه البـــاكر ، وفى محـــاضراته فى جامعـــات المـــانيا واســـبانيا وانجلتـــرا وأمريكا كان ينبـــه الى أهميـــة الفلســـفة اليهودية ، وتأثير ابن ميمون فى الفلسفة الغربية ، وعنده أن الفلســـفة اخلاقية الطابع ، وأن الفلسفة الغربية تفقد روحهـــا بالخـــروج على الاخلاق ، وانتقد أخلاق كنط لان اساسها الفطرة ، بينما هى عند بومجارت اساسها التنزيل ، والتنزيل اليهودى بالذات ، ومن ثم فقد اثنى على هيردر لانه رد الاخلاق الى وصايا موسى ، وارجع هذا الاتجاه عند هيردر الى تأثير سبينوزا .

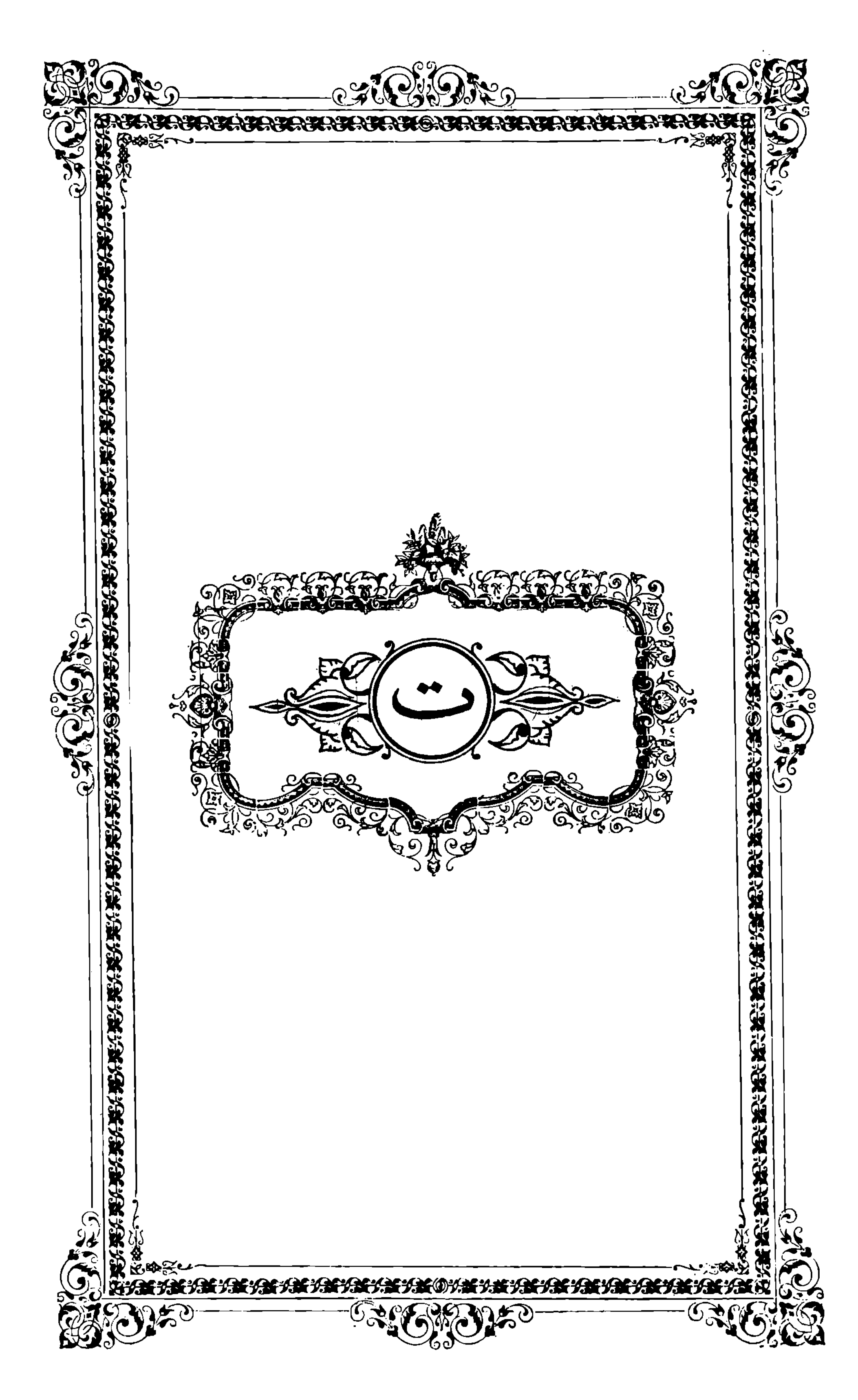
* * *

البيرير La Peyrere

(١٥٩٤ ــ ١٦٧٦) اسحق بيريرا او البيرير ، عرف بكتابه « ما قبل آدم » (١٦٥٥) نشره باللاتينية فى امستردام على طريقة مفكرى اليهود فى ذلك العصر ، ينقد فيه التوراة مبينا اوجه التضارب بين ما جاء بها من تواريخ وما كشفت عنه الشواهد التاريخية والانثروبولوجية من وجود شعوب تسكن الارض قبل التاريخ الذى ورد بها أن آدم كان أول انسان عليها ، ولكن التوراة اغفلت ذكرهم لانها كانت تؤرخ لليهود وحدهم وتتوجه بالحديث اليهم ، ومن ثم لا يجوز الاستناد اليها فى التاريخ للعالم ، وكانت اقواله مثار جدل عنيف كانت ارهاصا للكتابات النقدية اللاحقة للتوراة والتى اشتهرت منها مباحث سبينوزا « فى اللاهوت والسياسة » ، الامر الذى دفع السلطات الى اعتقاله فى بلجيكا ، وايداعه السجن لمدة ستة شهور ، وحرق كتابه فى باريس ، ولم يطلق سراحه الا بعد اعلانه سحب أقواله وتوبته وقبوله دخول الدير مدى الحياة . وبيريرا رغم أنه فرنسى ، ومن مواليد بوردو ، الا انه من اصل برتغالى ، وقد اعتنق ابواه المسيحية بتأثير اضطهاد السلطات ، فلما استطاعا الهرب الى فرنسا عادا الى دينهما ، وعالج بيريرا هذه الناحية فى كتابه الاول « عودة اليهود » (١٦٤٣) طرح فيه مسألة اضطهادهم وطالب باعادتهم الى وطنهم الاصلى فلسطين ، ومن ثم تصح النبوءة التى تقرن عودة اسرائيل برفع النقمة عن العالم وقيام العدل بين الناس .







ت



التلمودية Talmudism

هم غالية الربانية . يضفون القداسة على التلمود وينزلونه من انفسهم منزلة أعلى من منزلة التوراة عند جمهور اليهود . وعندهم انه روح الشعب التى أهلته لتلقى الالواح فى سيناء ، وهو جهد اليهود فى اقامة الدين المقابل للجهد الالهى المتمثل فى تنزيل التوراة . والتلمودية هم شراح التلمود ومفسروه . وهم الفقهاء والعلماء الراسخون . وتفسيرهم وتأويلهم لمعانيه هو كشف للمراد بحسب المعنى الباطن . والتلمودية لذلك هم باطنية اليهود أو القبالبون . وتأويلاتهم نبوة مفتوحة . ومنهم نسيم بن يعقوب القيروانى صاحب كتاب « مفتاح مغاليق التلمود » بالعربية . وسليمان بن أدريت الاسبانى (١٢٣٥ — ١٣٩٠ م) الذى انبرى للرد على دعاوى ابن حزم الاندلسى فى كتابه « الفصل فى الملل والاهواء والنحل » ان التوراة قد أصابه التحريف .



التوراة Torah

بمعنى التعليم او الشريعة . وأصلها فى العربية بمعنى دل وهدى ، وقصد بكلمة توروت فى سفر الخروج فرائض الله وشريعته وتشتمل على الاحكام الموروثة والمعمول بها عرفا وعادة من غير ان يكون لها اصل مكتوب . وهى عندهم أسفار الموحى بها من غير تدوين ، والاحكام المدونة المنزلة وهى المسماة عندهم اسفار موسى الخمسة . واتخذت باليونانية اسم بانتاتيوكس أى الكتاب ذو الاسفار الخمسة ، لانها تشتمل على خمسة كتب منسوبة الى النبى موسى ، وجرت العادة منذ الترجمة اليونانية المعروفة بالسبعينية ان يسمى كل سفر حسب محتواه . فسمى الاول سفر التكوين لانه يصف بدء العالم والانسانية ونشأة امة ابراهيم ، ودعى الثانى سفر الخروج لانه يتحدث عن خروج اسرائيل من مصر ، والثالث سفر الاخبار او اللاويين لانه يحتوى على طقوس الكهنة أبناء لاوى . واطلق على الرابع اسم سفر العدد بسبب احصاءات أولاد اسرائيل . وتنتهى المجموعة بسفر تثنية الاشتراع الذى يبدو كتكرار وتتمة لشريعة موسى . وهذه الاسفار الخمسة هى الاسفار المنزلة المكتوبة التى نزلت على موسى فى راى قدماء العبرانيين ، ثم توسعوا فى مدلول اللفظة فيما بعد فأطلقوها على الاسفار التى يقال لها العهد القديم وهى تسعة وثلاثون سفرا : التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية ويشوع والقضاة وراعوث

وصموئيل الاول وصموئيل الثانى والملوك الاول والملوك الثانى واخبار الايام الاول واخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا واستير وايوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد واشعياء وارميا ومراثى أرميا وحزقيال ودانيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجى وزكريا وملاخى . ويسود الاعتقاد ان موسى عليه السلام لم يكتب كل التوراة ، وانه كان هناك ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية سببته مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية ، ويظهر ذلك فى التضارب الواضح فى الروايات التاريخية ، ويقولون ان افضل تفسير للازدواج المتواتر والمراجعات والاختلافات بين نصوص التوراة هو القول بتمازج عدة تقاليد ، فللأسفار الاربعة الاولى ثلاثة مصادر رئيسية هى : التقليد اليهودى ومصدره كما يسود الاعتقاد اسباط الجنوب ، وقد سمى كذلك لان الله يحمل فيه اسم يهودى ، ثم التقليد الالهيمى الذى يظن ان مصدره اسباط الشمال ويحمل فيه الله اسم الهيم ، واخيرا التقليد الكهنوتى الذى يتناول التاريخ المقدس والنصوص التشريعية من ناحية العبادة والكهنوت ، بينما يشكل السفر الاخير تقليدا رابعا هو التقليد الاشتراعى ، وهو الذى يوجز ويربط بموسى تعديلات الشريعة التى حصلت فى أرض كنعان منذ عهد يشوع بن نون حتى ايام ملوك اسرائيل الاخيرين . وقيل انه لا بد لكون الكتاب سماويا واجب التسليم ان يثبت اولا بالدليل التام ان هذا الكتاب كتب بواسطة نبى ، ووصل الينا بعد ذلك بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، وان الاستناد الى شخص ذى الهام بمجرد الظن والوهم لا يكفى فى اثبات أن الكتاب من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفى فيه ، ولا سند لكون هذه التوراة المنسوبة الى موسى عليه السلام من تصنيفاته ، وتواترها منقطع قبل زمان يوشيا ، والنسخة التى وجدت بعد ثمانى عشرة سنة من توليه لا اعتماد عليها ، ومع كونها غير معتمدة فقد ضاعت ايضا ، غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفيها انعدمت التوراة وسائر كتب العهد القديم من الوجود كلية ، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها واكثر نقولها فى حادثة انتيوخس ، ثم يقولون ان السفر الاول والثانى من أخبار الايام صنفهما عزرا باعانة حجى وزكريا الرسولين ، ومع ذلك فقد تناقض كلام هؤلاء الانبياء الثلاثة فى الباب السابع والثامن من السفر الاول فى بيان اولاد بنيامين ، وكذا خالفوا فى هذا البيان هذه التوراة المشهورة ، الاول فى الاسماء ، والثانى فى العدد ، حيث يفهم من الباب السابع أن أبناء بنيامين ثلاثة ، ومن الباب الثامن انهم خمسة ، ومن التوراة انهم عشرة ، واتفق علماء اهل الكتاب ان ما وقع فى السفر الاول

غلط ، وبينوا سبب وقوع الغلط ان عزرا ما حصل له التمييز بين الابناء وابناء الابناء ، وان أوراق النسب التى نقل عنها كانت ناقصة ، وظاهر أن هؤلاء الانبياء الثلاثة كانوا متبعين للتوراة ، فلو كانت توراة موسى هى هذه التوراة التى بين ايدينا ، لما خالفوها ، ولما وقعوا فى الغلط ، ولما امكن لعزرا ان يترك التوراة ويعتمد على الاوراق الناقصة . وكذا لو كانت نسخة التوراة التى فى زمانه يعتقد بصحتها لما خالفها ، فعلم ان هذه التوراة التى بأيدينا ليست هى التوراة التى صنفها موسى ، بل وليست التوراة التى كتبها عزرا وحجى وزكريا ، لانه لا يعقل ان يكون الثلاثة من الانبياء ويتردوا فى هذه الاخطاء ، ولا يكونون بمعصومين عن الخطأ فى التحرير والتبليغ ، فعلم أن هذه التوراة المشهورة ليست هى التوراة الحقيقية . وثمة مسألة اخرى ، فالمقابلة بين البابين الخامس والاربعين والسادس والاربعين من كتاب حزقيال ، والبابين الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من سفر العدد تظهر التخالف الصريح فى الاحكام ، وظاهر ان حزقيال كان متبع التوراة ، فلو كانت التوراة فى زمانه مثل هذه التوراة المشهورة لما خالفها فى الاحكام ، فعلم يقينا ان تواترها قد انقطع ، اذ لا يعقل ان يخالف الكتاب السماوى الذى يعتقد به . وكذلك وقع فى التوراة فى مواضع عديدة ان الابناء تؤخذ بذنوب الآباء الى ثلاثة اجيال ، ووقع فى الآية العشرين من الباب الثامن عشر من كتاب حزقيال ان النفس التى تخطىء فهى تموت ، والابن لا يحمل اثم ابيه ، والاب لا يحمل اثم الابن ، وعدل العادل يكون عليه ، ونفاق المنافق يكون عليه، فعلم من هذه الآية مخالفتها الصريحة للتوراة ، مما يدل على أن التحريف وقع اما فى كتاب حزقيال ، او فى التوراة ، وانه لا سند لصحة ايهما ، فالمتمسك بصحة هذا ينقض ذلك ، والعكس صحيح ، غير ان الشواهد تترى على أن التحريف قد وقع لهذه التوراة ، بصرف النظر عن انه قد وقع كذلك لكتاب حزقيال ، والمعروف ان كاتب التوراة قد نسب الاقوال المنسوبة الى الله تعالى بأن ذكر ان الله تعالى قال ، ونسب الاقوال المنسوبة الى موسى بأن قال ان موسى عليه السلام قال ، وعبر عن موسى عليه السلام بصيغة المتكلم ، فعلم أن كاتب التوراة غير موسى عليه السلام ، وتشهد بذلك بعض الفقرات ، كالآيات الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر التكوين حيث ورد فيها أن « هؤلاء الملوك الذين ملكوا ارض ادوم قبل ان يملك لبنى اسرائيل » ، فهى تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطة بنى اسرائيل ، ولايمكن لذلك أن يكون موسى عليه السلام ، والآية الرابعة عشرة من الباب الثالث من سفر الاستثناء « فياير بن منسا ورث كل ارض ارغوب الى تخوم

جاسور » ... « تدل على أن كاتبها بعد زمن اقامة اليهود فى فلسطين»، والآية الرابعة عشرة من الباب الثانن والعشرين من سفر التكوين « كما يقال فى هذا اليوم جبل الله يجب ان يتراءى الناس » ، اذ لم يطلق على هذا الجبل انه جبل الله الا بعد بناء الهيكل الذى بناه سليمان فوقه ، بعد اربعمائة سنة وخمسين من موت موسى عليه السلام ، فعلم يقينا من امثال هذه الآيات ان موسى عليه السلام لم يكن كاتبها ، ويقول علماؤهم رجما بالغيب انها من ملحقات نبى من الانبياء ، وهو قول مردود ، لانه ادعاء بلا برهان ، لانه ما كتب نبى من الانبياء فى كتابه انى الحقت هذه الفقـرة او تلك فى هذا الباب أو ذاك من التوراة ، ولا كتب أنه سمع أن غيره من الانبياء قد الحقها ، ولم يثبت هذا الامر بالدليل ، ومجرد الظن لا يغنى ، فما لم يقم الدليل على الالحاق تكون هذه الفقرات والابواب ادلة كاملة على ان هذا الكتاب ليس من تصنيف موسى ، وان مصنفات موسى عليه السلام قد انقطع تواترها وعدمت ، وما دام لم يثبت السـند من جانب اليهود ، فليس علينا التسليم بالموجود منها بل يجوز لنا الرد والانكار . على أن التحريف يتناول كتب التوراة والعهد القديم كله من ناحيتى الشكل والموضوع ، فمن ناحية الشكل لم يعثر من نسخ هذه الكتب الا عـلى ثلاث ، الاولى عبرانية وهى المعتبرة عند اليهود وجمهور البروتستنت من المسيحيين ، والثانية يونانية وهى التى كانت معتبرة عند المسيحيين حتى القرن الخامس عشر . وكانوا الى هذه المدة يعتقدون تحريف النسـخة العبرانية ، والثالثة النسخة السامرية ، وهى المعتبرة عند السامريين، وهى عبرانية ايضا ولكنها تشتمل على سبعة كتب فقط من العهد القديم، وهى كتب موسى الخمسة وكتاب يوشع وكتاب القضاة ، لان السامريين لا يسلمون ببقية الكتب من العهـد القديم ، ونسختهم تزيد على النسخة العبرانية فى بعض الفقرات والالفاظ ، ويعتبرها كثير من المحققين افضل من العبرانية ، ويعتقدون ان اليهود حرفوا العبرانية نكاية بالسامريين. وتتناقض النسخ الثلاث ، الامر الذى يجعل الآخذين بأى منهـا يقضى بتحـريف الاخـريين . ومـن ذلك أن الـزمان مـن خـلق آدم الى طـوفان نوح وفـق العبرانيـة ١٦٥٦ سـنة ، ووفق اليـونانية ٢٢٦٢ سنة ، ووفق السامرية ١٣٠٧ سنة ، ومن اجل ذلك لم يعتمـد يوسيفوس على اى من النسخ الثلاث . وكذلك فان الزمان من الطوفان الى ولادة ابراهيم عليه السلام وفق العبرانية ٢٩٢ سنة ، ووفق اليونانية ١٠٧٢ سنة . ووفق السامرية ٩٤٢ سنة . ويميل المؤرخون الى الاخـذ بالنسخة السامرية ، ويقولون ان اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية فى بيان زمن الاكابر الذين قبل زمان الطوفان وبعده الى زمن موسى ، وفعلوا هذا الامر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة ، ولعناد الدين المسيحى ،

وقضى علماء المسيحية بأن تاريخ تحريف اليهود للتوراة كان فى سنة ١٣٠ ميلادية ، ويميلون الى النسخة السامرية . فمثـــلا فى الباب السـابع والعشرين من كتاب الاستثناء ، تقول الآية الرابعة من النسخة العبرانية « فاذا عبرتم الاردن فانصبوا الحجارة التى أنا اليوم اوصيكم فى جبـل عيبال » ، وهى فى النسخة السامرية « فانصـــبوا الحجارة التى أنا اوصيكم فى جبل جرزيم » ، ويفهم من النسخة العبرانية أن موسى امر ببناء الهيكل على جبل عيبال . ومن النسخة السامرية انه امر ببنـائه على جبل جرزيم ، ويحتدم الخلاف بين اليهود السامريين وبقية اليهود فى هذا الشأن وغيره . ويتهم كل منهما الآخر بتحريف التوراة فى هذا المقام. ويجزم علماء المسيحية بأن اليهود حرفوا لاجل عداوة السامريين ، فجبل جرزيم له عيون وحدائق ونباتات كثيرة . بينما عيبال جبل يابس ، لا شىء عليه من هذه الاشياء . ومن ثم يكون جرزيم أنسب لاســماع البركة ، والثانى للعن كما يقولون . وكذلك وقع التناقض بين النسختين اليونانية والسامرية والنسخة العبرانية حيث ورد فى الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين . الآية الثالثة . لفظ قطعان غنم وماشية . والانسب أن يقال رعاة وليس قطعانا . وفى الآية الثالثة عشرة من الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى لفظ سبع سنين . ووقع فى الآية الثانية عشرة من الباب الحادى والعشرين من الكتاب الاول من أخبار الايام لفظ ثلاث سنين ، وأحدهما غلط يقينا . وفى الآية الخامسة والثلاثين من البـاب التاسع من الكتاب الاول من أخبار الايام فى النسخة العبـرانية « وكان اسم أخته معكاه » . وفى النســخة اليونانية وقع لفظ الزوجـة بدلا من الاخت . وأخذ جمهـور البروتستنت بالنسخة اليونانية وتركوا العبرانية. فالتحريف فى العبرانية عندهم . وفى الآية الثـانية من البـاب الثانى والعشرين من الكتاب الثانى من أخبار الايام من النسخة العبرانية « وكان احزيا ابن اثنتين وأربعين سنة » . ولا شك أنه غلط لان أباه يهـورام حين موته كان ابن أربعين . وتولى هو الملك بعد موت أبيه متصلا . فلو صح هذا يلزم أن يكون أكبر من أبيه بســنتين . وفى الآية السادسة والعشرين من الباب الثامن من سفر الملوك الثانى « أنه كان فى ذلك الوقت ابن اثنتين وعشرين سنة » . ولا يمكن أن تتطابق العبارتان . ولا تصـح عبارة النسخة العبرانية التى يظهر منها كون الابن أكبر من أبيه بسنتين، وتحاشت الترجمة العربية هذا الخطأ فجاء بها اثنـان وعشرون . وفى الآية التاسـعة عشرة من الباب الثامن والعشرين من السفر الثانى من أخبار الايام فى النسخة العبرانية « الرب قد أذل يهودا بسبب أخاه ملك اسرائيل » . ولفظ اسرائيل غلط يقينا . لانه كان ملك يهودا وليس ملك اسرائيل . ووقع فى اليونانية لفظ يهودا . فالتحريف فى العبرانية . وفى

الآية السادسة من الزبور الاربعين « فتحت أذنى » ، ونقل بولس هـذه الجملة فى كتابه الى العبرانيين فى الآية الخامسة من الباب العاشر « قد هيئت لى جسدا » فاحدى العبارتين غلط ومحرفة يقينا . وفى الآية الثامنة والعشرين من الزبور المائة والخامس فى العبرانية « هم ما عصوا قوله »، وفى اليونانية « هم عصوا قوله » ، ففى الاولى نفى ، والثانية اثبات ، فأحدهما غلط يقينا . وفى الآية التاسعة من الباب الرابع والعشرين من سفر صموئيل الثانى « بنو اسرائيل كانوا ثمانمائة الف رجـل شجاع ، وبنو يهودا خمسمائة الف رجل شجاع » ، وفى الآية الخامسة من الباب الحادى والعشرين من سفر الملوك الاول « فبنو اسرائيل كانوا الف الف رجل شجاع ، ويهودا كانوا اربعمائة الف وسبعين الف رجل شجاع » ، فاحدى العبارتين هنا محرفة . وورد فى الآية الثامنة من الباب الخامس عشر من سفر صموئيل الثانى لفظ أرم ، والصحيح انه ادوم . وفى الآية السابعة من الباب المذكور ان ابا سالوم قال للسلطان بعد أربعين سنة ، ولفظ الاربعين غلط يقينا ، والصحيح لفظ الاربع . وفى الآية السادسة من الباب السابع من السفر الاول من اخبار اليوم « بنو بنامين ... ثلاثة اشخاص » ، وفى الباب الثامن من السفر المذكور ولد بنيامين خمسـة ، وفى الآية الحادية والعشرين من الباب السادس والاربعين من سـفر التكوين بنو بنيامين عشرة ، وفى الآيات الثلاث اختلاف فى الاسماء وفى العدد، ولا شك ان احداها صادقة وتكذب الباقيتان . وتتناقض الآية التاسـعة من الباب السادس والثلاثين من السفر الثانى من اخبـار الايام حيث تقول « وكان يوياكين ابن ثمانى سنين حين ملك » والآية الثـامنة من الباب الرابع والعشرين من سفر الملوك الثانى « وكان يوياكين ابن ثمانى عشرة سنة حين جلس على سرير الملك » . وفى الآية السابعة عشرة من الزبور الحادى والعشرين على ما فى بعض النسخ ، او فى الآية السادسة عشرة من الزبور الثانى والعشرين ، وقعت هـذه العبارة فى النسخة العبرانية « وكلنا يدى مثل الاسد » ، والكاثوليك والبروتستانت يتفقون على تحريفها وينقلونها « وهم طعنوا يدى ورجلى » . ويورد بولس الآية الرابعة من الباب الرابع والستين من كتاب اشـعيا « بل كما كتب أن الاشياء التى هياها الله للذين يحبونه مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولم يخطر بخاطر انسان » وهى فى الاصل العبرانى « لان الانسان من القديم ما سمع وما وصل الى اذن أحد ، وما رات عينا احد الها غيرك يفعل لمنتظريه مثل هذا » وشتان بين النصين ، ويقول هنـرى واسـكات فى تفسيره للعهد القديم « الراى الحسن ان المتن العبرى محرف » . وهذه كلها بعض من التحريفات التى شملت الفاظ التوراة ، والخـلافات فى ايرادها بين النسخ الثلاثة المعتبرة عند اهل الكتاب .

اما التحريف بالزيادة ، فقد علم ان ثمانية كتب من العهد القديم كانت مشكوكا فى امرها ، غير مقبولة عند المسيحيين الى ثلاثمئة واربع وعشرين سنة، هى كتب استير وباروخ وطوبيا ويهوديت ووزدم وايكليزياستيكوس والمقابيين (الاول والثانى) ، وعدوها محرفة ، وغير الهامية ، ثم استقر الراى فى المجالس التى عقدت بعد ذلك الى اعتبارها الهامية وواجبة التسليم ، فظهر من هذا انه لا اعتبار لاجماع اسلافهم ، ومن ثم يجوز أن يكون اجماعهم كذلك خطأ طالما ان الاجماع الاول كان خطأ ، فضلا عن وجود زيادات ألحقت بالآيات ، كالآية الحادية والثلاثين من الباب السادس والثلاثين من سفر التكوين « وهؤلاء الملوك الذين ملكوا فى ارض أدوم قبل أن يملك لبنى اسرائيل » . ويقول آدم كلارك فى تفسيره للعهد القديم ان هذه الآية لا يمكن أن تصدر عن موسى عليه السلام ، لانها تدل على أن المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بنى اسرائيل ، اى فى عهد لاحق لزمان موسى ، وكذلك الآيات التى بعدها الى الآية التاسعة والثلاثين ، والآية الرابعة عشرة من الباب الثانى والعشرين ، والآية السابعة من الباب الثالث عشر ، والسادسة من الباب الثانى ، والآية الرابعة عشرة من الباب الثالث من سفر الاستثناء ، والثانية عشرة من الباب الثانى من نفس السفر ، وكذلك الحادية عشرة من الباب الثالث ، والثانية من الباب الثالث والعشرين ، والباب الرابع والثلاثون. ومن سفر العدد الآية الاربعون من الباب الثانى والثلاثين ، والآية الثالثة والرابعة عشرة من الباب الحادى والعشرين . ومن سفر الخروج الآيات الخامسة والثلاثون من الباب السادس عشر ، والثامنة عشرة من الباب الثالث عشر ، والسابعة والعشرين من الباب الخامس والثلاثين ، والرابعة عشرة من الباب السابع والثلاثين . ومن سفر التكوين العدد الآيات الرابعة عشرة من الباب الحادى والعشرين ، والاربعون من الباب الثانى والثلاثين . ومن سفر يوشع ذيل الآية التاسعة من الباب الرابع، والآيات من العاشرة الى الخامسة عشرة من الباب الاول ، والثالثة عشرة من الباب العاشر ، والخامسة والعشرون من الباب الثالث عشر . ومن سفر القضاة الآيات من العاشرة الى الخامسة عشرة من الباب الاول ، ومن سفر صوئيل الاول الآيات من الثامنة الى الواحدة والثلاثين ، والآية الواحدة والاربعون ، ومن الآية الرابعة والخمسين الى آخر الباب السابع عشر ، والآيات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة والتاسعة عشرة حيث لا توجد فى اليونانية .

اما التحريف بالنقصان فيذكر مؤرخوهم ان الآية الثانية عشرة من الباب الخامس عشر من سفر التكوين « .. ان نسلك سيكون ساكنا فى

غير ارضهم . ويستعبدونهم ويضيقون عليهم اربعمائة سنة » . ثم الآية الاربعون من الباب الثانى عشر من كتاب الخروج « فكان جميع ما سكن بنو اسرائيل فى أرض مصر اربعمائة سنة وثلاثين سنة » . فبين الآيتين اختلاف . فاما اسقط من الاولى لفظ ثلاثين ، واما زيد فى الثانية ، ومع قطع النظر عن هذا الاختلاف عان مؤرخيهم مجمعون على ان هذه المدة كانت مائتين وخمس عشرة سنة فقط ، ويقول ابن حزم فى شأن هذه الواقعة انها فضيحة الدهر ، فقد ذكر التوراة من قبل أن قاهاث بن لاوى دخل مصر مع جده يعقوب ، ومع أبيه لاوى ، ومع سائر اعمامه وبنى اعمامه . وان عمر قاهاث بن لاوى المذكور كان مائة سنة وثلاث وثلاثين سنة . وان عمران بن قاهاث بن لاوى المذكور كان عمره مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ، وان موسى بن عمران بن قاهاث بن لاوى المذكور كان اذ خرج ببنى اسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين سنة ، فهبك أن قاهاث دخل مصر ابن شهر او أو اقل ، وأن عمران ابنه ولد بعد موته . وأن موسى بن عمران ولد بعد موت ابيه ، فليس يجتمع من كل ذلك الا ثلاثمائة عام وخمسون عام فقط ، فأين الثمانون عاما الباقية من جملة اربعمائة سنة وثلاثين سنة . فان قالوا نضيف الى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول ابيه واخوته . قلنا قد بين فى التوراة انه كان اذ دخلها ابن سبع عشرة سنة ، وانه كان اذ دخلها ابوه واخوته ابن تسع وثلاثين سنة . فاذن كان مقامه بمصر قبل ابيه واخوته اثنين وعشرين سنة ، ضمها الى ثلثمائة سنة وخمسين سنة . يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة ، فأين الثمانى والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة ؟ ومن التحريفات بالنقصان كذلك فى هذه النسخة العبرانية ان الآية الثامنة من الباب الرابع من سفر التكوين تقول « وقال قابيل لهابيل اخيه ولما صارا فى الحقل قام قابيل على هابيل أخيه فقتله » . وفى النسخة السامرية واليونانية والتراجم القديمة .. وقال قابيل لهابيل اخيه تعال فخرج الى الحقل ولما صارا فى الحقل .. » ، فهذه العبارة « تعال نخرج الى الحقل » سقطت عن العبرانية . وكذلك سقطت من هذه النسخة لفظة « وليلة » فى الآية السابعة عشرة من الباب السابع من سفر التكوين « وصار الطوفان اربعين يوما على الارض » بدلا من « اربعين يوما وليلة » ، وعبارة «وكان قبيحا فى نظره» من الآية الثانية والعشرين من الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين، حيث وردت « ولما سكن اسرائيل تلك الارض ، مضى روبيل وضاجع بلها سرية ابيه فسمع اسرائيل » والنسخة اليونانية تتمها بالعبارة السابقة . وسقطت ايضا « لم سرقتم صواعى » من الآية الخامسة من

الباب الرابع والاربعين من سفر التكوين . ولفظة « معكم » من الآية الخامسة والعشرين من الباب الخمسين من سفر التكوين ، وعبارة « وولدت ايضا غلاما ثانيا ودعا اسمه العاز ، فقال من أجل أن اله ابى اعانني وخلصني من سيف فرعون ، من الآية الثانية والعشرون من الباب الثاني من سفر الخروج ، وعبارة ومريم أختهما من الآية العشرين من الباب السادس من سفر الخروج ، وعبارة « واذ نفخوا مرة ثالثة يرفع الخيام الغربية للارتحال ، واذ نفخوا مرة رابعة يرفع الخيام الشمالية للارتحال » من الآية السادسة من الباب العاشر من سفر العدد ، وكذلك هناك نقص فى الآيات الثالثة عشرة واول الآية الرابعة عشرة من الباب السادس عشر من كتاب القضاة ، والآية الثالثة الا لفظ شكيناه ، والآية ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٩ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ من الباب المذكور ، والآية السابعة عشرة من الباب الثانى والاربعين من كتاب أيوب ، والآية الثالثة من الزبور الرابع عشر ، والآية الخامسة من الباب الاربعين من كتاب اشعيا . ومن أجل كل ذلك ، وحيث انه لم يثبت التواتر اللفظى لكتب العهد القديم ، ولم يوجد سند متصل لها الى مصنفيها ، ثبت جميع انواع التحريف فيها ، وثبت التحريف من اليهود لدفع الاعتراض وتأييد المسألة ، فصارت هذه الكتب مشكوكا فيها عندنا ، فلا يتم الاحتجاج ببعض آياتها علينا .
ولا يستبعد التحريف فان موسى عليه السلام لما استنسخ التوراة سلمها الى الاحبار ، وأوصاهم بالمحافظة عليها ، ووضعها فى جنب صندوق الشهادة ، واخراجها الى الناس بعد كل سبعة من السنين فى يوم العيد لاجل سماع بنى اسرائيل ، فكانت النسخة موضوعة فى جنب الصندوق ، وكانت الطبقة الاولى على وصية موسى عليه السلام ، فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بنى اسرائيل ، فكانوا يرتدون تارة ويسلمون أخرى ، وهكذا حالهم الى أول حكم داود ، وحسن حالهم خلال حكمه وصدر ولاية سليمان ، لكن لانهم قاموا بالانقلابات ضاعت النسخة الموضوعة فى جنب الصندوق ، ولا يعلم جزما متى ضاعت ، ولما فتح سليمان الصندوق لم يجد غير اللوحين المكتوب عليهما الوصايا العشرة فقط كما هو واضح من الآية التاسعة من الباب الثامن من سفر الملوك الاول « ولم يكن فى التابوت الا اللوحان الحجريان اللذان وضعهما موسى بحوريت ، حيث عاهد الرب بنى اسرائيل وأخرجهم من مصر » ، ثم وقع الانقلاب العظيم فى آخر ولاية سليمان على ما تشهد به كتبهم ، بأن ارتد سليمان فعبد الاصنام وبنى المعابد لها ، واذ صار مرتدا وثنيا ، عاد له غرض بالتوراة ، وبعد موته وقع انقلاب اشد ، بأن تفرق اسباط بنى اسرائيل ، وصارت الدولة الواحدة دولتين ، وصار يوربعام ملكا على عشرة اسباط ، وسميت دولته

باسم اسرائيل ، وصار رحبعام بن سليمان ملكا على السبطين ، وسميت دولته يهودا ، وشاع الكفر لان يوربعام عندما تولى ارتد ، وارتدت الاسباط العشرة معه ، ومن بقى منهم على ملة التوراة هاجر الى يهودا ، فهؤلاء الاسباط من هذا العهد الى مائتين وخمسين سنة كانوا كافرين ، عابدين للاصنام ، ثم أبادهم الله بأن سلط عليهم الاشوريين فأسروهم وفرقوهم فى الممالك ، ومن بقى تزاوج مع الوثنيين ، وسميت أولادهم السامريين ، ونهبت أورشليم وبيت المقدس مرتين ، فلما ولى يوشيا لم ير ولم يسمع بوجود نسخة للتوراة ، ثم ادعى حلقيا الكاهن فى العام الثامن عشر من حكمه أنه عثر على نسخة منها فى بيت المقدس ، ورغم الشكوك التى تحيط بظهورها ، الا أنه لم يعمل بها الا لثلاث عشرة سنة فقط ، وبعدها حكم المرتدون ، ولم يعلم بأمرها ، الى أن أحرق بختنصر بيت الله وبيت الملك وجميع بيوت أورشليم ، واسر سائر الشعوب من بنى اسرائيل وسباهم ، وفى هذه الحادثة انعدم التوراة وكذا جميع كتب العهد القديم ، فلما أعاد عزرا كتابتها وقعت الحادثة الثانية التى جاء ذكرها فى الباب الاول من الكتاب الاول للمقابيين ، حيث فتح انتيوكس أورشليم وأحرق جميع نسخ العهد القديم ، وأمر أن من يوجد عنده نسخة أو يؤدى رسم الشريعة يقتل ، وكان تحقيق هذا الامر فى كل شهر ، وكانت هذه الحادثة قبل ميلاد المسيح بمائة واحدى وستين سنة ، وامتدت الى ثلاث سنوات ونصف كما قال يوسيفوس ، فانعدمت فى هذه الحادثة جميع النسخ التى كتبها عزرا ، وبعد ذلك وقعت حوادث مماثلة ، منها حادثة طيطوس الرومى التى تحدث عنها يوسيفوس بالتفصيل ، وفيها اسرت الآلاف من اليهود وبيعوا ، وهلك خلق كثير . ولذلك ظلت النسخة اليونانية للتوراة هى المعول عليها حيث كانت النسخ العبرانية نادرة ، وقد لمس اليهود اختلاف النسخ المترجمة عن نسختهم ، فقاموا بدورهم باعدام الكثير منها ، بالاضافة الى أن أقدم نسخة من التوراة وصلتنا ترجع الى المائة العاشرة فى راى ، والى المائة الحادية عشرة فى راى ، ولما طبعها «واندرهوت» بادعاء التصحيح الكامل خالفها فى اربعة عشر الف موضع ، منها ما يزيد على الفى موضع فى التوراة فقط . اما النسخة اليونانية فيوجد منها ثلاث ، والاولى كودكس اسكندريانوس ، والثانية كودكس والميكانوس ، والثالثة كودكس افريمى ، ولا يوجد دليل على تاريخ كتابة أى منها ، والظن انها كتبت فى القرن الرابع او الخامس أو السادس او السابع أو الثامن أو العاشر ، وتختلف فيما بينها اختلافا شديدا ، الامر الذى يدل على كذب اثنتين منها ان كانت واحدة صادقة ، وكذب الثالثة بدعوى صدق الاثنتين .

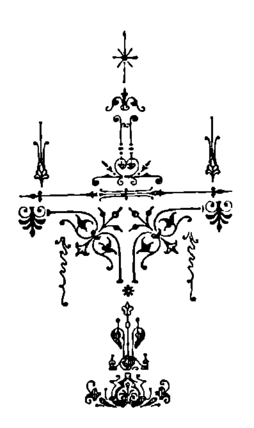
أما التحريف من جهة الموضوع فقد تناوله باسهاب ابن حزم فى تحفته « الفصل فى الملل والاهواء والنحل » ، ومنه ما جاء فى سفر التكوين « وقال الله لنصنع الانسان على صورتنا كمثالنا » (الفصل الاول ، العبارة ٢٦) فلم يقل كصورتنا وسكت ، اذن لكان له وجه حسن ومعنى صحيح ، وهو أن نضيف الصورة الى الله اضافة الملك والخلق ، كما نقول عن انسان قبيح أو حسن الوجه هذه صورة الله ، اى تصوير الله ، والصفة التى انفرد بملكها وخلقها ، لكن قوله كمثالنا منع التأويلات وسد المخارج وقطع السبل ، واوجب شبه آدم لله ، وهذا يعلم بطلانه ببديهة العقل ، اذ الشبه والمثل معناها واحد .

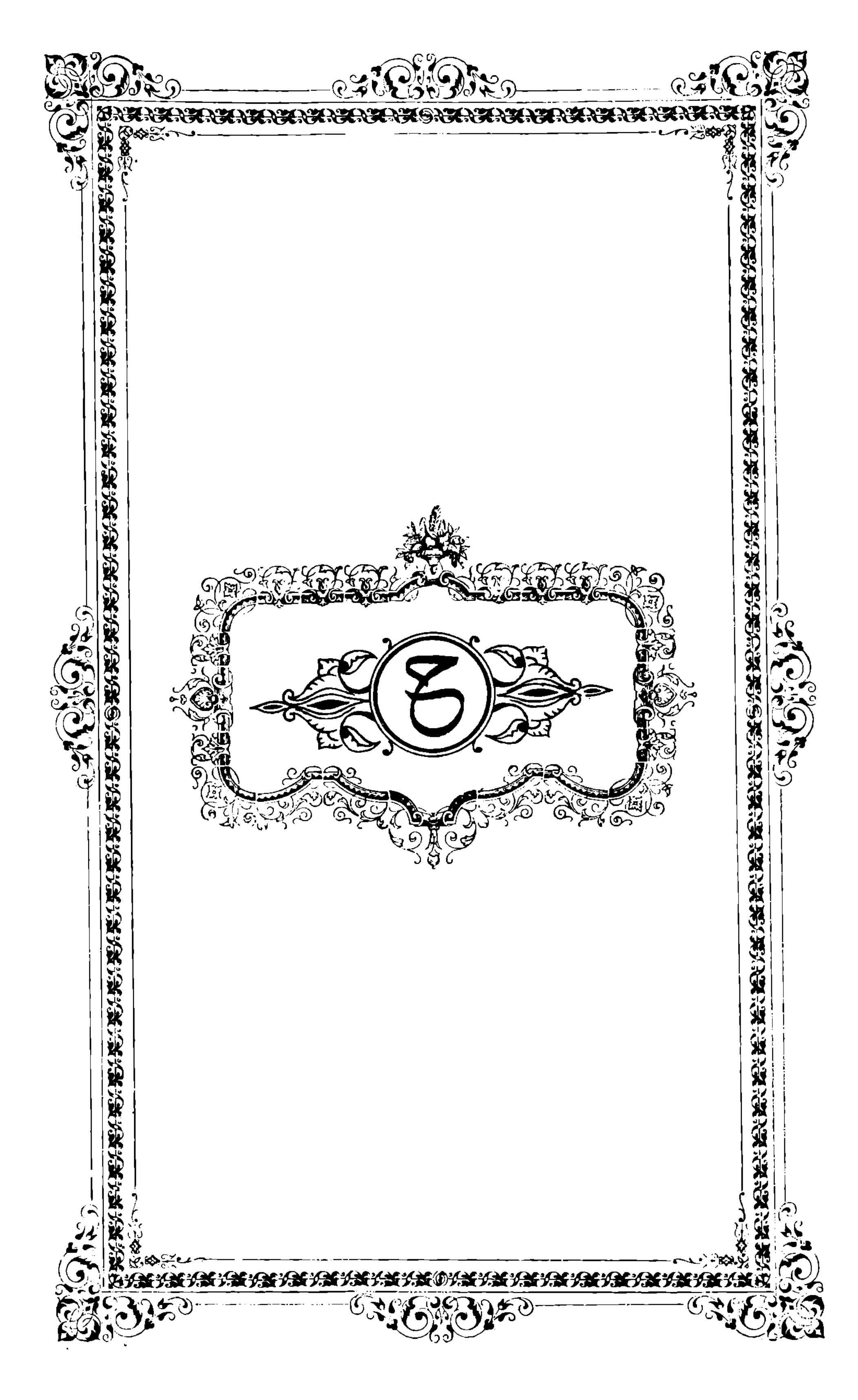
ومنه ايضا « وقال الرب الاله هوذا آدم قد صار كواحد منا يعرف الخير والشر ، والآن لعله يمد يده فيأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل فيحيا الى الدهر ، فأخرجه الرب الاله من جنة عدن » (التكوين ، الفصل الثالث ، العبارة ٢٢) ، وحكايتهم هذه عن الله انه قال هذا آدم قد صار كواحد منا موجب ضرورى أنهم آلهة أكثر من واحد ، وأدى هذا القول بالكثير من خواص اليهود الى الاعتقاد أن الذى خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله قبل آدم ، واكل من الشجرة التى اكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم اكل من شجرة الحياة فصار الها من جملة الآلهة .

ومنه ايضا أن الله تعالى وعد ابراهيم « لنسلك اعطى هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » (التكوين ، الفصل الخامس عشر ، العبارة ١٨) ، وهذا كذب ، لانه ان كان عنى بنى اسرائيل ، وهكذا يزعمون ، فما ملكوا قط من نهر مصر شبرا فما فوقه ، وذلك من موقع النيل الى قرب بيت المقدس ، وفى هذه المسافة من الصحارى ثم رفح وغزه وعسقلان وجبال الشراة التى لم تزل تحاربهم طول مدة دولتهم ، وتذيقهم الامرين الى انقضائها ، ولا ملكوا قط من الفرات ، بل بين آخر خور بنى اسرائيل الى اقرب مكان من الفرات اليهم نحو تسعين فرسخا، فيها قنسرين وحمص التى لم يقربوا منها قط ، ثم دمشق وصور وصيدا التى لم يزل أهلها يحاربونهم ويسومونهم الخسف طول مدة دولتهم باقرارهم ونصوص كتبهم ، فان قال قائل انما عنى الله بهذا الوعد بنى اسماعيل عليه السلام ، قلنا وهذا ايضا خطأ ، لان هذا القدر المذكور هاهنا من الارض أقل من جزء من مائة جزء مما ملك الله بنى اسماعيل ، وأين يقع ما بين النيل والفرات ، من آخر الاندلس على ساحل البحر المحيط وبلاد البربر كذلك ، الى آخر السند وكابل مما يلى بلاد الهند ،

ومن ساحل اليمن الى ثغور ارمينية واذربيجان . ثم تقول التوراة « وتجلى له الرب .. فرفع طرفه ونظر ، فاذا ثلاثة رجال وقوف فى صورة رجل »، ونفهم بعد ذلك ان الرجلين المرافقين ملكان « فجاء الملكان الى سدوم عشاء .. » (التكوين ، الفصل التاسع عشر ، العبارة الاولى) ، ونزول الله بهذه الصورة تشخيص ، نرى النصارى يحتجون به على الوهية المسيح .









Hasidism الحصيدية

مذهب فى الباطنية اليهودية ، وهو غنوص لا شك فيه ، وقيل صحيح الاسم الحسيدية بمعنى التقوية ، لكنا نرى انه الحصيدية مشتق من الحصيد بالارامية والعربية وهو اسافل الزرع التى تبقى لا يتمكن منها المنجل ، والحصيدبون هم البقية الصالحة التى لم تتمكن منها ديانات ولا عادات الاغراب ولم تصرفها عن عبادة الله على ملة اليهود ، ويرد ذكرهم بهذا المعنى فى سفر المقابيين الاول وان كان مترجم التوراة قد ظنهم الحسيديين بمعنى المتقين ، يقول التوراة : « حينئذ اجتمعت اليهم جماعة (الحسيديين) ذوى البأس فى اسرائيل وكل من انتدب للشريعة ، وانضم اليهم جميع الذين فروا من الشر فازدادوا بهم تعزيزا ، والفوا جيشا واوقعوا بالخطأة فى غضبهم ، وبرجال النفاق فى حتفهم ، وفر الباقون الى الامم طالبين النجاة » (الفصل الثانى/٤٢ — ٤٤) .

ويرد المؤرخون نشأة فرقة الفريسيين الى الحصيديين ، والفريسيون صحيح اسمهم الفرسان (انظر الفريسيون) ، ولا شك ان هناك صلة بين ان يكون المرء فارسا وان يكون من ذوى البأس فى جيش عمله محاربة الخطاة والمنافقين ، ولذلك لا يجد المؤرخون المحدثون اية صلة بين دعوة الحصيديين القدامى ودعوة الجدد ، فالاولون محاربون والآخرون متصوفة ، ولذلك يميلون الى ترجمة الاسم الحصيدية بالتقوية ويقولون بكتابته الحسيدية بدلا من الحصيدية باعتبار ان الحصيدى هو المحارب والحسيدى هو التقى الورع ، لكنا نرى أن لفظة حسيدية ليس لها الا الاصل الاول ، ولا بأس ان يكون المرء محاربا وتقيا وهو ما يحمله تعبير المجاهد فى سبيل الله ، وانا لنفضل ترجمة الاسم لذلك بالجهادية ، وهم الحصيديون بمعنى المجاهدين ، وكانوا فى السابق مجاهدين فى الحرب وهم الآن مجاهدون فى السلم ، وكانت بدايتهم بداية حربية ولكنهم فى الصيغة المحدثة (ابتداء من القرن الثامن عشر) فرقة من الصوفية واصحاب طريقة واهل سلوك ، ويبدو ان ظروف اليهود فى أوروبا الشرقية فى القرن الثامن عشر كانت مشابهة لظروفهم زمن المقابيين ، ولما كانت الظروف المتشابهة كثيرا ما تخلق مذاهب متشابهة فان الحصيدية عاودت الظهور بعد نحو عشرين قرنا ، ولم يكن من المعقول أن يكون الحصيديون الجدد محاربين من ذوى البأس كأسلافهم ، فأوروبا الشرقية لم تكن فلسطين ، والارجح ان الوعى بضرورة الخلاص الذى استيقظ عند المحدثين اتجه وجهة روحية ، فحيث يعز الخلاص المادى لا يتبقى الا الخلاص الروحى ، ولم يكن بعل شمطوب (نحو ١٧٠٠ —

١٧٦٠) مؤسس المذهب محاربا على طريقة الاولين ، ولكنه كان اقرب الى شخصية المسيح الدجال ، وكان يمارس الطب على طريقةالمشعوذين مدعيا معرفة اسرار الاسم الاعظم او اسم الله ، وكان قبل ذلك يشتغل بتعليم الصبيان القراءة والكتابة ويدرس لهم التوراة ، غير انه اكب على القبالة او فلسفة القبول اليهودية واستقى من جانبها العملى ثم راح يبشر بطريقته حتى بلغ اصحابه نحوا من عشرة آلاف ، وقيض الله له واحدا من أتباعه هو يعقوب بن يوسف فتوفر على تعاليمه يكتبها وينشرها ، وكان شمطوب من المعجبين باسحق لوريا (١٥٣٤ — ١٥٧٢)، ولوريا تلقى تعليمه بمصر وكان يعلم بصفد بفلسطين ، ومن الواضح ان لوريا تأثر بالثقافة الاسلامية رغم أنه يقول بوحدة الوجود ، ولكن وحدة الوجود كانت دائما من المفاهيم الاساسية فى الفلسفة اليهودية ، وهى تؤكد باستمرار على وجود الله فى كل شىء فى شكل مذهب حلولى متغلغل الجذور فى اليهودية ، ولذلك فان شمطوب دعا بدعوته فقال ان العالم من فيوض الله ، وهو موجود فى كل مخلوقاته من نبات وحيوان وجماد ، ولم يكن فى القديم الا الله ، لكنه انسحب على نفسه ، بمعنى أنه حجب بعض أنواره ، فترك فراغا حلت فيه مخلوقاته ، ولكن كما لم يكن ثمة وجود مع الله قبل خلق العالم ، فكذلك ليس ثمة وجود مع الله بعد خلق العالم ، فالله فى كل شىء والعالم قد تخلق منه تخلق الصدفة من الحيوان ، ومن ثم فليس ثمة الا الله على الحقيقة ، والعالم بمثابة الثوب له ، والله فى كل شىء ، حتى فيما يصدر عن الانسان من افعال ، وفى الخير والشر ، ومن ثم يصبح من غير المجدى محاولة تغيير الكون أو فهمه ، وانما تصبح الحياة المثالية هى التى تهدف الى معرفة الله بأسمائه وصفاته ، والتواصل به سبحانه بالذكر ، وفيه تذوب ذات المريد فى مشاهدة الحق بتعلق القلب به واستيلائه عليه ، وعندئذ لا يكون ثمة موجب للحزن أو الاسى ، لان من يرى الله فى الاشياء والمصائر والاقدار ويتحد به سبحانه لن يعمر قلبه الا نور الله ، والحزن ينقشع بنور الله ، واذا نفذ الحزن الى القلب وتمكن منه فلا مكان للايمان ، لان الحزن يأس ، ولا يأس من رحمة الله ، بل شوق دائم لرحمته ، وحتى الخطاة لا ينبغى لهم أن يحزنوا ، لان الله موجود حتى فى الخطيئة ، فما من سبيل للقضاء على الشهوة الا باستنفادها ، وما من علاج للعطش الا الشرب ، وطريقة شمطوب يلخصها شعاره « الهبوط من أجل الصعود » ، بمعنى ان الشر لا سبيل لمنازلته الا بالمواجهة وفى عقر داره وبأسلحته ، وعلى الحصيدى ان يشتهى كل شىء ، بما فى ذلك المرأة والطعام والشراب ،

لانه من خلال النشوة التى تتحقق بالجسد تتحقق للروح نشوتها الالهية، لان الله موجود فى الطعام والشراب والجسد وفى كل شىء مادى ، والممارسات الجسدية عبادة لله بالجسد تهيىء للمرتبة اللاحقة وهى عبادته بالروح ، ولكن الطريق الروحى يحتاج لمساعدة الولى او الصديق.

والصديقية فلسفة ينقلها الحصيديون عن متصوفة المسلمين ، غير ان الصديق عند المسلمين يأتى فى المرتبة بعد النبى ، ولكنه فى الحصيدية يسبق النبى ، ذلك لان النبى لم تكن له ارادة النبوة ، ولكن الصديق اراد الصديقية وبلغها بلطف من الله ، وواضح ان فلسفة الصديقية تحريف لنفس الفلسفة عند بعض المتصوفة المسلمين ، بل انا نجد هذا البعض قد انحرف بها انحرافا مشابها وقال بأقوال مماثلة ، وتحفل كتب المسلمين بالفرق الاباحية كاباحية الحصيديين ، وقد قيل ان فرويد قد تأثر بهذا الطراز من الحصيدية عندما طرح نظرياته فى الجنس ، غير ان الاهم من كل ذلك فى الحصيدية قولها بالحضرة الالهية ، والصديق او الولى دائما فى الحضرة ، ولكن المؤمنين عليهم ان يعملوا ليكونوا فيها ، وعملهم هو الذكر ، وكان شعب اسرائيل عندما كان فى ارضه فى حضرة دائمة ، لان الله كان فى ارضه ايضا ، فلما نفى الشعب نفى الله كذلك ، واغترب الله والشعب ، وكان على الاسرائيلى لكى يدخل فى الحضرة من جديد ان يعمل لها بالذكر ، ولن تعود الحضرة الى الشعب الا بعودة الشعب الى ارضه ، وعندئذ يعود الله ايضا من منفاه . ومعنى ان الاسرائيلى قد دخل الحضرة ان الله قد حل فيه ، فصار كلامه مقدسا ، والصديق لذلك كلامه كله مقدس ، اى كلامه توراة ، وفى الحصيدية المحدثة عند مارتن بوبر (١٨٧٨ — ١٩٦٥) لا يحل الله فى مخلوقاته ويؤثر فيها فحسب ، ولكن مخلوقاته تؤثر فيه بدورها ، وكل فعل من ثم له دلالة تتجاوز التاريخ الى الكون كله مهما كان هذا الفعل . وواضح ان الحصيدية تساوى بين الحلال والحرام والطاهر والنجس وترفع الفروق بينها طالما انها تضع الله فى كل شىء وفعل دون تمييز ، وقد عاب عليها المعارضون mitnaggedim انها تنقل الديانة من شريعة الى طريقة ، وان الفناء الصوفى الذى يدخل فيه المريد لا بد ان ينتهى باسقاط التكاليف ، وان اسقاط التكاليف يقسم الديانة على نفسها فتصبح ثمة ديانة للعامة واخرى للخاصة ، وان العزلة او الخلوة الصوفية هى ابطال للعمل الاجتماعى وفصم للعرى الاسرية .

ولا شك ان الحصيدية مذهب فى الفلسفة المسيحانية قيل انها تروج

عندما تتأزم أوضاع اليهود فيهربون بها من الواقع التاريخى الى حالة النشوة الصوفية ، وقيل ان معتنقيها زادوا وكانوا دائما فى اطراد حتى طاولت الحصيدية اليهودية نفسها فصارت ديانة داخل الديانة ecclesiola in ecclesia

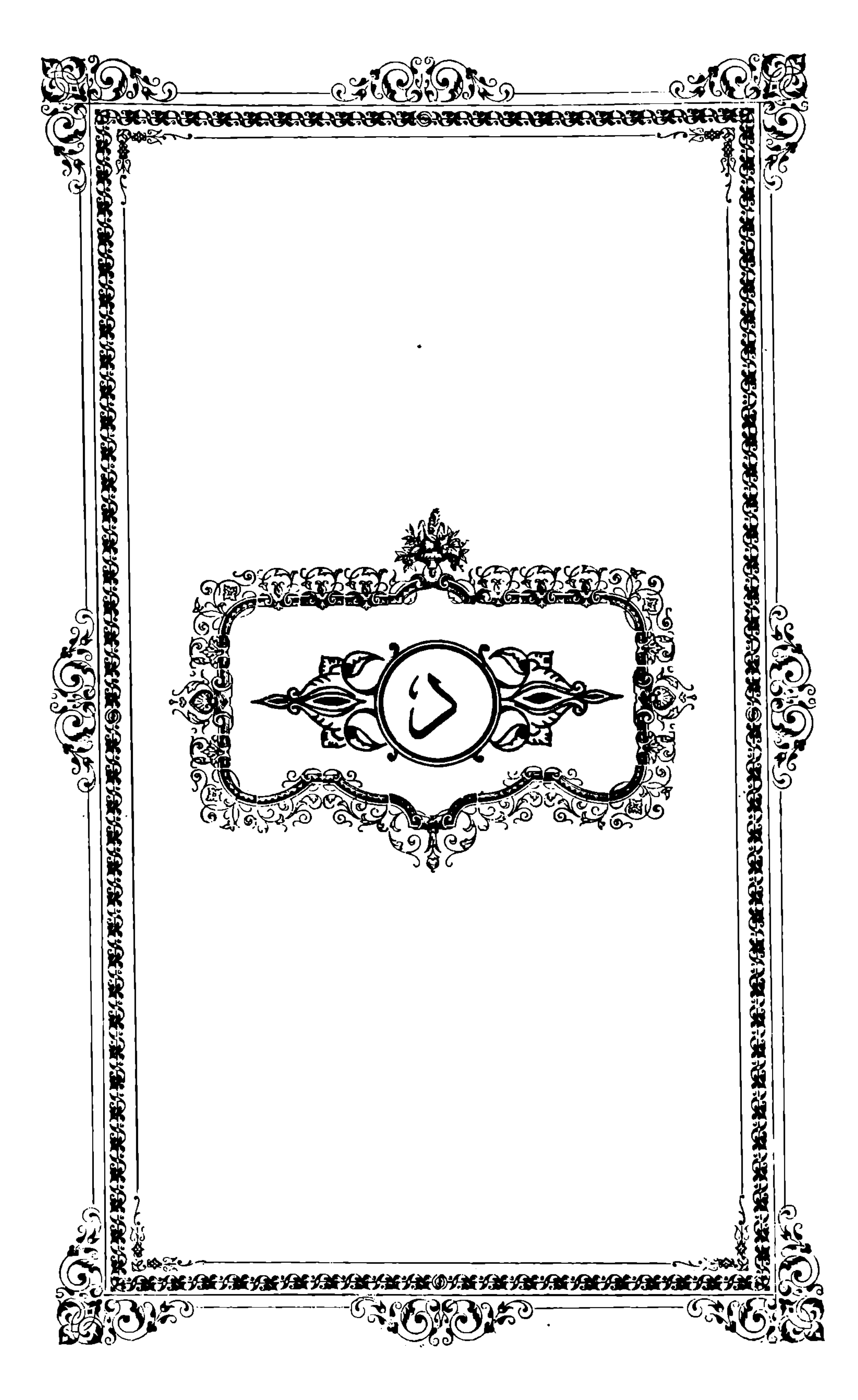


حى Hai

(٩٣٩ – ١٠٣٨ م) عراقى من المتكلمين على مذهب المعتزلة ، كتب بالعربية وكان زعيم المدرسة التلمودية فى بابل ومفتى الجالية اليهودية ، ومن رايه ان علم الله سابق ، فهو لا يعرف مقدما ما سوف يحدث فعلا فحسب ، بل ما كان يمكن ان يحدث اذا اختار الانسان الحر المريد احتمالا آخر غير ذلك الذى عرض لاختياره ، وفى عبارة خاصة به ان علم الله يتناول احتمالات المستقبل .

* * *





دوران Duran

(المتوفى نحو ١٤١٤) اســـحق بن موسى ، المعـــروف بالافودى Efodi ، او باسمه المسيحى دوران بروفيات Profiat ، وكان قـــد اجبر فى بلده اسبانيا على اعتناق المسيحية مدة اثنتى عشرةسنة،وحرضه قريشقش على كتابة رسالتين ضد المســـيحية واغلاطها ، وكتب شرحا لدلالة الحائرين للميمونى يعيب عليه محاولة التوفيق بين الفلســـــفة والدين ، والفلسفة التى يقصدها هى الارسطية ، والفلسفة الحقة فى نظره هى التى تستقى من التوراة ، وهو الاصل عنده لكل تعليم ونظر ، والفلسفة بهذا المعنى خاصة شعب اسرائيل وحده .

* * *

الدونمـــه Doenmeh

فرقة مسيحانية حلولية اباحية من المعطلة ، ومعنى اسمهم بالتركية المرتدون ، لانهم شايعوا داعيتهم المدعو شبتاى تسفى على الاسلام الذى اعتنقه ظاهريا او كما نقول تقاة ، فلما تأكد للسلطات التركية نفـــاقهم لقبوهم بالمرتدين ، اما مرتدون عن اليهودية الى الاسلام ، واما مرتدون عن الاسلام الى اليهودية .

والدونمه حلولية يقولون ان الله قد حل فى داعيتهم ، او انه ابنه ، وانه المهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلص ، وبمجيئه تنتفى الخطيئة ولا يصبح ثمة داع للشريعة ويتوقف الشر ويبطل الفساد والفناء والموت ، ويعم السلام والعدل والرخاء الارض ، لان المسيح يعيد الشعب الى ارضه فيعود الله الى سكنى داره ، فيغتبط وتفرح الارض وتدر العسل واللبن ، ولذلك فان التوراة المعروفة بتوراة موسى لا تصلح فى العصر المسيحانى ، لان الاحداث تتجاوزها ، فهذه توراة تقوم على تخـــويف الكفار بالعقاب ، واساسها القول بخطيئة آدم ، وجلهـــا اوامر ونواه وزواجر ، واما التوراة الجديدة او التوراة الفيوضية التى يفيض بهـــا حديث شبتاى فأساسها ان العصر الجديد هو عصر حاجات روحيـــة وليست جسدية ، ومن ثم يسمى شبتاى التوراة القديمة توراة الجسد او التوراة المـــادية ، بينما توراته هو او كلامه فان الخطاب فيها للارواح والقـــلوب .

ومن الدونمه فريق رفض اعتناق الاسلام تقية وظلوا على طهارتهم اليهودية وهؤلاء هم طائفة المؤمنين Ma'aminim يقولون بثلاثة آلهة فى اله واحد ويسمون بالمثلثين أو القائلين بالتثليث ، فهناك العلة الاولى أو الاله الاول ، والعلة الثانية رب اسرائيل الخالق البديع المصور البارىء الحافظ له الاسماء الحسنى ، والشخيناه أو العنصر الالهى الانثوى وهى الحضور الالهى فى الشعب او هى الشعب .

ومن سكن من المؤمنين فى ازمير لقبـــوا بالازميرلية Izmirim أو Izmirlis ، وهم الحرس القديم او المؤمنون السابقون او السباقون Cavalleros أو قبانجيلار Kapanjilar .

ولمــا مات شبتاى خلفه على الجماعة صهره المسمى يعقـــوب فيلسوف ، وادعت أرملة شبتاى أن روح الداعى قد حلت فيه ، ومنذهب منهم مذهبها وآمن بما تقول قيل عنهم اليعقوبية Ya'akoviyyim ، واما يعقوب فاتخذ لنفســـه اسم يعقوب القوريدو Querido او يعقـــوب المحبوب لان الداعى قد اختصه بحبه وسره وحل فيه ، ثم غلا فى التظاهر بالاسلام فقام والمؤمنون به بأداء الحج جماعة .

والدونمه الغالية هم شيعة روسو المبارك Baruchiah Russo الملقب ببابا عثمان ، واسمهم فى لغتهم كونيوسوس Konyosos ، وبالتركية قاراقشلار Karakashlar .

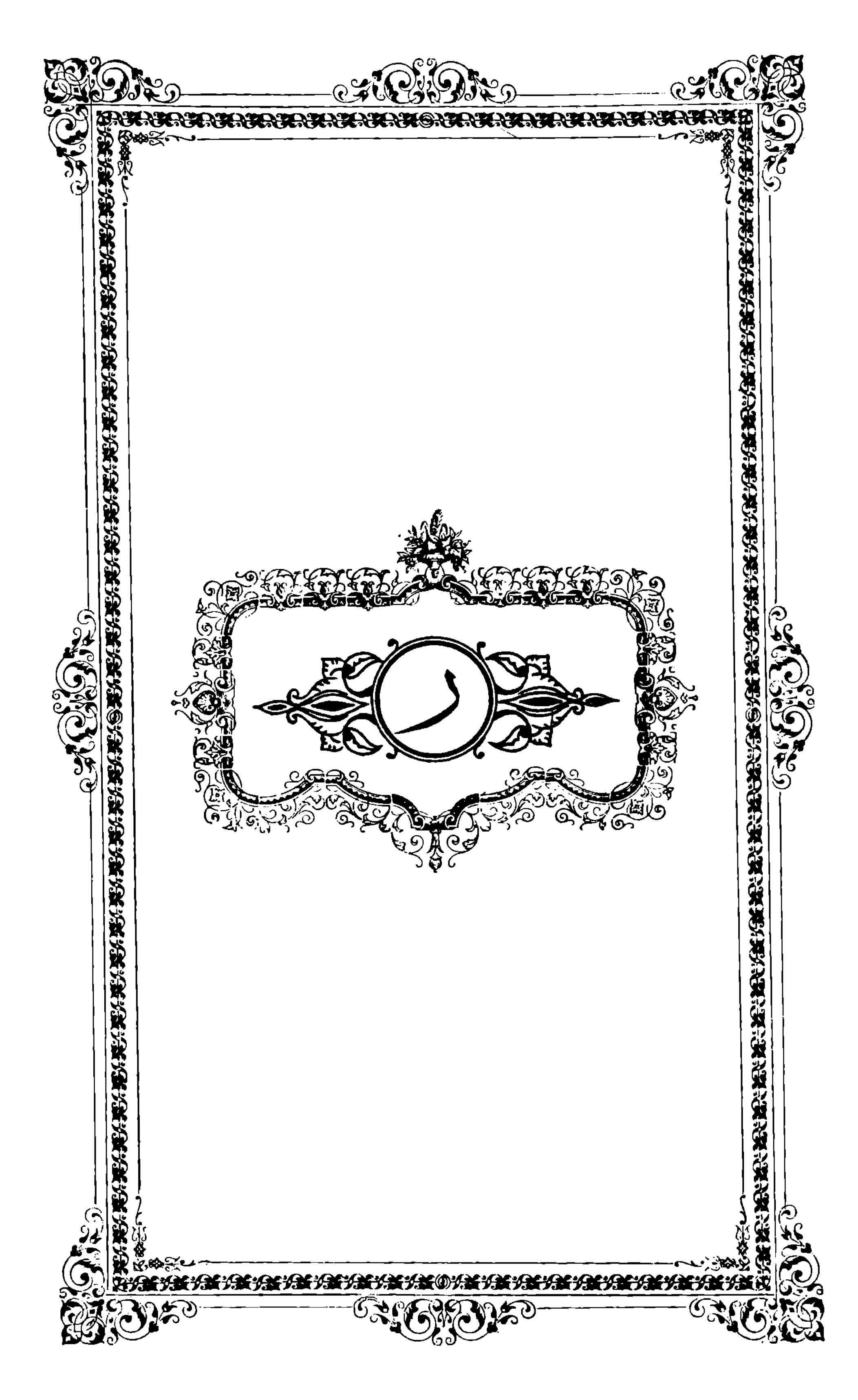
وكل الدونمه لهم اسمان عبرى ومسلم ، أو اسم الظاهـــر واسم الباطن ، وهم عدمية ينكرون البعث والحساب ، واباحية ، نساؤهم على المشاع ، ولهم احتفالات جنسية جماعية ، وكان داعيتهم الاكبر يعتبـــر الاسلام اكبر أعدائه ، ويقول انه اعتنق الاسلام لتستخفى حقيقتـــه على المسلمين فينفذ الى معسكرهم ويقوض الاسلام من الداخل ، وكان يقول انه كلما غلا فى اظهار الاسلام كلما كان مطاع الكلمة بين المسلمين ، وقد افلح اتباعه فى التسلل الى حزب تركيا الفتاة بأفكارهم ، ومكنوا له حتى خلص له الحكم ، ففصلوا الدين عن الدولة وأنهوا الخلافة العثمانية ، يحسبون انهم بذلك قد قضوا على الاسلام بالكلية فى كل الديار الاسلامية طالمـــا قضوا عليه فى تركيا ، وقيل ان مصطفى كمال اتاتورك نفسه من الدونمه ، وكان فى حياته التجسيد الحى لسلوك الشباتى .

وتغلغل الدونمة فى الحياة الثقافية التركية ، واتصلوا بالصوفية والدراويش ، وعن طريقهم انتقل التأثير الصوفى الاسلامى الى الحصيديين فى أوربا الشرقية ، وهى اكبر الفرق اليهودية بعد التالموديين ، وطريقة الحصيديين ومصطلحاتهم تستمد من طريقة الدراويش فى الذكر الذى يصحبه الانشاد والرقص والموسيقى ، والحضرة عند الدراويش تشبه الحضرة الحصيدية .








ر



الربانية Rabbinites

اكبر فرق اليهود ، يقولون بأقوال الربانيين ومذاهبهم ، والربان هو الحبر ، وهو أيضا الحاخام ، وكتاب الربانية التلمود ، يقولون انه الشريعة غير المنزلة المكملة لشريعة موسى المحفوظة فى التوراة ، وهو عبارة عن التفاسير والتعاليم والفتاوى والقصص التى تناقلها الربانيون عن السلف ولم تزل تنمو مع الايام .

وقالت غالية الربانية ان التلمود أعلى منزلة من التوراة ، وأن الله نفسه يستشير الربانيين اذا حزبه أمر ، وأنه فى احدى المرات قد اشتد الخلاف بينه وبينهم ، وارتضى الله حكم أحدهم ، فقضى بتخطئة الله عز وجل الذى لم يسعه الا الاقرار بصواب الربانيين .

والقراءون فرقة تناقض الربانيين ، وتهاجم التلمود وتهدمه ، وتفند تقاليده ، وتكفر الآخذين به ، ولا تقر الا بالتوراة مرجعا وحيدا للعقيدة والقانون .

ويرد الفلاسفة المسيحيون تعصب الربانيين الى الروح التى تسود التوراة ، فالتوراة ما كان من الممكن الا أن تنتج الربانية ، والربانيون بالهام التوراة كتبوا التلمود ، والتلمود هو الذى افرخ كتاب الزهار وفلسفات القباليين والحصيديين وانتهى بالصهيونية ، والفكر الصهيونى فكر ربانى الاصل ، وقد جاء فى التلمود أن من لا يهاجر الى أرض الميعاد كمن لا اله له ، وهو اصل المغايرة التى جعلت اليهودى يزن بمعيارين بالنسبة لليهودى وغير اليهودى ، وتسوده المعايير الاخلاقية المزدوجة ، وبسبب هذه المغايرة اعتزل الناس وسكن الجيتو ، ونبذته المجتمعات التى تواجد فيها ، وقيل فى الاخلاق اليهودية أنها اخلاق عبيد ، فيها الحقد المكبوت ، وتحين لحظة الانتقام ، والمسايرة لحد التظاهر باعتناق اديان الامم .

* * *

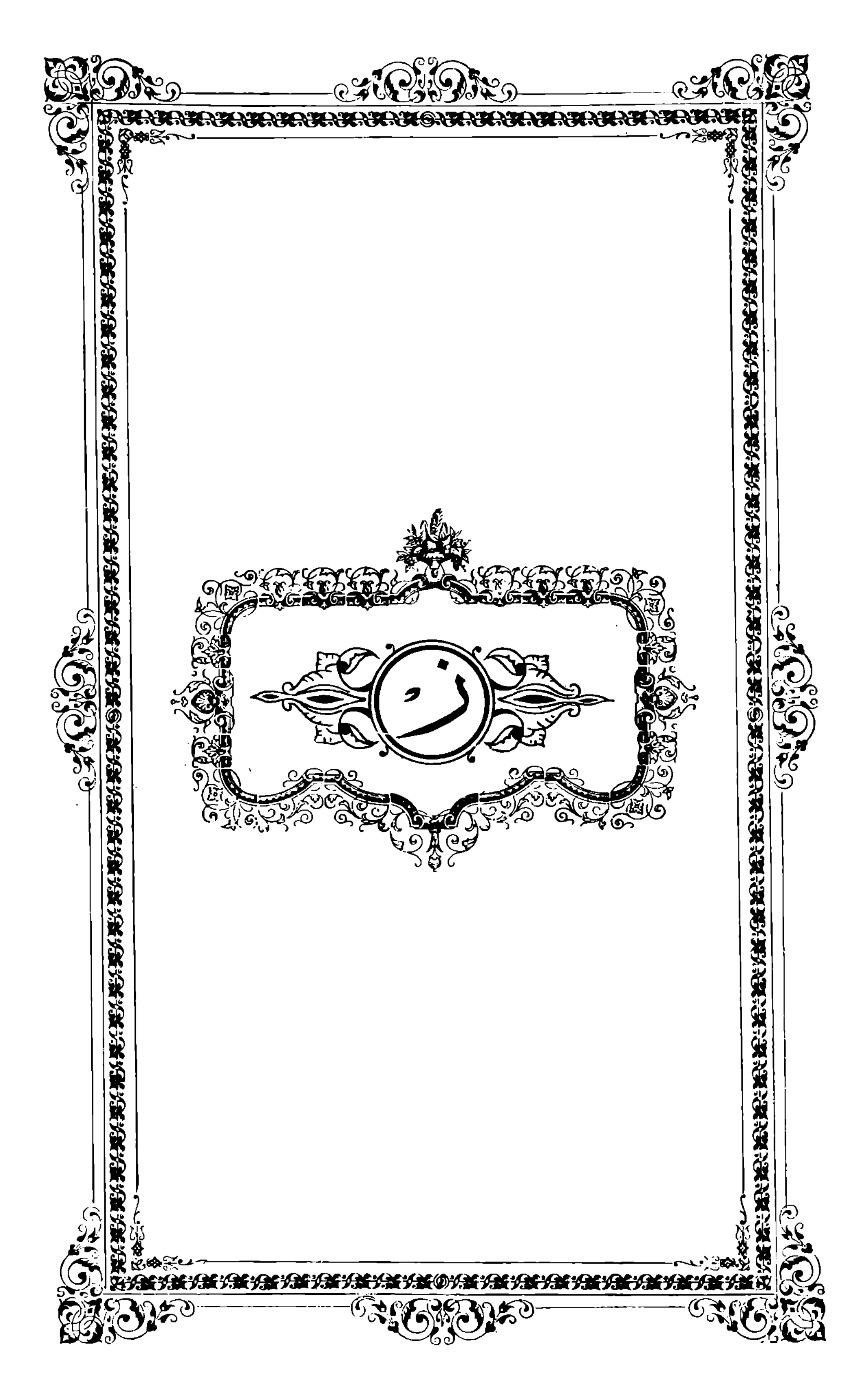
روزنزفايج Rosenzweig

(١٨٨٦ — ١٩٢٩) فرانز روزنزفايج ، صاحب كتاب « نجمة الانعتاق » (١٩١٩) ، يعدونه من المصنفات الكبرى فى الدعوة اليهودية، يقول ان الحقيقة متعددة الاوجه ، وان الفلسفة تخطىء اذ تجعلها ذات وجه واحد ، وكانت الديانات قبل اليهودية تردها الى اصول ثلاثة

متباعدة هى الله والعالم والانسان ، تقاربت واتصلت فى اليهودية لاول مرة من خلال الوحى ، فصنعت مثلثا كالنجمة ، وباتصالها يتحقق الانعتاق ، والانعتاق ليس هو الخلاص المسيحى ، لان الخلاص المسيحى خلاص من الخطيئة ، ولكن الانعتاق ابعد من ذلك ، فهو العودة الى الله والاتحاد به ، والوحى هو الصلة التى ربطت بين الله وكل من العالم والانسان ، وهو من حيث العالم يعنى الخلق والتجدد والاستمرار ، ومن حيث الانسان هو التنزيل ، ولما وعى الانسان مضمون الوحى وهو الوصايا ، وعرف اساسها وهو محبة الله للانسان ، بادل الله المحبة ، وعمل بالوصايا ، والوصايا ليست قوانين لان القوانين اساسها القسر ، وليست مجرد مبادىء فلسفية لان الوصايا عاشت فى ضمير الانسان كخبرة شخصية ، من خلالها تواصل مع الله ، وبها استطاع تغيير نفسه والمجتمع والطبيعة من حوله ، وكان هدفه فى كل أفعاله التى تحققت او امل ان تتحقق ، ان يبلغ مملكة الله ، وشعب اسرائيل هو شعب الله ، لانه منذ اللحظة الاولى التى خاطبه الله فيها وتجلى له قد دخل مملكة الله ، وهو شعب مقدس يعيش الابدية بتقويمه الخاص ، بينما الامم تعيش فى التاريخ نحو الغاية نفسها حيث يصب الكل فى الله ، وحيث يتجلى الله بوصفه الكل فى الكل ، والاسرائيليون سبقوا العالم اليها ، وعرفوا الله قبل المسيحيين ، وكلاهما يقول بميثاق مع الله ، وكلاهما صادق من منظوره ، ولا يمكن ان يتحول اليهودى الى مسيحى ، ولا المسيحى الى يهودى ، لان اليهودية سمة بيولوجية يولد بها اليهودى وتظل معه ، والمشكلة ان بعض المسيحيين قد عمى عن هذه الحقيقة فظن انه بالاستطاعة تبشير اليهودى بالمسيحية ، وبعض اليهود قد استغرقتهم الحضارة الاوروبية ، فتحولوا عن اليهودية الى ثقافات الامم التى يعيشون بينها ، ووافق روزنزفايج الصهيونية الثقافية على ضرورة العمل على تخليص اليهود من آثار هذه الثقافات واعادة تربيتهم على التعاليم اليهودية ، وانشأ لذلك بمساعدة مارتن بوبر وادوارد شتراوس واريك فروم وآخرين معهدا حرا بفرانكفورت لتدريس هذه التعاليم ، ولكنه لم يتفق مع الصهيونية السياسية على أن تحقيق الخلاص النهائى لا يكون الا بانهاء الاغتراب والعودة الى فلسطين .

* * *




ز

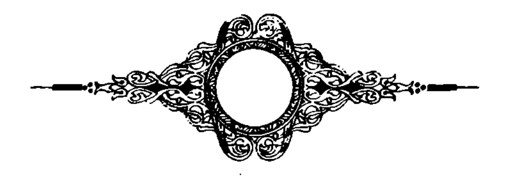


الـــزابى Aldabi

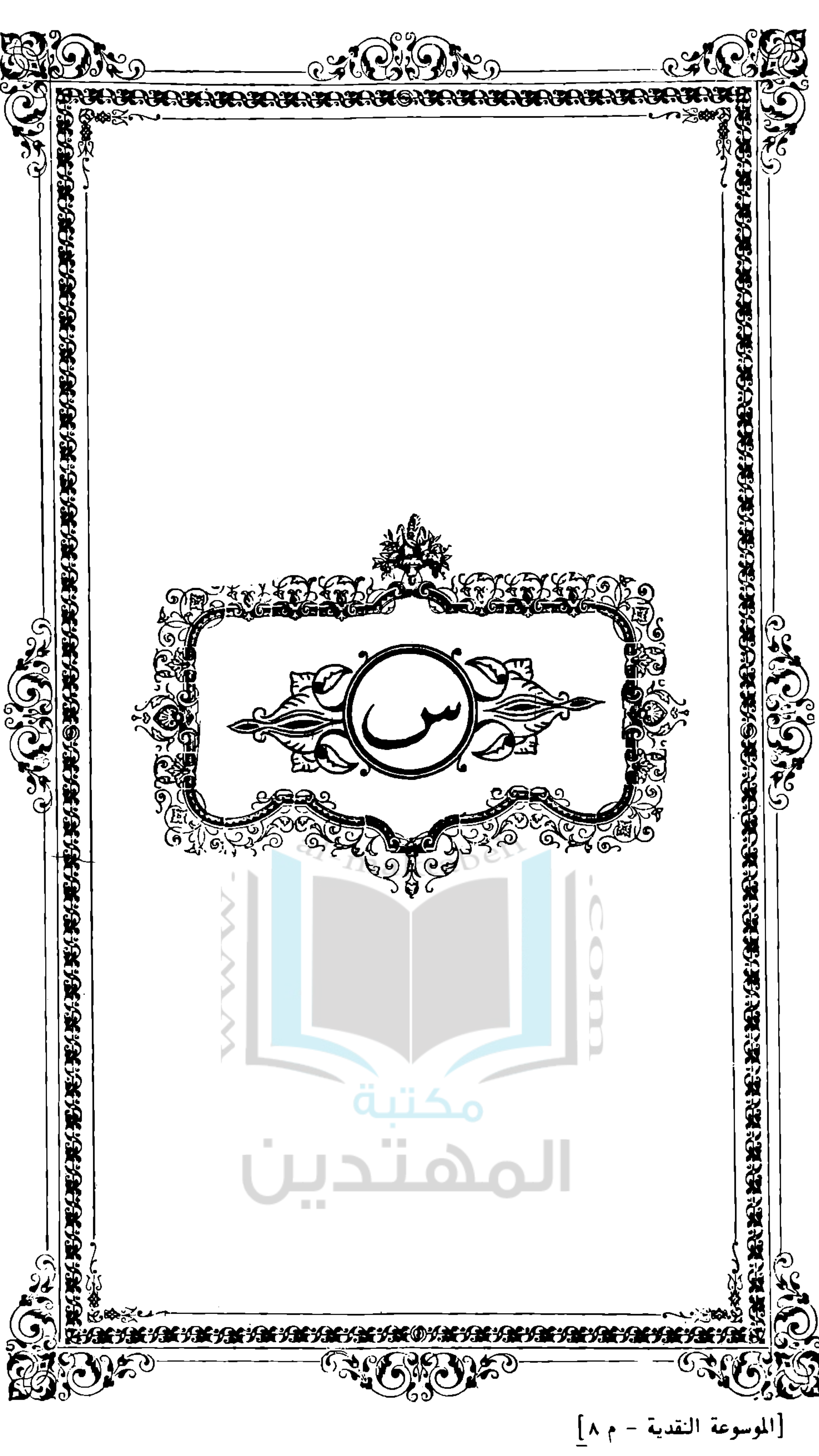
(نحو ١٣١٠ — ١٣٦٠) مائير بن اسحق الزابى أو الذئب ،صاحب كتاب « سبل الايمان » ، صنفه على طريقة المســـلمين ، ويقتبس منهم كثيرا ولو أنه لا يذكر ذلك ، ويذكر أنه يهدف الى اثبات أن الفلســـــفة الاغريقية ، وخاصة عند أفلاطون وارسطو ، فى حقيقتها يهودية ، ولذلك يضمن كتابه شذرات من هنا وهناك بلا رابط ، يحاول أن يقارن بين أقوال اليونانيين كما هى واردة عن ابن ميمون وابن جرشون وابن باقودا وابن صديق وهليل بن شموئيل ، والاقوال التى يظن أنها مقاربة لها فى التوراة والتلمود وعند الاحبار .

وينقسم كتابه الى عشرة فصول او سبل ، يعالج فيها النـــواحى التى يظن ان بامكانه اثبات سبق اليهود الامم الى دراستها والتنظير لها.








س



السامرية Samaritans

فرقة يتقشفون فى الطهارة أكثر من تقشف سائر اليهود ، اثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون ، وانكروا نبوة من بعدهم ، شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وعاموص وحبقوق وزكريا وارميا وغيرهم ، الا نبيا واحدا ، وقالوا التوراة ما بشرت الا بنبى واحد يأتى من بعد موسى ، يصدق ما بين يديه من التوراة ، ويحكم بحكمها ، ولا يخالفها البتة . والمرة الوحيدة التى وردت فيها كلمة السامرية فى العهد القديم فى سفر الملوك الثانى ، الفصل السابع عشر ، الآية ٢٩ ، وتعنى السكان المتصلين بالملكة الشمالية ، وفى كتابات العبرانيين المتأخرة بعد السبى ومعناها سكان اقليم السامرة وسط فلسطين .

وللسامرية توراة غير التوراة التى بأيدى سائر اليهود ، ويزعمون ان نسختها ترجع الى عام ٦٥٦ م ، ولدى بعضهم نسخة يقولون انها ترجع الى عام ١٣ بعد فتح كنعان ، واختلاف نسختهم عن النسخة العبرانية فيما يقرب من ستة آلاف موضع كما يقول علماء اليهودية ، فمثلا تقول توراتهم ان جبل الرب هو جبل جرزيم بدلا من جبل عيبال ، ولذلك اعتبروا قبلتهم جبل جرزيم ، وقالوا انه الطور الذى كلم الله موسى عليه، فتحول داود الى عيبال وبنى البيت ثمة ، فخالف الامر وظلم ، والسامرة توجهوا الى تلك القبلة دون سائر اليهود . ويتهم الطرفان الآخر بسوء النقل وتعمد التحريف ، ولكن نص التوراة السامرية تتفق مع الترجمة السبعينية فى الف وتسعمائة موضع .

وافترقت السامرة ، كما جاء عند الشهرستانى ، الى دوستانية وهم الالفانية ، والى كوستانية . والدوستانية معناها الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوستانية معناها الجماعة الصادقة ، وهم يقرون بالآخرة ، والثواب والعقاب فيها ، بينما تزعم الدوستانية أن الثواب والعقاب فى الدنيا ، وبين الفريقين اختلاف فى الاحكام .

* * *

السانسيمونية Saint - Simonism

فلسفة مسيحانية امية كالماسونية صاحبها الامى كلود هنرى سان سيمون (١٧٦٠ — ١٨٢٥) ، الا ان وصية أوليند رودريجز (١٧٩٥ — ١٨٥١) كان يهوديا ، وكذلك كان اماما المحفل السانسيمونى بازار (١٧٩١ — ١٨٣٢) وايريفانتين (١٧٩٦ — ١٨٦٤) .

وكان للدعوة مجلس من اثنى عشر سبطا كلهم من اليهود ابرزهم بخلاف من ذكرنا يوجين رودريجز واميل واســحق بيرير وليون اللاوى وجوستاف ايختال وجول كارفالو ، وانضم لهم من اليهود ادوارد جانز وهاينه وفارنهاجن وموريتز فايت ، ومن الاميين كارلايل وميشليه وكونت وبيرليـوز وفرانز ليست وجورج صاند ، وكلهم من كبـار المفـكرين والفلاسفة والشعراء والمؤرخين والموسيقيين .

ولا تقوم الدعوة على الاعتقاد بمسيح بقدر ما تقول بعصر مسيحانى يجد فيه كل فرد فرصة العمل المناسب الميسر له ، ويلغى الميراث ، وتزول الفوارق الطبقية ، وتتساوى النساء بالرجال ، وتوزع الاجور حسب العمل والكفاءة ، وتنهض بأعباء الحكم مجموعة رجال المال والصيارفة ورجال الصناعة والعلماء ، وهم النخبة أو الصفوة فى كل المجتمعات ، وعددهم ٧٢ كحكومة النبى داود .

وقد قيل ان الدعوة قصد بها ان تكون ديانة علمانية تحل محـل المسيحية ، ومن ثم اطلق عليها اصحابها اسم « المسيحية الجديدة » ،

وقيل انها مؤامرة يهودية قصد بها تفويض الكنيسة من داخل المجتمعات المسيحية بصرف الناس عنها الى ديانة اخرى عصرية ، وان غايتها لذلك لا تختلف عن الدعوات اليهودية السابقة عليها كالشابانية والفرنكيةحيث هدفت الاولى الى تقويض الاسلام وقصدت الثانية الى تقويض المسيحية.

***

السـبئية Sabaism

هم اتباع عبد الله بن سبأ ، يمنى ادعى الاسلام فى السنة السابعة من خلافة عثمان ، ليفتن المسلمين ، وقال لعلى بن ابى طالب : « انت اله حقا » . ونفاه على الى المدائن . وقال ابن سينا : لم يمت على ، ولميقتل ابن ملجم الا شيطانا تصور فى صورة على ، وعلى فى السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ، وانه ينزل بعد هذا الىالارض ، ويملؤها عدلا. وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى ، كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل على ، وانما رات اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل على ، راوا قتيلا يشبه عليا ، فظنوا انه على ، وعلى قد صعد الى السماء ، وانه سينزل الى الدنيا وينتقم من اعدائه .

ويقول الطبرى كان عبد الله بن سبأ يهوديا من اهل صنعاء ، امه سوداء ، فأسلم زمان عثمان ، ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من اهل الشام ، فأخرجوه حتى اتى مصر فاعتمر فيهم ، فقال لهم فيما يقول : لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ! وقد قال الله عز وجل : « ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد »، ومحمد احق بالرجوع من عيسى ، فقبلوا ذلك عنه ، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها ، ثم قال لهم بعد ذلك انه كان الف نبى ، ولكل نبى وصى ، وكان على وصى محمد . ثم قال محمد خاتم الانبياء ، وعلى خاتم الاوصياء. ثم قال بعد ذلك : من اظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ووثب على وصى رسول الله وتناول امر الامة . ثم قال لهم بعد ذلك ان عثمان اخذها بغير حق ، وهذا وصى رسول الله ، فانهضوا فى هذا الامر فحركوه ، وابداوا بالطعن على أمرائكم ، واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس ، وادعوهم الى هذا الامر .

وقيل ان ابن سبأ او ابن السوداء كان فى الاصل يهوديا من اهل الحيرة فأظهر الاسلام ، واراد أن يكون له عند اهل الكوفة سوق ورياسة، فذكر لهم انه وجد فى التوراة ان لكل نبى وصيا ، وان عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه خير الاوصياء ، كما ان محمدا خير الانبياء ، فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا له : انه من محبيك ، فرفع على قدره ، واجلسه تحت درجة منبره ، ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله ، فنهاه ابن عباس عن ذلك وقال له : ان قتلته اختلف عليك اصحابك ، وانت عازم على العود الى قتال اهل الشام ، وتحتاج الى مداراة اصحابك ، فلما خشى من قتله نفاه الى المدائن ، فافتتن به الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه ، وقال لهم ابن السوداء : والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والاخرى سمنا ، ويغترف منهما شيعته .

ويقال لابن السوداء ليس على عندك وعند الذين تميل اليهم من اليهود اعظم رتبة من موسى وهارون ويوشع بن نون ، وقد صح موت هؤلاء الثلاثة ولم ينبع لهم فى الارض عسل ولا سمن ، سوى ينبوع الماء العذب من الحجر الصلد لموسى وقومه فى التيه ، فما الذى عصم عليا من الموت وقد مات ابنه الحسين واصحابه ، بلاء عطشا ، ولم ينبع لهم ماء فضلا عن عسل وسمن ؟

وقال المحققون ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود ، واراد

ان يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على واولاده ، لكى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام ، فانتسب الى الرافضة السبئية حين وجدهم أعرق أهل الاهواء فى الكفر ، ودلس ضلالته فى تأويلاته .

وذكر المقريزى فى الخطط أن ابن السوداء ، وابن سبأ شخص واحد ، والاوصاف التى ينعت بها كل علم من هذين هى الاوصاف التى ينعت بها الآخر (٥)

وذكر الطبرى ان ابن سبأ قد بث دعاته وكاتب من كان قد استفسد من الامصار وكاتبوه ، ودعوا فى السر الى ما عليه رايهم ، واظهروا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وجعلوا يكتبون الى الامصار بكتب يضعونها فى عيوب ولاتهم ، ويكاتبهم اخوانهم بمثل ذلك ، ويكتب كل اهل مصر منهم الى مصر آخر بما يصنعون ، فيقرا اولئك فى امصارهم ، وهؤلاء فى امصارهم ، حتى تناولوا بذلك المدينة ، واوسعوا الارض اذاعة ، وهم يريدون غير ما يظهرون ، ويسرون غير ما يبدون ، فيقول اهل كل مصر انا لفى عافية مما ابتلى به هؤلاء ، الا اهل المدينة فانهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار ، فقالوا انا لفى عافية مما فيه الناس . وجاء معه محمد وطلحة من هذا المكان ، فأتوا عثمان فقالوا يا امير المؤمنين ، أيأتيك عن الناس الذى يأتينا ؟ قال لا والله ، ما جاءنى الا السلامة . قالوا فانا قد اتانا — واخبروه بالذى اسقطوا اليهم . قال فأنتم شركائى وشهود المؤمنين ، فأشيروا على . قالوا نشير عليك أن تبعث رجالا ممن تثق بهم الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله الى الكوفة ، وارسل اسامة بن زيد الى البصرة ، وارسل عمار ابن ياسر الى مصر ، وارسل عبد الله بن عمر الى الشام ، وفرق رجالا سواهم ، فرجعوا جميعا قبل عمار ، فقالوا أيها الناس ما انكرنا شيئا ولا انكره اعلام المسلمين ، ولا عوامهم .وقالوا جميعا الامر امر المسلمين، الا ان امراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم ، واستبطأ الناس عمارا حتى ظنوا انه اغتيل ، فلم يفجأهم الا كتاب من عبد الله بن سعد بن ابى سرح يخبرهم ان عمارا قد استماله قوم بمصر ، وقد انقطعوا اليه ، منهم عبد الله بن السوداء وخالد بن ملجم وسودان بن خمران وكنانة بن بشر.
وفى اخبار سنة ٣٠ يذكر الطبرى ان ابن السوداء ورد الشام ولقىابا ذر، وانه هو الذى بث فى نفسه فكرة أن المال مال المسلمين ، وحركه الى الدعوة الى اشراك الفقراء فى اموال الاغنياء . وفى هذا الموضع ايضا ورد ان ابا الدرداء حين جاءه ابن السوداء قال له من انت ؟ اظنك والله يهوديا.

وفى اخبار سنة ٣٣ أن ابن السوداء ذهب الى البصرة واجتمع بواليها عبد الله بن عامر الذى سأله من انت ؟ فأخبره انه رجل من اهل الكتاب رغب فى الاسلام ورغب فى جوارك ، فقال ما يبلغن ذلك . اخرج عنى ! فخرج حتى اتى الكوفة فأخرج منها ، فاستقر بمصر . وفى اخبار سنة ٣٦ يخرج عبد الله بن السوداء مع على بن ابى طالب على راس الجمهور .

وقرن فلهوزن بين السبئية والرافضة باعتبار السبئية الاسم الاقدم للرافضة ، وقال ان السبئية تستمد فكرتها من اليهودية ، لان الاخيرة هى التى تقول بأن لموسى خليفة هو يوشع ، وان لكل نبى خليفة يعيش الى جانبه اثناء حياته ويخلفه بعد مماته ، وقد قال السبئية بأن عليا هو خليفة محمد ،غير ان اليهود يطلقون اسم النبى ايضا على الخليفة ، بينما يطلق عليه السبئية اسم الوصى او المهدى او الامام .

وقال جولدتسيهر ان فكرة الرجعة التى روج لها ابن سبأ يهودية مسيحية ، فعند اليهود والنصارى أن النبى ايليا قد رفع الى السماء ، وانه لا بد ان يعود الى الارض فى آخر الزمان لاقامة دعائم الحق والعدل، ومن ثم كان ايليا هو النموذج الاول للامام على المختفى الذى قال به ابن سبأ ، والذى سيعود يوما ليهدى الناس وينقذ العالم .

ومن راى فريد لاندر ان فكرة المهدية يهودية الاصل مافى ذلك شك ، ولكن فكرة الموت الظاهرى للامام ورجعته فى آخر الزمان قول تدعيه المانوية وليس اليهودية .

***

سبينوزا Spinoza

(١٦٣٢ — ١٦٧٧ م) اعظم من تصدى لقومه بالنقد فى اشهر كتبه « البحث اللاهوتى السياسى » (سنة ١٦٧٠) مبينا تهافت اسطورة الشعب المختار ، فليس معنى أن الله قد فضل العبرانيين فأعطاهم الشريعة وخاطبهم وكشف لهم عن نفسه كما لم يحدث لامة اخرى ، انه استبعد الامم الاخرى من علمه ورحمته ، بل ان العبرانيين بالرغم مما اعطاهم الله لم يكونوا اصفياءه فيما يتعلق بالحياة الحقة ، ولذلك لم يقصر النبوة عليهم كما يزعمون ، بل جعلها فى كافة الامم ، وهو ما يشهد به كتابهم نفسه ، فكانت لكل الشعوب انبياؤهم ، ولم يعتن العبرانيون بتسجيلهم وتدوين قصصهم لانهم لم يسجلوا فى كتبهم الا شئونهم الخاصة

حتى جعلوها كتبا فى تاريخهم الوطنى . وليس معنى اختيار الله لشعب اسرائيل الا لظروف تاريخية ، اى انها ظروف طارئة ، فالتشريع يعنى نظاما اجتماعيا ودولة ، ولم يخضع اليهود للتشريع الا أثناء قيام دولتهم ، ولهذا السبب اختارهم الله كما اختار الكنعانيين من قبلهم ، فلما سعى الكنعانيون وراء الشهوات ولم يطبقوا الشريعة تحول الله عنهم الى من يطبقها ، ولقد حذر موسى العبرانيين من أن يرتكبوا المحرمات كما فعل الكنعانيون والا قضوا على دولتهم ، فلما تنكروا للشريعة ، وهى ميثاق الله الابدى ، انهارت دولتهم ولم يعد لهم الحق بأن يتيهوا بأنهم شعب الله المختار .

وحمل سبينوزا على التوراة ، محللا اسفارها ، ومبينا نصيب كل منها من الصحة التاريخية ، ومؤكدا أن الذى كتبها انسان آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة ، فلو كان موسى الذى كتبها لما تحدث عن نفسه بضمير الغائب ، وموسى لم يكتب سفر التثنية لانه لم يعبر نهر الاردن ، وبعض الاماكن سميت بأسماء مختلفة عما كانت عليه فى عصر موسى ، والرواية مستمرة فى الزمان حتى بعد موت موسى ، وكان سفر موسى مكتوبا على حائط المعبد الذى لم يتجاوز اثنى عشر حجرا ، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن ، وكان موسى يقرأ سفر العهد على الشعب ، وهو السفر الذى املاه الله عليه فى جلسة قصيرة ، مما يدل على أن ما كتبه موسى أقل بكثير مما لدينا الآن . ثم شرح هذا السفر الاول ، ودون شرحه فى سفر شريعة الله ، ثم أضاف عليه يشوع شرحا آخر ، وقد ضاع هذا السفر الذى يجمع بين سفر موسى وسفر يشوع . أما السفر الاصلى فقد أدخل فى الاسفار الخمسة التى لدينا الآن ، ولايمكن التمييز بينهما .

ولم يكتب يشوع السفر المسمى باسمه ، بل كتبه انسان آخر أراد كتابة سيرته واثبات فضله وشهرته ، وتمت الرواية الى ما بعد موته بقرون عدة ، ويوجد جزء من هذه الرواية فى سفر القضاة ، مما يدل على انه كانت هناك روايات من قبل ضمت الى العهد القديم باعتباره تاريخا وطنيا لبنى اسرائيل او سجلا قوميا لهم .

ولا يظن احد ان القضاة انفسهم هم الذين كتبوا سفرهم ، لان مقدمة الاصحاح الحادى والعشرين تدل على أن كاتبا واحدا قد كتبه .

ولم يكتب صموئيل سفره لان الرواية تمتد الى ما بعد موته بقرون عديدة ، ولم يكتب الملوك سفرهم ، بل أخذ السفر من كتب حكم سليمان

واخبار ملوك يهودا واخبار ملوك اسرائيل ، وهى تروى قصصا قديمة سابقة على عصر كاتب السفر ، وقد كتب هذه الاسفار كلها مؤلف واحد اراد ان يقص تاريخ العبرانيين عند نشأتهم حتى تخريب المدينة الاول ، ويتضح هذا من تتابع الروايات والربط بينها ، ويظن سبينوزا انه عزرا لان الروايات كلها تنتهى قبله ، ويذكر عزرا فى السفر الذى يحمل اسمه انه قد وهب حياته لتنقية الشريعة ، وهذا ما يفسر لنا سر الاضافات على سفر التثنية كما لاحظ ابن عزرا ، واختلاف صيغة الوصايا العشر فى التثنية عنها فى الخروج ، وكذلك التغيرات التى طرات على النص الاصلى .

وقد سميت الاسفار بأسماء الانبياء لا لانهم كتبوها ، بل لانها تدور حولهم ، فالاسفار الخمسة تدور حول موسى ثم نسبت اليه ، والسفر السادس يدور حول يشوع فنسب الى يشوع ، ولم يكن عزرا هو من اعطى هذه الاسفار صيغتها النهائية بل اقتصر عمله على جمع الروايات من كتب اخرى ، ونسخها ونقلها دون ترتيب او تحقيق ، مما يفسر وجود نفس الروايات بألفاظ مختلفة فى عدد من الاسفار ، كما تثبت الفاظالرواية انها كانت مكتوبة بعد ان حدثت الوقائع بزمن طويل ، وان العبرانيين الاوائل كانوا يجهلون لغتهم ، وكان كل راو او مفسر يفسر حسب هواه، وهناك اخطاء كثيرة يدعى المفسرون المتحذلقون انها اسرار الهية ، فيؤولون النقاط والحروف والعلامات ، حتى المسافات البيضاء التى يتركها النساخ ، وهذا كله ادعاء كاذب يناقض العقل فلا توجد أسرار كما تدعى القبالة ، اما التعليقات الهامشية فهى صيغ مشكوك فيها اراد الناسخ وضعها فى الهوامش لقراءات محتملة اذا التبست عليه الحروف، ولم يضعها الانبياء او الرواة كما يدعى الفريسيون . فاذا فحصنا باقى اسفار الكتاب نجد ان سفر اخبار الايام قد كتب بعد موت عزرا بمدة طويلة ، وربما بعد اعادة بناء المعبد ، ونعجب من ادخال هذا السفر فى الكتاب المقدس واستبعاد سفر الحكمة وسفر طوبيا وغيرهما بحجة انها منتحلة . وكذلك جمع سفر المزامير بعد بناء المعبد ، واخذت اسفار الانبياء من كتب اخرى وتتبع ترتيبا زمنيا مخالفا لترتيب ظهور الانبياء زمنيا او لترتب ظهور كتاباتهم واحاديثهم ، كما أنها لا تحتوى على كل الانبياء بل على بعض منهم ، ولا يحتوى كل سفر على كل النبوة بل على أجزاء منها ، فمع ان سفر اشعيا اسطورة الا انه ناقص ، وتستمر نبوه اشعيا حتى بعد انتهاء السفر ، وسفر ارميا خليط من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للازمنة ، وبعض اصحاحاته من سفر باروخ ، مما يدل على انه لم يكن هناك فصل بين أسفار الانبياء ، كما يدل على وجود مصادر

اخرى تتضمن روايات توضع فى هذا السفر او ذاك وهو ما يفسر تكرار النصوص فى الاسفار المختلفة ، اما سفر باروخ فيقال ان ارميا نفسه هو الذى املاه عليه ، ولا يذكر سفر باروخ الا جزءا من نبوة باروخ ، وتدل الاصحاحات الاولى من سفر حزقيال على انه مجرد شذرات ، اما سفر هوشع فقد كتب بعد موت هوشع ولا يذكر السفر الا جزءا من نبـوته مع ان هوشع عاش نحوا من اربعة وثمانين عاما ، ولم يذكر سفر يونان الا نبوته للنينويين مع انه قد تنبأ ايضا للاسرائيليين ، اما سـفر ايوب فيظن البعض ان موسى مؤلفه ، وان القصة مثل يضرب ، وهذا راى موسى ابن ميمون ، ويرى ابن عزرا ان القصة ترجمت الى العبرية من لغـة اخرى ؛ ويفترض سبينوزا ان ايوب كان وثنيا .

وكتب دانيال سفره ابتداء من الاصحاح الثامن ، اما الاصحاحات السبعة الاولى فمجهولة المؤلف ، وربما كتبت باللغة الكلدانية .

ويأتى سفر عزرا بعد سفر دانيال ومن الارجح ان كاتبيهما واحد . ويرتبط سفر استير الاول بسفر عزرا ويدل على ذلك طريقة الربطبينهما، وهو سفر آخر غير الذى كتبه مردخاى فقد فقد هذا السفر الاخير عـلى ما يظن ابن عزرا ، ومؤلفه هو نفس كاتب اسفار دانيال وعزرا ونحميا المسمى سفر عزرا الثانى، واذن فمؤلف الاسفار الاربعة دانيال وعزرا واستير ونحميا واحد ، ومن المحتمل انها من وضع الصـدوقيين وهو ما يفسر رفض الفريسيين لها ، وتحتوى على بعض الاساطير الموضوعة عن عمد ، وقد تكون الغاية منها البرهنة على تحقيق نبوة دانيال ولكنها مملوءة بالاخطاء التى ترجع الى تسرع النساخ ، وفى الهوامش كثير من الاخطاء ، ونقلت النسخ من اصول غير صحيحة وغير موثوق بها .

وكذلك اخذ سفر المقابيين الاول من اخبار ملوك اليهود التى عنى المؤرخون بتدوينها ، وهى مذكورة فى سفر الملوك الاول ، واخبار الامراء والاحبار مذكورة فى سفر نحميا وفى سفر المقابيين الاول .

ولم يحدث تقنين لاسفار العهد القديم قبل عصر المقابيـين ، وهم الذين وضعوا الاقوال فى الصلاة ، ويشير الفريسيون الى اجتماعهم لاخذ قرار التقنين عليها بما يتفق مع عقائدهم .

وكان واضحا ان سبينوزا مطلع على ديانته ، عارف بوجوه التقصير فيها ، والواقع انه نشأ فى بيت دينى ، فأبواه ، رغم جنسيته الهولندية ، من يهود المارانو البرتغاليين ، وهم طائفة اضطرت الى اعتناق المسيحية

تقية ، فلما سنحت لافرادها فرصة الهجرة بدينهم عادوا الى يهوديتهم ، ولقد تلقى سبينوزا تعليما دينيا ولكنه اتجه الى دراسة الفلسفة ، وتأثر بالتراث اليهودى خاصة عند ابن جرشون وابن ميمون وسعدى الفيومى وقريشقش ، ولم تعجبه التفسيرات التى خالطتها الافلاطونية المحدثة وعابها بشدة ، واتجه اتجاها عقليا علميا ، وحاول تطبيق منهج ديكارت فى مجال الدين من غير التوصل الى نتائج ديكارت ، وبينما انتهى ديكارت الى اثبات وجود الله فان سبينوزا يستخدم المصطلح دون مضمونه التقليدى فساوى بين الله والطبيعة ، وكان حريصا على استخدام مجموعة من التعبيرات التقليدية مثل اطاعة الاوامر الالهية والحب الالهى وتقوى الله ، الخ ، ولكنه يستخدمها بمعان جديدة فى تركيبات توحى بأنها ما زالت محتفظة بمدلولاتها القديمة ، وهو ما يسمونه عنده منهجه الهندسى القائم على طريقة المعادلات فى التعبير ، بأن يغلف المعانى الجديدة فى الفاظ مألوفة لها فى اذهان الناس ارتباطات انفعالية قوية ، والواقع انها ليست اسلوبا مستحدثا كما يزعمون ولكنها طريقة اليهود من القباليين وترجع الى ظاهرة التخفى فى التعبير عن الآراء ، وهنا نلمس تأثير انتماءاته اليهودية ، ولئن بدا متحررا وعلمانيا الا انه ما يزال يفكر كيهودى ، وسبينوزا وان طرح الاسطورة الا أنه استطاع ان يجلو الفكرة الاساسية فى اليهودية ، وهى فكرة اللامتناهى ولكنه الجسمى المادى ، وهو ليس سوى الطبيعة ، ذلك لان هوية الله مع الطبيعة تلغى فكرة الله ولا تستبقى سوى الطبيعة ، ومذهبه بذلك يعد « انجر الحاد عرفه العالم » كما شاء لمؤرخه كوليروس أن يصفه ، غير ان اسلوب التخفى الذى استخدمه استطاع ان يخدع الكثيرين ومنهم هيجل نفسه فحسب أن كثرة ترديد لفظ الله ان سبينوزا من المؤمنين وان مذهبه هو لا كونية او لا طبيعية بمعنى ان الكون فيه لا وجود له فى ذاته لان كل ما يوجد فى الكون انما يوجد فى الله ، ومن ثم يكون اتهام سبينوزا بالالحاد مخالفا للحقيقة « فلدى سبينوزا من الله اكثر مما ينبغى » ، ولكن الواقع ان سبينوزا كان ملحدا والا فلماذا اعترض على فكرة حرية الارادة ، ولماذا سعى الى القضاء على ثنائية النفس والجسم ، ولماذا اكد الحتمية وسيادة العلية وحمل بقوة على كل تفسير من خلال فكرة العرضية او الاتفاق ، ولماذا حارب فكرة الغائية ؟ ولا يمكن ان يظن ان مذهب سبينوزا وقد وحد فيه بين الله والطبيعة هو مذهب فى وحدة الوجود ، ولكنه بتعبيره مذهب واحدى monist يقول ان هذا العالم هو كل ما فى الوجود ، ويركز جهود الانسان فى معرفة هذا العالم الطبيعى نفسه ، واستمد سبينوزا وأحديته من ادراكه للضرورة الشاملة المتحكمة فى الكون والتى تستبعد القول بأى كائن يعلو على الطبيعة او غاية تتجاوز

نطاقها . ومعنى الضرورة أن الظواهر اذا ما نظر اليها فى ذاتهــا دون اقحام لعلل خارجية فيها ، تكون منتظمة خاضعة لقوانين مستمدة منهــا ومعبره عنها ، ولا تحدث الظواهر الفردية اتفاقا بل ينبغى أن تكون لها علة تفسرها ، وانه حتى فى الحالات التى لا يستطيع فيها العلم أن يحدد هذه العلة ، لان تطوره لم يصل الى ذلك بعد ، ينبغى من حيث المبدأ أن نعترف بضرورة وجود هذه العلة والقانون الذى يحكم العــــلاقة بين الظـــواهر وعللها .

ويعرض سبينوزا مشكلة الضرورة والحتميـــة فى « الرســـالة القصيرة » من خلال مصطلح العصور الوسطى فيقول : هل يســتطيع الله ان يفعل غير ما فعل ؟ ويرد على السؤال بنفس لغة المدرسيين بأنه ليس من الكمال الالهى أن يفعل الله غير ما فعل ، وانه حتى لو احــدث تغييرا فيما ظل يســير عليه لمــا كان هذا دليلا على المزيد من القدرة . وينتهى من ذلك الى ان الله كان لا بد أن يفعل ما فعــل وان الحـــرية الاعتباطية لا يمكن ان تكون من صفات الله ، ويؤكد ضرورة احـــداث الطبيعة نافيا عنها كل القيم العرضية . غير أنه يفرق بين الطبيعةالطابعة natura naturans والطبيعة المطبوعة natura naturata ، فيقول ان الطبيعة الطابعة هى ما يوجد فى ذاته وما يتصور بذاته ، اعنى بها الله بقدر ما يعد علة حرة . والطبيعة المطبــوعة هى كل ما يتلو من ضرورة طبيعة الله او اى صفة من صفاته بقدر ما تعد اشياء توجد فى الله ولا يمكن ان توجد أو تتصور من دونه » ، ويعنى سبينوزا بذلك ان الطبيعةالطابعة هى نظام الاشياء الشامل من حيث انه وجـــود ضرورى ولا يمكن ان يتصور بغيره لان شيئا لا يخرج عنه ، كما أن العلية فيه باطنـــة . اما الطبيعة المطبوعة فهى الجزئيات او مكونات العالم من حيث هى تعبــير جزئى عن الصفات الشاملة للجوهر . واذا كان هناك شىء هو علة ذاته أى لم ينتج عن علة خارج ذاته فهذا الشىء هو مجموع الطبيعـــة الذى لا يمكن تصوره الا موجودا ، وفى الطبيعة تكون العلية داخلية بحــق ، فهذا المجموع الكلى للاشياء ينطوى فى ذاته على كل ما يمكن ان يطــرأ على الاشياء من تغيرات ، وفى قوانينه الازلية توجد بالقوة بذور كل تغير أو حادث ممكن فى العالم ، وهو ذاته قديم لا يمكن ان يكون من صـــنع حقيقة خارجة عنه . وسبينوزا بذلك من الدهريين او الطبيعيين ، ولذلك حاولوا اغتياله ، وطردته طائفته واصدرت عليه حكما بالحرمان(١٦٥٦)، مع ان فلسفته فى جملتها تتفق والتراث اليهودى ، وكما يقول فرويدنتال مؤرخه « ان نظرة سبينوزا الى الطبيعة كانت مماثلة لنظرة اليهود الى الههم ، فالطبيعة المؤلهة كانت كاله اليهود اشمل واكمل موضوع لحبنا ،

وهى الموضوع الذى نهب له انفسنا بكل ما نملك ، وفى ذلك تكون الطاعة الحقيقية لله ، وكذلك خلاصنا وسعادتنا الازلية » . أو كما يقول بروشار ناقده « ان اله سبينوزا هو الاله اليهودى يهوا بعد ادخال تحسينات عليه » ، وهذه التحسينات هى جواز المرور الذى من خلاله استطاع سبينوزا أن يمرر يهوديته الى العالم ، واستطاع أن يجعل بها من اليهودية فلسفة عالمية ، وكما يقول ناقده جرونسكى ان كتابه « الاخلاق » توراة جديدة تصلح للناس جميعا ، ولذلك فان سبينوزا عندما نبذه قومه غير صيغة اسمه من باروخ الى بندكت Benedict وهى المقابل اللاتينى لباروخ العبرية ، بل وكانت اللغة التى آثر ان يكتب بها مؤلفاته هى اللاتينية ، فكأنه استبدل القومى بالعالمى ، وكانت نزعته عالمية ، فلما تأكدت مكانته من هذا السبيل واختلف المفسرون بشأن فلسفته ، عمد اليهود الى اعادة ضمه حتى أن بن جوريون كتب يقول : ان طرد أحبار امستردام فى القرن السابع عشر لسبينوزا لا يمكن أن يحرم الامة اليهودية من اعظم مفكريها وأكثرهم أصالة » [٥]

* * *

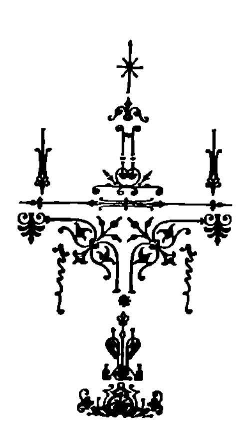
سعدى Saadiah

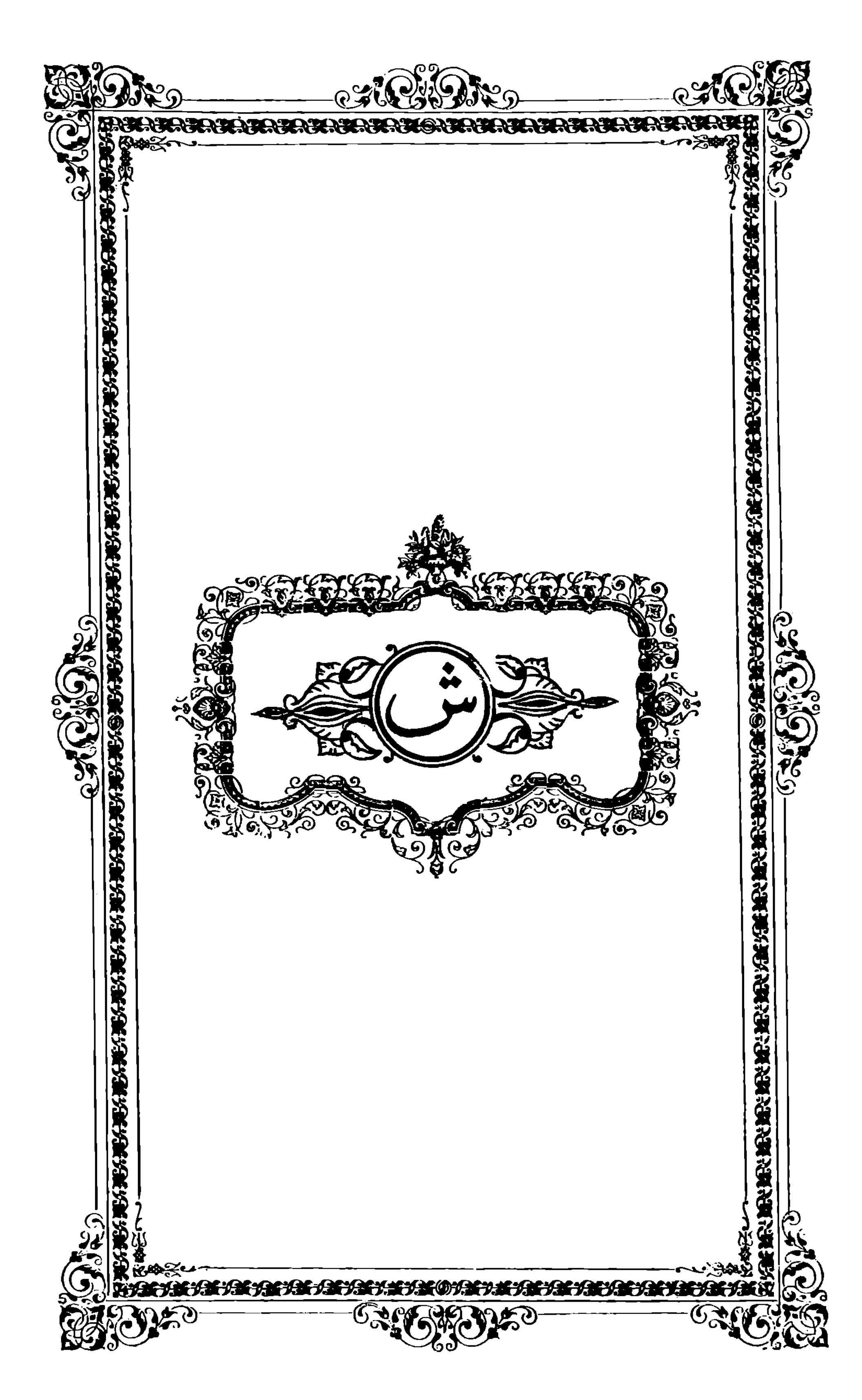
(٨٨٢ — ٩٤٢ م) سعدى بن يوسف الفيومى ، مصرى ولد بالفيوم من اعمال الصعيد ، وثقافته عربية ، وكتابه الرئيسى « الامانات والاعتقادات » الفه بالعربية ، ويبدو فيه شديد التأثر بالمدرسة الكلامية عند المعتزلة ، وهو ينحو نحوهم فى تفسير التوراة ، وهناك تشابه كبير بين تفكيره وفلسفة محمد بن زكريا الرازى ، ويستخدم سعدى حججه ليبرر بها شرعية النبوة ووحدانية الله ، ويذهب مذهبه فى تفسير الوحى، ولا يرى تعارضا بين الدين والعقل ، ويقيم تأويلاته على التفكير العقلى، ولذلك جاء تفسيره العربى للتوراة به بعض التكلف ، فقد أراد أن يدافع عن العقيدة اليهودية ، ويقوى بمذهبه جانب التنزيه فيها ، ويخفف من غلواء التجسيم والتشبيه فى التوراة ، وتطلب منه ذلك أن يستعين بأدوات التفكير المعروفة فى وقته وهى الفلسفة الاسلامية المتأثرة الى حد كبير بالفلسفة الارسطية ذات الصفة الافلوطينية عند العرب ، وقد نجح سعدى بهذه الطريقة فى التوفيق بين معطيات التنزيل ومذاهب التأويل العقلى دون صدام عنيف ولا تحريف خطير .

* * *

السموال بن يهوذا المغربى الحكيم ، قال القفطى انه من الاندلس، ومات بالمراغة قريبا من سنة سبعين وخمسمائة ، قرأ فنـــون الحكمة ، وقام بالعلوم الرياضية وأحكم أصولها وفوائدها ونوادرها ، وكان عدديا هندسيا هيئيا ، وله فى ذلك مصنفات ، واسلم فحسن اسلامه ، وصنف كتاب « افحام اليهود » فى اظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم فى التوراة، ومواضع الدليل على تبديلها ، وأحكم ما جمعه فى ذلك ، وتصدى له بالرد ابن كمونه فى كتابه « تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث » .






ش



الشـــباتية Shabbateans

فرقة من الحلولية المبطلة ، عطلوا الشرائع واباحوا المحـــرمات بدعوى ان الداعى شبتاى تسفى (١٦٢٦ ــ ١٦٧٦) هو المهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح ، وان نزوله الى الارض يعنى رفع الخطيئـــة والقضـاء على الشر فلا تعود ثمة حاجة الى الشريعة ولا يكون هنـــاك محرم ومبـــاح .

وشبتاى تركى ازميرى قيل انه كان يشكو امراضا عصبية وتنتابه حالات من الهوس والاكتئاب ، وانه كان يتـــزوج ويطلق دون ان يقـــرب النساء ، وانه لم يبق على ذمته منهن الا بغيا طار صيتها فى البغاء ، وقيل انه حدد الثامن عشر من يونيو عام ١٦٦٦ تاريخا لبداية العصر المسيحانى حيث يعم العدل والسلام البشر أجمعين بعـــودة شعب اسرائيـــل الى الارض ، ولمـــا قبضت عليه السلطات التـــركية بتهمـــة تعـــكير الامن واستحداث فتنة دينية ارتضى الاسلام دينا وتسمى باسم عزيز محمـــد افندى ، وبذلك استن لشيعته سنة التقية ، وبررها لهم المنظر للمذهب الشباتى المدعو ناتان الغزاوى فقال ان القبالة تدعو الى محاربة الشر ولو اقتضى ذلك من المخلص ان يرتدى مسوحه لينفذ الى معسكره وينازله بسلاحه فيقضى عليه فى عقر داره ، وقال شبتاى انه لم يعتنق الاسلام الا لهذه الغاية ، والاسلام عنده هو التوراة التى يقبلها نفاقا ، فى مقابل التوراة الحقيقية التى يقبلها صدقا ، ومع ذلك فهو قد نسخ هذه التوراة بتعاليمه التى ناقض بها الناموس ، واملى على مريديه كتابا بعنوان « سر العقيدة الصحيحة » شرح فيه اصول دعوته كما استخلصها من كتاب الباطنية المسمى « الزهار » ، وقال انها الايمان بالهين ، واحد للعالمين وآخر لليهود ، والاعتقاد بالشخيناه وهى حضور الله او حلوله فى الشعب ، ويزيد فيقول ان رب العالمين هو العلة الاولى ، ومنه كان اله اسرائيـــل العلة الثانية ، وبنعمته اى اله اسرائيل كان الوجود والموجودات ، فاضا عنه بما يسمى عندهم Zaddikism اى انكماش الاله على نفسه ، وبذلك سمح بفراغ شغلته المخلوقات .

ولمـــا مات شبتاى ادعى ناتان الغزاوى انه لم يقض كالناس ولكنه رفع وقد ساح فى الفضاء وانتشر مع الضياء العلوى . ولناثان كتـــاب فى المذهب هو « سفر البرية » يقول فيه بالفيض ويزيد نظرية الالهـــين فيقول انهما اله واحد لكنه مركب من نقيضين ، فهو نور ولكن من نوره العامل ومنه العاطل ، والعامل فعال ابدع المخلوقات ، والعاطل هو مبدا

السكون ، وهو ينفذ الى المخلوقات فيقضى عليها بالسكون اى بالموت فهو عنصر الشر ، وهو لا يصنعه لانه محب للشر ولكن لانه مبدأ الموت ، ولن يتوقف فعله الا بنزول المسيح فيرتفع الفناء .

وقد خلفه على المذهب المدعو كاردوزو ، وكان على عداء مع الفلسفة والفلاسفة ، وكان على راى القائلين ان الفلسفة ضد الدين ؛ وزاد العلة الاولى توضيحا فقال انها العقل اله الفلاسفة ، والذى يتعبده وثنى ، ووصف العلة الثانية بأنها ايمانية ، وهى الاله الحق ، اله الانبياء من الاسلاف واله الشعب ، ونبه الى الخلط الذى يتردى فيه فلاسفة من اليهود كسعدى الفيومى والميمونى .

وغلاة الشباتية هم الدونمه وفرقتهم بتركيا تدعى الاسلام ، ومنهم طائفة تسمى الباروخية تنسب الى باروخيا روسو او المبارك روسو ، قال بألوهية شبتاى ، ثم قالت شيعته بألوهيته هو نفسه .

وقد قيل ان الشباتية مذهب أريد به أصلا تقويض الاسلام كما يقول صاحبه ، أو تقويض كل الديانات الكتابية واقامة ديانة علمانية ، وانها اساس الدعوات اللاحقة كالفرنكية التى هدفت الى تقويض النصرانية من الداخل كذلك ، والماسونية ، وقيل ان الدونمه كانوا وراء حركة مصطفى كمال اتاتورك الذى فصل الدين عن الدولة وأنهى الخلافة الاسلامية فى تركيا .

***

شتانهايم Steinheim

(١٧٨٩ — ١٨٦٦) سليمان شتانهايم ، المانى ، يقابل بين الوحى والعقل ، ويفصل الدين عن الفلسفة ، ويعرف الفلسفة بأنها مبحث أحوال الوجود على مقتضى العقول ، بينما الدين تنزيل يوحى به رب العالمين ، وهو واحد أحد ، وكل ذلك ضد العقل الذى لا يقر بامكان الخلق من العدم ، ويقول بالضرورة ، والحقيقة بمقتضاه ثنائية ، ومن ثم كان البحث فى الله على مذهب القدماء أولى بالمباحث الدينية من الفلسفة ، لان البحث فى الكلام على قواعد الشرع ، وليس على مقتضى العقل .

***

شستوف Shestov

(١٨٦٦ ـ ١٩٣٨) لاوى شستوف ، الاسم القلى للاوىاسحق ، وجودى روسى من كيف ، رفض الشيوعية وهاجر الى باريس (١٩٢٢) ؛ ووجوديته يهودية الطابع وضد الوجودية المسيحية التى يمثلها كارل ياسبرز ، وهو لا يرجع الفرق بين اليهودية والمسيحية الى الفرق بين العهدين القديم والحديث او التوحيد والشرك ، ولكنه الخلاف فى الطريق المؤدى الى الخلاص ، وهو فى اليهودية الوحى ، وفى المسيحية التأمل ، والوحى يرمز اليه بالقدس ، والتأمل العقلى بأثينا ، والانسان اكبر من أن يكون طريقه للخلاص طريق التأمل العقلى ، ولقد فشل الطريق الاثينى حتى الآن ، ومن اجل ذلك فشستوف ضد المسيحية لانها أثينية الطابع ، وضد كل الفلاسفة من اليهود والمسيحيين الذين يصبغون الدين أو الفلسفة بالصبغة العقلية ، وهو ضد فيلون الفلسوف اليهودى كما هو ضد الاكوينى الفيلسوف المسيحى ، وضد هوسرل لانه اراد تحويل الفلسفة الى علم ، وفى رايه ان الفلسفة يجب ان تتوجه اساسا الى البحث عن اجابات لما يعسر على العقل ان يجد له اجابة ، وهىأسئلة تتجاوز الاجابة عليها قدرات العقل ، وتمثلها صرخات النبى ايوب التى كان يودعها عذاباته المنطلقة من اعماق تجربته المباشرة كانسان ، ولم يكن خلاص ايوب بالعقل ، ولكنه كان بالايمان ، وطريق الخلاص عند شستوف تجربة وجودية ايمانية ، تستهدى التوراة وتجربة ابطاله الايمانيين ، وتقتدى بالنبيين ابراهيم وأيوب .

* * *

الشماسون Sampsaeans

بتشديد الميم ، طائفة انفرعت عن فرقة الكسائيين ، قيل لم يكن اصلهم من اليهود ولكنهم تهودوا بمشايعة الكسانى ، ولكن الكسائيين نفروا منهم لانهم لم يكونوا يهودا ، وقيل بل لانهم فى الاصل لم يكونوا يهودا فقد ترفعوا على اليهود واطلقوا على انفسهم اسم الشماسين أى الشموس الزاهرة ، لانهم تبواوا الصدارة عند الكسائيين . وقيل كانوا يؤمنون باله واحد ، وانه من الماء جعل الله كل الاشياء الحية .

* * *


http://al-maktabeh.com


ص



الصـــدوقية Sadducees

نسبة الى صدوق أو صادق بمعنى صادق رئيس الكهنة أيام داود وسليمان ، ومن عائلته حفظت رئاسة الكهنوت حتى عصر المقابيين ، فسمى خلفاؤه وأنصاره صدوقيون أو بمعنى اصح صادقيون ، وكانوا ضد تقليد الآباء على عكس الفريسيين خصومهم ، ومالوا الى الفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو ، وكانوا عقلانيين وظاهريين ، فقالوا بحرية الارادة ، والقدرة على عمل الخير ومدافعة الشر ، وانكروا وجود الملائكة والروح ، ورفضوا الاقرار بالقيامة والثواب فى الجسد بدعوى أن النفس تموت مع الجسد وأن النص التوراتى يخلو من أى اشارة الى معاد وحساب . وكانت الصدوقية فى جزيرة العرب قبل بعثة الرسول بجهة اليمن ، وكانوا يقولون من بين سائر يهود الجزيرة أن عزير ابن الله .

* * *

الصـــديقية Zaddikism

(انظر الحصيدية والقبالة) .

* * *

الصـــهيونية Zionism

عقيدة ومنهج عمل ، تستند الى التوراة ، وتقوم على القـــول بأفضلية اليهود على العالمين ، بدعوى تعهد قطعه الله على نفسه لنبيه ابراهيم ، حيث أمره الله بالتوجه من أرضه فى بلاد ما بين النهـــرين الى أرض كنعان لتكون له أرضا : « انطلق من ارضك وعشيرتك وبات أبيك الى الارض التى أريك » (سفر التكوين ، الفصل الثانى عشر) ، « واقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك مدى أجيالهم ، عهـــد الدهر ، لاكون لك الها ولنسلك من بعدك ، واعطيك ارض غربتك لك ولنسلك من بعدك ، جميع أرض كنعان ، ملكا مؤبدا واكون لهم الها . وقال الله لابراهيم : وانت فاحفظ عهدى انت ونسلك من بعدك مدى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن كل ذكر منكم » (الفصل السابع عشر) .

وتقوم الصهيونية على الاعتقاد بأن ابراهيم ونسله من بعده قد

اختصوا الله بعبادتهم ، فاختصهم الله بعهده ، وهو عهد علامته الختان . حصره اليهود فى اللحم ، وفسروه بأنه عقد من طرف واحد ، قد دخله الله فألزمه للابد ، واختار فيه اليهود لرسالته الخلقية ، تتحقق بهم سيطرة القانون الاخلاقى المطلق فى العالم ، وهم طبقا لهذا التبرير شعب الله المختار ، لانهم باختصاصهم قد صاروا أمة تقوم على التوراة ، والتوراة هى القانون الخلقى المطلق ، ومن ثم فهم يضربون مثلا للكمال الخلقى فى العالم .

والرد عليهم : انهم بالرغم من تشدقهم بعبادة الله ، وانهم قد اختصوه بهذه العبادة حتى استحقوا أن يختصهم بعهده ، فانهم كانوا اكثر الشعوب تمردا عليه وكفرا به ، وقد جاء فى سفر يشوع « اخشوا الرب واعبدوه بكمال وامانة وانزعوا الآلهة الذين عبدهم آباؤكم فى عبر النهر وفى مصر واعبدوا الرب » ، وجاء فى سفر القضاة « فسكن بنو اسرائيل فى وسط الكنعانيين والحيثيين والاموريين والفريزيين والحويين واليبوسيين ، واتخذوا بناتهم لانفسهم نساء ، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم ، فعمل بنو اسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب الههم وعبدوا البعليم والعشتاروت » (الفصل الثالث ٥ — ٨) ، وجاء فى نبوءة ارميا « بعدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا ، وبعدد شوارع أورشليم وضعتم مذابح للخزى ومذابح للتبخير للبعل » (الفصل الحادى عشر : ١٠ — ١٣) ، وقال الله على لسان أرميا « كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت اسرائيل » (الفصل الثالث ٢٠) ، « لانهم من الصغير الى الكبير ، كل واحد مولع بالربح ، من النبى الى الكاهن ، ولم يخزوا خزيا ولم يعرفوا الخجل ، اغاظونى بأصنامهم » (الفصل الثامن ١٩) ، ومن ثم فان اليهود يكونون قد نقضوا العهد فلم يعبدوا الله وحده، ولم يقوموا بواجب الالتزام الخلقى العام الذى هو التوراة ، وهما الشرطان اللذان يتم بانجازهما وفاء الله بهذا العهد المزعوم ، وبناء عليه ينتقض الاختيار اذ انهم اشركوا ولم يمتثلوا للقانون ، غير أن فلاسفة الصهيونية يدعون أن هذا الاختيار من قبل الله لليهود غير قابل للنقض ، سواء التزموا بعبادته وحده ونهضوا بأعباء القانون الخلقى او لم يفعلوا كل ذلك أو بعضا منه ، لان الله هو القائل « ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك أرضهم بل لكى يفى الرب بالكلام الذى اقسم عليه لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ، فاعلم انه ليس لاجل برك يعطيك الرب الهك هذه الارض الجيدة لتمتلكها » (سفر التكوين ٩) ، ومن ثم

فان هذا الاختيار لم يكن له من سبب سوى أن الله هو الذى اراده ، فهو متعصب لليهود ، وهو يحب هذا الشعب رغم « صلابة رقبته » . ويقر هؤلاء الفلاسفة بالعنصرية فى التوراة ، وينسب غيرهم الى هذه العنصرية عزلة اليهود فى المجتمعات التى عاشوا فيها ، وعدم توافقهم الذى تتسم به الشخصية اليهودية ، ويردونه الى هذا التعليل : ان اليهودى لا يمكن ان يكون نفسه الا فى أرضه فلسطين ، وانه لا يمكن أن يعبد الله الا عليها ، وقد ورد فى المزامير على لسان النبى داود « الرب قد اختار صهيون ، اشتهاها . مسكنا له . هذه هى راحتى الى الابد . ها هنا اسكن لانى اشتهيها . طعامها اباركه بركة . مساكنها أشبعها خبزا ، كهنتها ألبس خلاصا . واتقياؤها يهتفون هتافا . هناك أنبت قرنا لداود ، رتبت سراجا لمسيحى » (١٣٢ : ١٣ — ١٧) ، وفلسطين اذن مقدسة لانها مسكن الله . ولا يجوز أن يعبد يهوه الا فيها ، وفلسطين هذه المقصودة هى الارض التى عليها قامت مملكة داود ، ومملكة داود لذلك هى مشيئة الله فى ارضه . وهى مملكته التى اختارها مقرا ومعبدا ، والتطلع لقيامها من جديد عند هؤلاء الفلاسفة هو تطلع الى تحقيق مشيئة الله ، وهو لذلك تعبد . والصهيونى عندما يقرأ تاريخ هذا الشعب فى الكتاب المقدس لا يقرأ مجرد التاريخ . ولكنه يعايش فلسفته . ويتدين بهذه القراءة ويصلى . فالصلاة ليست سوى معاناة لاعمق المشاعر الدينية . وهذه القراءة هى أعماق الصهيونى . لانها تربط بين معصية أورشليم وظلمها وبين التنبؤ بأن العدو سيدمرها لهذا السبب ، ويبيد شعبها ، ما عدا قلة صالحة بها يبقى الشعب ويستمر ، وبين البشارة بأن يهوه سيرسل فى القريب من اجل هذه البقية الصالحة مخلصا من بيت داود ، صفيه الثانى بعد ابراهيم . يقوم بالمعجزة فيعيد اليهود الى فلسطين ، ويسترجع مجد دولة داود .

وينهض البناء الفلسفى للصهيونية على هذا التعصب للعنصر اليهودى . وتفسير معصية اورشليم بأنها تحول عن يهوه ومبادىء مملكة داود . وهو شىء يستحق عقاب يهوه . ولكنه مع ذلك لن ينسى شعبه ، وهو يلوم هذا الشعب ويؤنبه ولكنه لا يقضى عليه نهائيا . واحداث التاريخ يراها الصهيونى لهذا السبب لا كأحداث تاريخ لها مسبباتها ونتائجها التاريخية . ولكن كأحداث غيبية الهية ، كجزاء وعقاب ، لان اليهودى الذى لم يمتثل لامر يهوه . هو هذا اليهودى الذى خان عنصريته فاختلط بالامم وصاهرها ، واخذ بثقافتها ، فاستحق لذلك العقاب ، ولكن

اذا كانت الاغلبية قد اخطات فهناك البقية الصالحة التى تحدثنا عنها ، ونظرية البقية الصالحة مقولة اسلامية الاصل ، اخذها اليهود كنظريات أخرى كثيرة ووظفوها سياسيا لخدمة قضية الصهيونية ، مثل نظرية الثقلين ونظرية الدورات التاريخية ونظرية عالم اليسار أو اهل اليسار الخ (انظر القبالة والحصيدية) فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون فى حفظ الله عز وجل ما دام فيهم » ، وقال « لا يزال فيكم سبعة ، بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى يأتى امر الله » ، وقال « الابدال فى امتى ثلاثون ، بهم ترزقون وبهم تمطرون وبهم تنتصرون » . وتقول النظرية اليهودية انه مهما تحول الشعب اليهودى عن يهورديته ، ومهما عصى اوامر يهوه ، وخالف فى طقوسه وعاداته ما رسمه له كهنة داود ، فان بقية منه لن تتحول وتنحرف وتضل ، بل ستبقى على عنصريتها ، وستكون اداة تمكين العنصرية واستمرارها ، وطالما هناك هذه البقية الصالحة المتعصبة فالهلاك الكلى ليس ضروريا ، والخلاص للجميع ممكن على د بطل من هذه البقية الصالحة ، او من خيارها آل داود ، وهو الماسيح او الماشيح المخلص او المهدى المنتظر ، والفلسفة الماسيحانية او الماشيحانية أو نظرية المهدى المنتظر هى حركة ترقب مجىء هذا المخلص الذى يعيد اليهود الى فلسطين كاعادة زرع النبتة فى ارضها ، ويسترجع دولة داود المثال ى ,حب ان يرجى تحقيقه ليعم العدل العالم فيرضى الله فتثمر الارض لبنا وعسلا . والصهيونية هى اذن فلسفة الرجعة اليهودية ، تستقى من الدين اليهودى بوصفه دين المنفيين ، فقد نشأ فى المنفى واختص باليهود كمنفيين واختصوا به ، والصهيونية هى الاعتقاد : اولا بأن الله قد اختار العنصر العبرى باختياره ابراهيم ليكون منه شعب الله ، وثانيا بأنه قد اعطى ميثاقه لهذا العنصر ، وهو ليس عقدا بل عهدا لانه من جانب واحد ، وهو عهد ازلى لا ينقض ، وثالثا انه تنفيذا لهذا الميثاق اخرج الله العنصر العبرى من مصر وانقذه من فرعون ، واهلك اهل فلسطين من اجله ، واسكنهم ارضهم وملكها لهم ، ورابعا انه قد اختار داود ليحقق به هذا العهد بانشاء دولة داود ، وقد جدد له هذا العهد بأن هذه الدولة الالهية لن تزول ، وبذلك جعل الله للعنصر المختار ملكا (بضم الميم) وارضا ودولة ، هى هذا الملك وهذه الارض وهذه الدولة ، وخامسا ان هذا العنصر العبرى قد انحرف وضل عن الطريق ، فأفلت منه الملك ، وآل للامم ، ولكن هذا الملك لله اولا واخيرا ، ولقد قضى الله منذ الازل انه

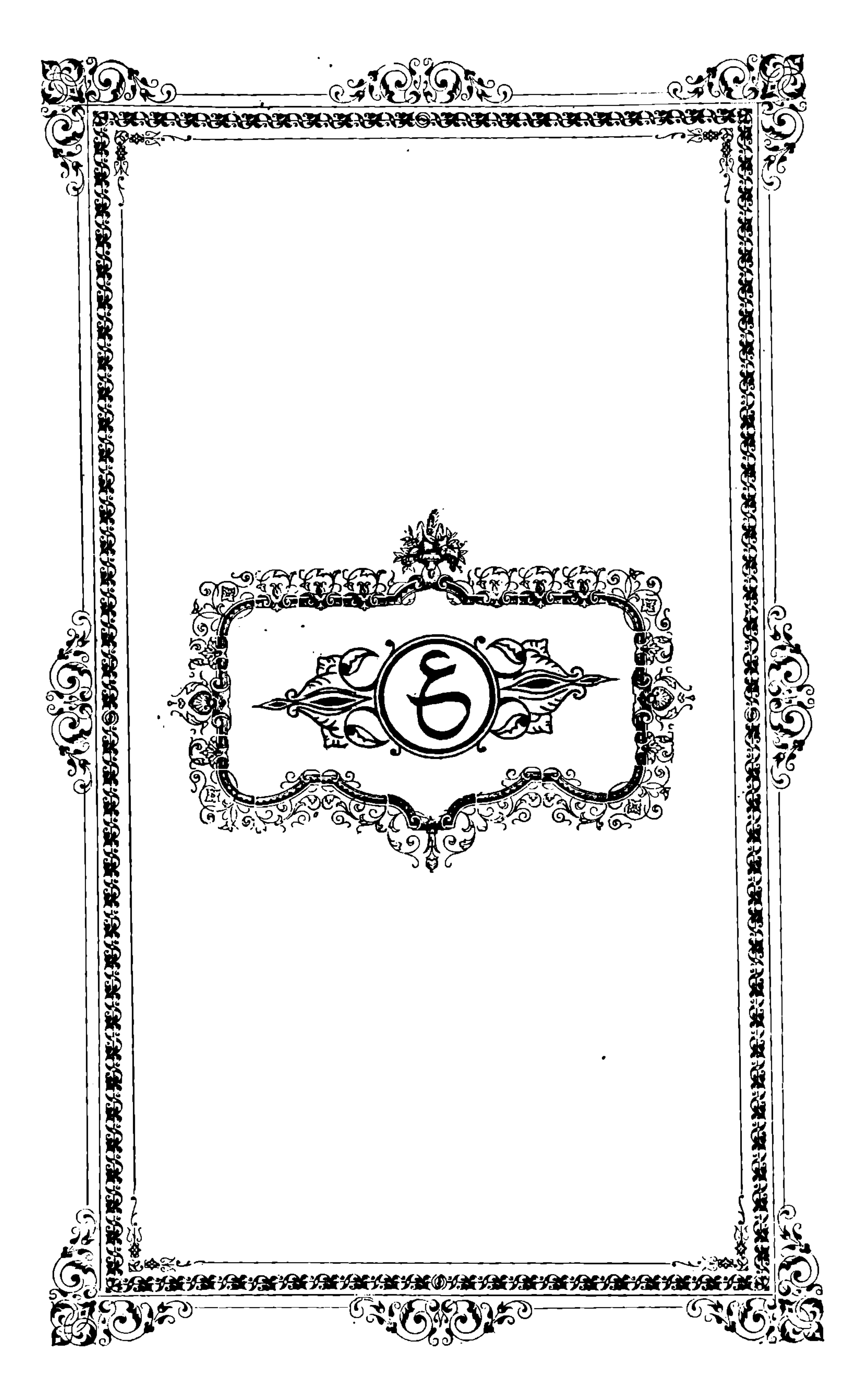
من نصيب شعبه ، ومن ثم فلا خوف من ضياعه ، وسادسا ان هـــذا العنصر العبرى سيظل لذلك يتطلع ان يعيد الله هذا الملك لهذا الشعب كما قضى فى كتابه . وسيكون تطلع هذا الشعب لاسترجاع هـــذا الملك بكل عقله وقلبــه . وســابعا انه لا يشك للحظـــة انه سيســتعيده ، وهو لابد مسترجعه ، لانه لم ينحرف كله . فهناك بقية منه صالحة . وبها يصدق وعد يهوه بأن ملك العنصر العبرى ، الذى هو ملك الله ، لن يزول . وثامنا انه يتبقى ان يترجم الشعب هذا الامل الى حقيقة ، بالارادة الفعالة والعمل الايجابى المخطط .

والصهيونية هى هذه المقولات السبع الاولى العقائدية . والمقولة الثامنة العملية التى تستهدف تحويل ما فى العقل والقلب الى واقع تاريخى . وليس الله فى الصهيونية ، طبقا لمــا سبق ، الا الها قد استعبده اليهود لاهدافهم السياسية . وهو اله مستعبد يعمل لخيرهم وحدهم وان كان هذا الخير لا يتأتى الا بالحاق الاذى بالشعوب الاخرى ، حتى وان ثبت انها شعوب تؤمن بالله الواحد وتعمل بشريعته ، والصهيونية . من ثم هى حركة هذا الاله اليهودى فى التاريخ العالمى .











عقنين Aknin

(نحو ١١٥٠ ــ ١٢٢٠) يوسف بن يهوذا بن يعقوب بن عقنين ، من دائرة الثقافة الاسلامية ، ولد ببرشلونة الاندلس وأقام بفاس المغرب وفيها التقى بموسى بن ميمون فى رحلته من الاندلس الى مصر ، وهو غير يوسف بن يهوذا بن شمعون المشهور بيوسف بن عقنين تلميذ موسى بن ميمون .

ومعظم مؤلفات ابن عقنين بالعربية ، وله « رسالة الابانة فى أصول الديانة » فى الجبر والقدر ، و « طب النفوس السليمة ومعالجة النفوس الاليمة » فى الحكمة العربية ، ويحفل بالامثال والاقتباسات العربية من فلاسفة العرب ، و « انكشاف الاسرار وظهور الانوار » يفلسف به نشيد الانشاد على طريقة أهل الباطن ، ويقول انه أشواق النفس العاقلة الى العقل الكلى للرجوع اليه والاتحاد به ، وهو ما يزعم انه أول تفسير باطنى للنشيد وان كان موسى بن ميمون قد ذهب الى شىء منه فى مصنفاته .

* * *

العنانية Ananites

اصحاب عانان بن داود ، قيل هم اصل القراءين ، وجدوا بالعراق ومصر والشام ، وكان ظهورهم بالاندلس ، وتسميهم اليهود العراس والمس كما جاء عند الشهرستانى ، وهم يخالفونهم فلا يتعدون شرائع التوراة وما جاء فى كتب الانبياء ، ويتبرعون من قول الربانيين ويكذبونهم، ويصدقون عيسى فى مواعظه واشاراته كولى من العارفين والمستجيبين لموسى .

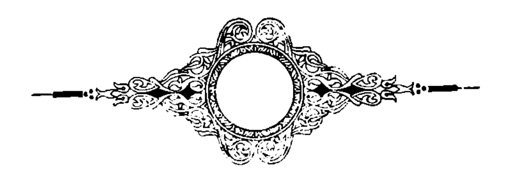
* * *

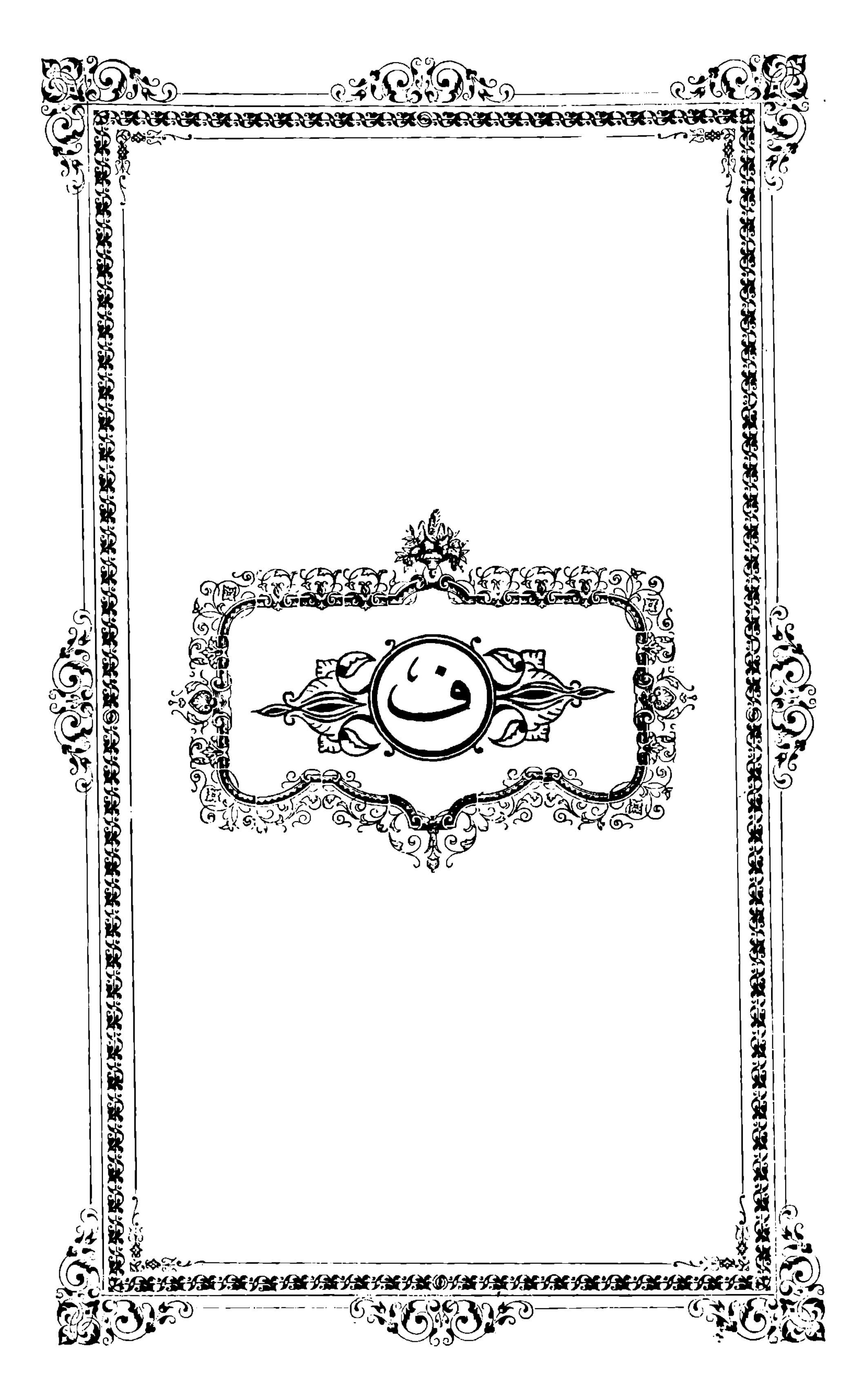
العيسوية Isawites

نسبوا ، على ما جاء عند الشهرستانى ، الى أبى عيسى اسحاق بن يعقوب الاصفهانى ، وقيل ان اسمه عوفيد الوهيم ، أى عابد الله ، وكان فى زمن المنصور ، وابتدأ دعوته من زمن آخر ملوك بنى امية ، مروان بن محمد ، فاتبعه بشر كثير من اليهود ، وادعوا له آيات ومعجزات ، ولما حارب أصحاب المنصور بالرى قتل ، وقتل اصحابه .

وزعم ابو عيسى انه نبى ، وانه رسول المسيح المنتظر ، وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحدا بعد واحدا ، وزعم أن الله تعالى كلمه ، وكلفه ان يخلص بنى اسرائيل من أيدى أمم العاصين والملوك الظالمين ، وزعم ان المسيح افضل ولد آدم ، وانه اعلى منزلة من الانبياء الماضين ، واذ هو رسوله فهو افضل الكل ايضا ، وكان يوجب تصديق المسيح ، ويعظم دعوة الداعى ، ويزعم ايضا ان الداعى هو المسيح . وحرم فى كتابه الذبائح كلها ، ونهى عن اكل كل ذى روح على الاطلاق ، طيرا كان او بهيمة ، واوجب عشر صلوات ، وأمر اصحابه باقامتها ، وذكر اوقاتها ، وخالف اليهود فى كثير من احكام الشريعة الكثيرة المذكورة فى التوراة . وقيل انه اقر بنبوة عيسى بن مريم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وان عيسى بعثه الله عز وجل الى بنى اسرائيل على ما جاء بالانجيل ، وانه احد انبياء بنى اسرائيل ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم نبى أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بنى اسماعيل الى سائر العرب ، كما كان ايوب نبيا فى بنى عيص ، وكما كان بلعام نبيا فى بنى مواب باقرار من جميع فرق اليهود .






فَ



(١٨٩١ — ١٩٥١) لودفيج يوسف يوحنا فتجنشتاين ، يروج النقاد اليهود لفلسفته بدعوى أنها نقطة تحول فى تاريخ الفلسفةالمعاصرة، وأنه بكتابه « الرسالة المنطقية الفلسفية » (١٩٢١) قد نقل البحث فى الفلسفة من مشكلاتها الى البحث فى لغتها ، على زعم أن هذه المشكلات لم تنجم الا بسبب اختلاف الفلاسفة حول معنى الالفاظ الواحدة التى يستخدمونها ، وتقوم فلسفته على فكرة أن العالم يتألف من وقائع يمكن ان تنحل الى ما هو أبسط منها ويسميها وقائع ذرية ، تقابلها قضايا بسيطة أو اولية . تنحل اليها لغة حياتنا اليومية وتصورها ، والعبارات الكلية هى تعميم للعبارات الجزئية بواسطة علاقات منطقية ، وهكذا فان عبارة « كل انسان فان » تعتبر مطابقة لعبارة مثل عبارة « زيد فان » أو « عمرو فان » وهلماجرا . فالقضايا المنطقية « زيد فان » أو « عمرو فان » وهلماجرا ، فالقضايا المنطقية اذن هى تحصيل حاصل ولا تعنى شيئا جديدا ، فهى قضايا فارغة ولا يمكنها بأى حال من الاحوال أن تمدنا بأية معرفة عن الواقع ، ولذا فان الفلسفة لا تصلح لان تكون نظرية فى المعرفة ، اذ أنها لا تعدو أن تكون مجرد ضرب من ضرورب النشاط الفكرى ، وهكذا فان ادراك الواقع الحسى هو مهمة تناط بعلوم الطبيعة وحدها . وتحدثفتجنشتاين كذلك فى اصطلاحية اللغة وقال باستحالة دراسة الاصطلاحات اللغوية فى حد ذاتها ، وبالتالى فانه يستحيل اقامة تحليل منطقى نحوى ، غير انه ما دامت جميع القضايا الفلسفية تنتهى فى آخر المطاف الى هذا الضرب من ضروب التحليل ، فانه يجدر اعتبار تلك القضايا جميعها قضايا وهمية ليس هناك من أمل فى ايجاد حلول لها .

وختم فتجنشتاين مؤلفه قائلا انه حتى آراءه التى ضمنها كتابه تعتبر هى الاخرى لغوا خاليا من كل معنى ، معقبا على ذلك بالعبارة التهكمية التالية « على المرء ألا يخوض فيما لا علم له به » ، فكأنه لا أدرى ومن ثم فقد رأىالبعض فيما ذهب اليهتخريبا للفلسفة يذكرنا ببروتوكولات حكماء صهيون والمؤامرة على الثقافة العالمية ، وكان المفروض أن يتوقف هو نفسه عن الاشتغال بالفلسفة طالما أنه قد توصل الى هذه النتيجة ولكنه استمر فى تأملاته وانتهى لاول مرة فى تاريخ الفكر الى تخطئة نفسه فى معظم ما ذهب اليه ، وكتب « المباحث الفلسفية » (١٩٤٥) ناقض فيه نفسه وتخلى عن نظريته الاساسية التى تسمى الذرية المنطقية ، والتى كان قد استعارها من برتراند رسل أستاذه ، فلما أسقط هذه النظرية سقطت بالتالى كل أفكاره المترتبة عليها ، وأهمها طريقته فى

التحليل وهي اسهامه الحقيقي والتي قيل انها الاسهام الحقيقي للفلسفة اليهودية في كل تاريخها ، فهي فلسفة تحليلية الطابع ، وتعتمد طريقته في التحليل على رد ما هو مركب الى عناصره الاولية او وحداته البسيطة التي لا تنحل الى ما هو ابسط منها . وسقطت نظريته التصويرية للغة التي كانت تفرق بين القضايا ذات المعنى والقضايا التي لا معنى لها بحقيقتها على الواقع الخارجي ، فاذا كانت رسما للوقائع الموجودة في الواقع الخارجي فهي ذات معنى والا فهي لغو . وطالما كانت القضايا ذات المعنى رسما للوجود الخارجي فان حدود الواقع الذي ندركه هي حدود اللغة التي نعبر بها عن قضايا هذا الواقع .
وهو ما يعرف بنظريته الاناوحدية التي تقصر المعرفة على ما يقع في نطاق الخبرة الشخصية لكل فرد . فكل ما أعرفه أو أدركه هو ما يوجد ايضا بالاضافة الى وجودي ، وهو اتجاه يتعارض مع وضعية فتجنشتاين المزعومة ، فما يقع في خبرتي هو ما يوجد . وما يتجاوز هذه الخبرة غير موجود ، والعالم بذلك يضيق ويقتصر على ما يدركه كل فرد ويستطيع التعبير عنه باللغة !!! ورغم ان فتجنشتاين ضد الميتافيزيقا ويعتبر قضاياها خالية من المعنى واصطنع لنفسه منهجا ينأى به في زعمه عن التردي في اخطائها ، الا أنه كان ميتافيزيقيا برغما عنه في أخذه بالنظرية الذرية ، وذلك لانها نظرية لا تجريبية وهو يقول بالتجريبية ، وهو يقول بأن العالم ينحل الى وقائع وليس أشياء وهو افتراض لا يوجد ما يبرره .
ومع ذلك اقام عليه نسقا فلسفيا كاملا يعيد في أذهاننا أقوال احبار اليهود في التلمود وتصنيف ارسطو للماهيات وفكرة الجواهر في الميتافيزيقا . فكأنه اخذ من التراث الفلسفي ما يناسب التراث اليهودي وقدمه في صيغة عصرية انتهى بها الى ما يشبه حكمة أيوب « الكل قبض ريح » .
وايضا فان مناقشته للمنطق تكشف عن واقعية ميتافيزيقية حيث يجعل المنطق اساس استخدام اللغة . واللغة تصويرا للوقائع الخارجية ، ومن ثم يقيم الواقع الخارجي على أساس من المنطق بحيث يكون المنطق باطنا للواقع الخارجي . وتتكشف الميتافيزيقا نتيجة لباطنة المنطق للواقع وللغة في فكرة الصورة المنطقية . فلكي تكون القضية رسما للواقعة الخارجية لا بد أن تكون بنيتها المنطقية متفقة مع بنية هذه الواقعة نفسها .

وتذكرنا فكرته الصوفية بمذهب وحدة الوجود عند سبينوزا . فالعالم عنده كل واحد وان كان من الممكن أن ينحل الى اجزاء صغيرة هي وقائعه ، اى أن العالم وان كان يتكون من هذه الوقائع الا أنه هو نفسه شيء آخر أكثر من مجموع هذه الاجزاء . ومن ثم يكون الوجود عنده كليا ، وحيث ان اللغة لا تتناول الا الوقائع . فانها من ثم لا تستطيع

ان يتحدث عنه والا لتجاوزنا حدود اللغة ، واذن فما لا يمكن التعبير عنه موجود ويظهر نفسه وهو الجانب الصوفى ، والشعور بالعالم ككل هو هذا الشعور الصوفى . وكل هـــذه الافكار السابقة ترتبت على قوله بالذرية ، فلما تهافتت هذه تهافتت بدورها كل النتائج المترتبة عليها ، ولم يبق من كل فتجنشتاين الذى روجوا له بانه نقطة تحول فى فلسفة العصر ، الا قوله بالتحليل ، وحتى هذا التحليل اتجه هذه المرة الى البحث فى اللغة لمعرفة طريقة استخدام الالفاظ وسياقات هذا الاستخدام التى تكون فيها ذات معنى ، وهو اسهام يرى البعض أن قصر البحث الفلسفى عليه هو خنق للفلسفة .

ولقد قيل ان تاثير فتجنشتاين كان من خلال جماعة فيينا اصحاب الفلسفة الوضعية المنطقية ، وهى تجمع يهودى قد يختلف اعضاؤه حول اشياء ولكنهم متفقون جميعا على القضاء على الميتافيزيقا بدعوى العلمية ، وهذه الجماعة هى التى لاحقت حكومات اوروبا افرادها لخطورة دعواها الالحادية ، وبسبب هذه الدعوى قتل رئيسها شليك وهاجر فتجنشتاين من النمسا موطنه الى كيمبردج (١٩٢٩) وتجنس بالجنسية البريطانية (١٩٣٠) ، ولكن انتماءه لم يكن ابدا لاى من النمسا أو بريطانيا ، فكان يوغل فى الهجرة الى جبال الدنمرك او قرى ايرلنده ليعيش الجيتـــو اليهودى فى نفسه زاهدا وحيدا ، ولم يكن غريبا منه ان يكتب عنـــوان « الرسالة المنطقية الفلسفية Tractatus Logico -Philosophicus » باللاتينية على غرار ما فعل سبينوزا .

ويطلق على اتباعه اسم الفلاســفة العلاجيين وهم مجموعة من المفكرين الذين ينظرون الى الفلسفة على انها ضرب من العلاج المنطقى للقضايا الوهمية قائلين بضرورة اضفاء الصيغة الوضعية الصارمة على هذا المنهج . واسمهم يذكرنا بفرقة الاسينيين اليهودية . ومعنى اسمهم العلاجيون . وكانت حياتهم كحياة فتجنشتاين ناسكة بل موغلة فى النسك وكانه كان تابعا لها وان نأى الزمن بينهما

* * *

الفـــرنكية Frankists

فرقة حلولية قالوا يعقوب فرانك (١٧٢٦ ــ ١٧٩١) او فرينـــك بمعنى السفاردى هو المهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلص ، وان روح النبى يعقوب قد حلت فيه ليكمل عمله والانبياء ابراهيم واسحق

وشبتاى تسفى وباروخيا روسى ، وقد توجه فرانك هذا بدعوته « للمؤمنين » اتباع شبتاى تسفى ، وفرقته مبطلة واباحية ، فقد قال انه ضد التلمود وابطل توراة موسى ، لانه بمجىء المسيح المخلص ترتفع الخطيئة وتسقط الشريعة التى تستلزمها ، ومن ثم تستباح المحرمات ، ونساء الفرنكية لذلك على المشاع ، وهم عدمية ينكرون البعث والحساب، لانه لا حساب مع سقوط الشريعة، وبمجىء فرينك سيبدأ العصر المسيحانى الميمون ، وهو سيقوم برحلة الخلاص الى ادوم ، وادوم هى رمز الفطرة، ومسكن عيسو شقيق النبى يعقوب ، وديانته الفطرة بعكس يعقوب الذى يقول بالشريعة ، وكان يعقوب قد وعد شقيقه أن يذهب معه الى أدوم ليستأنفا الحياة معا ، ندما على ما اقترفه فى حق أخيه عندما سرق منه بركة ابيهما اسحق ، ولكنه لم يقم بالرحلة ، وفرانك وصحابته سيقومون بها ، ليعبدوا الله على الفطرة ، والفطرة عندهم هى أن لا تكون هناك شريعة ، وقد كان عيسو صيادا يعيش ليومه ويأخذ الحياة بقوة ، وكان يحب اللون الاحمر ، ومن أجل ذلك فاللون الاحمر هو لون الفرنكية المفضل ، والله عندهم ثلاثة فى واحد كما عند النصارى ، وفرانك قد ادعى النصرانية كسلفه شبتاى تسفى عندما ادعى الاسلام ، ليقوضا الاسلام والنصرانية من داخل المجتمعات المسلمة والنصرانية ، لانه فى العصر المسيحانى لا ينبغى أن توجد الا ديانة واحدة .

وفرانك يقول بالعذراء كما عند النصارى ، ويسميها البتول ، ويقصد بها الشخيناه اليهودية ، العنصر الالهى الانثوى فى اليهودية ، وهى الحضور الالهى فى شعب اسرائيل ، أو هى شعب اسرائيل وقد حل فيه اله اسرائيل . واله اسرائيل هو العلة الثانية ، وهو الخالق المصور البارىء الذى اختصه شعب اسرائيل بالعبادة فاختصهم بأن كان الههم وحدهم ، واما العلة الاولى فهو الرب الذى خرجت منه العلة الثانية ، ومن العلتين والشخيناه او البتول يكون الله . والفرنكية يوغلون فى الاباحية ، فان زوجة فرانك عندما كبرت وأضربت عن الجماع أطلق عليها اسم الجفراء gevirah وله نفس المعنى فى العربية ، ولذلك جعلها كالبتول وقال بعبادتها ، ولما ماتت جعل ابنته فى مكانها فكانت تقيم حفلات للجماع ، الامر الذى دفع بعض اتباعه الى الوشاية به لدى السلطات فقبضوا عليه ، رغم انه كان يوصيهم بالصمت وكان يقول ان الصمت له عبىء ثقيل على المؤمنين ، فان تعرف انك على حق وغيرك على باطل ولا تستطيع أن تجهر بعقيدتك فهذا هو الاستشهاد وهو جوهر الايمان .

***

فـرويد Freud

سيجموند فرويد (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩) نمسوى ، مؤسس التحليل النفسى ، وصفه اريك فروم بأنه حركة شبه دينية قائمة على النظرية السيكولوجية ، مستكملة بعلاج نفسى ، حاول به فرويد تأسيس أخلاق متحررة ودين دنيوى ، هو فى جوهره الدين اليهودى ، فمفهومه عن التسامى يقوم على فكرة ان الصفوة ، مقابل العامة ، تستطيع عن طريق عدم اشباع الرغبات الغريزية ، وعن طريق حرمان الذات ، ان توفر رأس المال النفسى من أجل تحقيق الانجازات الثقافية ، وكما ان الثروة هى نتاج التوفير ، فان الثقافة ايضا هى نتاج الكف الغريزى ، وهى نظرية يهودية مادية تعلمها من التوراة ، مثلما تعلم ان الانسان « حيوان عدوانى » ، وهى سمة تفضى الى سمة أخرى هى نزعة التنافس ، وكما يقول يتعرض المجتمع المتحضر دائما لخطر التفكك من خلال عدوانية الانسان الاولية ، وتتمثل هذه فى عدم المساواة الاقتصادية ، والانسان بالغائه الملكية الخاصة ينقص من حب البشر للعدوانية احدى ادواته ، وهى اداة قوية بلا شك ، ولكنها ليست على اى حال اقوى أدواته ، فما هو اقوى مصدر للتنافس الانسانى ، او بالاحرى للتنافس الذكورى ؟ انها رغبة الذكور فى استمالة جميع النساء المرغوبات ، وهى اصلا المنافسة بين الآباء والابناء من اجل الام ، ثم هى المنافسة بين الابناء من اجل كل النساء الممكن استمالتهن . « افرض ان الحقوق الشخصية فى الاشياء المادية قد زالت ، فسوف تبقى الامتيازات والعلاقات الجنسية التى يجب ان تثير اقوى الضغائن وأشد العداوات بين الرجال والنساء الذين يكونون متساويين . والانسان هو أساسا شخص معزول ومكتف بذاته . وطالما انه يحتاج الى سلع معينة فعليه أن يذهب الى السوق ، وان يلقى بالافراد الآخرين الذين يحتاجون الى ما عليه ان يبيعه ، والذين عليهم ان يبيعوا ما يحتاج اليه ، وهذه المقايسةُ المربحة المتبادلة تشكل ماهية التماسك الاجتماعى » . وقد عبر فرويد فى نظريته عن اللبيدو عن الفكرة نفسها بمصطلحات سيكولوجية ، وهى على اى حال وبالمصطلحين فكرة مادية يهودية ، فالانسان اساسا آلة يسوقها اللبيدو ، تنظم نفسها بالحاجة الى تقليل التوتر المؤلم الى اقل درجة ممكنة ، وتقليل التوتر هذا يشكل طبيعة اللذة ، ولكى يمكن الوصول الى هذا الاشباع يحتاج الرجال والنساء الى بعضهم البعض ، وينخرطون فى اشباع متبادل لاحتياجاتهم اللبيدية ، وهذا يشكل اهتمامهم ببعضهم البعض ، ولكنهم يظلون اساسا كائنات معزولة ، تماما كما يفعل البائع والمشترى فى السوق ، وعلى حين ينجذبون الى بعضهم البعض بالحاجة الى اشباع

رغباتهم الغريزية ، فانهم لا يتجاوزون اطلاقا انفصاليتهم الرئيسية . فالانسان عند فرويد كما عند معظم المفكرين اليهود ، ليس الا حيوانا اجتماعيا يشعر بضرورة الاشباع المتبادل لاحتياجاته وليس بأية حاجة اولية لان يتصل بالآخرين . وهذا الوصف للعلاقة بين صورة فرويد للانسان وصورة الانسان فى التوراة لا تكون كاملة بدون أن نذكر مفهوما جوهريا فى نظرية فرويد ، ألا وهو الجانب الاقتصادى للبيدو ، فاللبيدو عنده دائما ثابت يمكن أن ينفق بهذه الطريقة أو بتلك ، لكنه خاضع لقوانين المادة « ما يفقد لا يمكن تعويضه » ، ويكمن هذا المعنى وراء مفاهيم مثل النرجسية ، حيث ان المسألة هى اما ارسال اللبيدو الى الخارج او اخذه ثانية الى الانا ، وكامن ايضا وراء مفهوم البواعث التدميرية الموجهة اما نحو الآخرين او نحو الذات ، وكامن كذلك فى مفهوم فرويد عن استحالة المحبة الاخوية ، واستحالة تطبيق المثل الاخلاقى الذى يقول احبب جارك كما تحب نفسك ، لانى عندما أمنحجبى للمحيطين بى فانهم سيقدرونه كامتياز اختصصتهم به ، ومن غير الانصاف أن أضع غريبا فى مستوى واحد معهم ، ولكن اذا كان على ان احبه ذلك النوع من الحب العام فلن يناله من حبى بعد توزيعه على سكان الارض الا النزر اليسير ، وسيكون من المستحيل ان اعطيه الكثير بالقدر الذى يمليه العقل ، وفرويد فى ذلك يتحدث عن الحب كيهودى يتحدث عن الملكية او راس المال ، ويستخدم الحجة نفسها ضد الاشتراكية : اذا قسم كل الراسماليين اموالهم على الفقراء ، فلن ينال كل انسان سوى النزر اليسير . والصورة العامة للانسان فى التوراة تنزع الى البرهنة على ان الراسمالية المعاصرة هى خير جواب على وجود الانسان ، لانها تشبع بواعثه المغروسةفى طبيعته ، وفرويد كمنظر لم يتجاوز الفكر اليهودى ، بل اصله ، واعطى فكرة عن المفاهيم اليهودية السائدة فى المجتمعات التى تجعل من التوراة اساسا فكريا لها ، بأن بين كيف ان هذه المفاهيم مغروسة فى الطبيعة الخالصة للبيدو وعملياته ، وهذا هو معنى القول الذى نسمعه يتردد كثيرا : ان الاساس الايديولوجى للفكر الاوروبى يهودى .

ومفهوم فرويد عن الانسان الجنسى homo sexualis كان تعميقا ونسخة مكبرة من المفهوم المادى الاقتصادى عن الانسان ، ولذلك نرى فرويد عندما تعلن الحرب العالمية يتحمس لها وكأنه شاب فى العشرين فى حين انه كان وقتها فى الثامنة والخمسين ، وواضح أن الحرب ايقظت فيه الولع بالعسكرية الاسرائيلية ، بل انه وقتها لم يستطع ان يفكر فى شىء آخر غير الحرب ، كما يقول مؤرخه ارنست جونز ، وامضى وقته

يناقش أحداثها مع اخيه الكسندر ، معلنا انه لاول مرة طوال ثلاثين سنة يشعر بالفخر كنمسوى ، فلقد اعطى النمسا كل الليبدو الذى عنده ، كما قال ، وكتب مقارنا أحداث الحرب بالحرب التى خاضتها حركته فى التحليل النفسى ، ولكن تجربة الحرب العالمية كانت مع ذلك صدمة سرعان ما افاق منها على اضطهاد اليهود ، فرأى ان الوضع الاسلم لليهود انما هو فى السلم ، وكتب الى اينشتاين يشاوره فى عمل شىء يمنع الحروب المستقبلة ، وتحدث عن نفسه وعن اينشتاين على أنهما من انصار السلام ، وقال ان الانسان مستعد بطبعه للانخراط فى الحرب بفعل غريزة الموت التى عنده ، ولكنه مع نمو الحضارة وازدياد الخوف من الدمار قد مكن أن يتسامى بنزعاته التدميرية وان ينهى كل اسباب اللجوء الى العدوان المؤدى الى حروب أخرى . ولكنه فى الوقت نفسه يعلن فى خطابه الى اينشتاين عن موقف سياسى فى اقصى يمين الليبرالية ، عبر عنه كذلك فى كتاب « مستقبل وهم » ، فقد صنف الناس تصنيف التوراة لهم ، وأكد ان الناس غير متساويين فى النواحى التكوينية التى لا تتغير ، وأنهم نقسمون الى قادة واتباع ، وان الاتباع هم الغالبية وفى حاجة دائما الى سلطة تتخذ لهم القرارات ويخضعون لها بشكل مطلق تقريبا ، والامل الوحيد هو ان تتكون هذه الصفوة من الناس الذين يشكلون أرستقراطية قادرة على استخدام عقولها دون خوف من معركة الحقيقة ، وسيكونون «مجتمعا من الناس قد جعلوا حياتهم الغريزية تابعة لديكتاتورية العقل».
وهكذا نتبين أن المجتمع الطوباوى عنده هو المجتمع الدينى الذى يقوم على ديكتاتورية الصفوة ، وهو مثال يحدوه الامل الذى به تستطيع الصفوة وحدها من المحللين النفسيين ان توجه وتدبر امور الجماهير الكسالى ، مما يدلنا على أن حركة التحليل النفسى التى قادها هى حركة شبه سياسية ، أطلق عليها جونز مؤرخه اسم حركة التحرير النفسى ، وقال عنها فرويد فى خطاب الى يونج انه خطرت له فكرة أن يجمع مؤيديه فى جماعة اكبر تعمل من أجل فكرة عملية ، وفكر فى أن تكون رابطة الاخوة الدولية لفلسفة الاخلاق والثقافة هى الاطار الذى يستطيع أن ينتظم فيه ومؤيديه ، ولكن سرعان ما حلت فكرة الرابطة الدولية للتحليل النفسى محل الرابطة الدولية سالفة الذكر ، ولذلك قامت هذه الرابطة على روح مختلفة تماما عما هو معتاد بالنسبة لنظرية علمية ، واقتضى الامر أن تنظم بشكل ديكتاتورى ، واعترف فرنشزى لفرويد بأن فكرته عن المحلل النفسى تقترب من فكرة الفيلسوف الحاكم عند افلاطون (خطاب الى فرويد فى ٥ فبراير سنة ١٩١٠) ، ورد فرويد بأن

نفس الفكرة خطرت له ، وخطا فرنشيزى خطوة أبعد فاقترح تشكيل رابطة دولية لها جمعيات فرعية فى مختلف البلاد ، وطالب بضرورة اخضاع كل البحوث المكتوبة والمحاضرات الخاصة بأى محلل نفسى للموافقة أولا. وهو اقتراح يفصح عن روح الحركة . وكان للمؤتمر الثانى للتحليل النفسى كل العلامات المميزة لمؤتمر سياسى ، ويقول جونز : ان الجدل الذى ثار بعد بحث فرنشيزى كان لاذعا حتى انه كان لا بد من تأجيله الى اليوم التالى » . وازدادت الامور سوءا عندما جرى اقتراح باعطاء منصبى الرئاسة والسكرتارية لمحللين سويسريين . فقد كان معنى ذلك انهم يتجاهلون الخدمات الطويلة من جانب علماء النفس فى فيينا .

والحقيقة ان الاقتراح كان يتجاهلهم لان كلهم من اليهود . ولكن فرويد كان يعتقد ان اشراك محللى سويسرة وهم من المسيحيين معناه انشاء أساس اعرض للعمل عما يمكن أن يقدمه يهود فيينا ، وان من الضرورى اقناع زملائه يهود فيينا بذلك ، فلما سمع أن عددا كبيرا منهم كانوا يعقدون اجتماعا للاحتجاج فى غرفة بفندق شتكل ذهب ليلحق بهم . وناشدهم بحرارة ان يشايعوه ، وركز على العداوة الشرسة التى تحيط بهم . والحاجة الى تأييد خارجى لمواجهة هذه العداوة ضد اليهود . ثم طوح بمعطفه فى حركة مسرحية وأعلن : ان أعدائى سيرغبون فى أن يرونى اموت فقرا . ولسوف يطعنونى من الخلف » ، ويقول اريك فروم معلقا : ترى هنا الحركة المسرحية . بل والهستيرية نوعا ما . التى للزعيم السياسى لارغام أتباعه على قبول فكرة أن يكون التحليل النفسى حركة عالمية . ومن ثم نقل الزعامة من ايدى يهود فيينا الى أيدى السويسريين غير اليهود . وكان على يونج المسيحى ان يصبح بولس الديانة الجديدة. غير ان فرويد اتخذ ايضا خطوات سياسية لتهدئة زعماء التمرد ، فأعلن استقالته من رئاسة الجمعية حيث حل محله أدلر . ووافق على تأسيس مجلة جديدة لموازنة رئاسة يونج ، يرأسها معا أدلر وشتيكل ، وبذلك ضمن ان تكون الواجهة مسيحية والمضمون يهوديا . ومن هذا الوصف يمكن بسهولة استخلاص أن الباعث وراء فرويد وفرنشيزى والآخرين لم يكن سوى الانتصار لفكرة المجموعة التى تقود حركة شبه دينية . تكون لها معتقدات واجتماعات سرية ، تهاجم وتهادن . أكثر من أن يكون لها موقف العلماء المعنيين ببحث موضوعهم ، وحتى عندما انشقت الجماعة على نفسها ليكون المنشقون رؤساء طوائف بدلا من أتباع . ظل المنشقون مع ذلك ملتفين حول تأليه زعيمهم والاعتقاد فيه . وكان من اثر احكام القطيعة مع يونج تأسيس لجنة دولية سرية من سبعة أفراد تضم فرويد.

مهمتها ان تراقب وان نؤثر فى مجرى الحركة ، وكانت فكرة فرنشيزى أن يقوم فرويد بتعيين عدد من المحللين ، يحللهم فرويد شخصيا تحليلا تاما . فى المراكز او البلدان المختلفة ، واقترح جونز بدلا من ذلك تشكيل جماعة صغيرة من المحللين الموثوق بهم كنوع من الحرس القديم يلتف حول فرويد . واقر الاقتراح بسرعة رانك وابراهام ، وطالب فرنشيزى فيما بعد بالاحتراز من جونز وقال لفرويد : يجب أن تضع جونز دائما تحت أنظارك . وأن تقطع عليه خط الرجعة » ، ولم يكن ذلك الا لان جونز كان العضو الوحيد المسيحى فى جماعة فيينا ، والجماعة تقوم أصلا على اعضاء من اليهود بأفكار يهودية سياسية . وقد قال فرويد : لقد أسرت خيالى فورا فكرتك عن انشاء مجلس سرى تألف من خيرة رجالنا واوثقهم لكى يرعوا التطور اللاحق للتحليل النفسى ، ويدافعوا عن القضية ضد الاشخاص والاحداث عندما لا اعود موجودا . واستطيع ان أتجرأ فأقول أن الحياة والموت سيكونان اسهل بالنسبة الى اذا عرفت أن هناك مثل هذه الرابطة لكى ترعى ابداعى . وينبغى أن تكون هذه اللجنة أولا وقبل كل شىء سرية تماما فى وجودها وفى أعمالها ، ومهما يحمل الينا الزمن القادم فان الرئيس القادم لحركة التحليل النفسى يجب أن يخرج من هذه الدائرة الصغيرة المنتقاة من الاعضاء الذين لا ازال مستعدا للثقة فيهم برغم خيبات أملى الاخيرة مع الناس » (خطاب الى جونز فى أول أغسطس سنة ١٩١٢) . وعندما تشكلت اللجنة كان أعضاؤها سبعة من اليهود الا جونز . وان كان هو نفسه بتعاطفه وميوله قد صار منهم . وأهداهم فرويد سبعة فصوص اغريقية ، تحقق بها حلم الخواتم السبعة التى تحدث عنها ساخس فى كتابه . وسار التطور اللاحق لحركة التحليل النفسى فى المسار الذى املته الحوادث . وكشف فرويد فى دراسته « حول تاريخ حركة التحليل النفسى » عن الروح شبه السياسية للحركة . وسرد الانتصارات المختلفة للحركة فى عدة بلدان . وقال معلقا على انتصارها فى أمريكا « ان مراكز الثقافة القديمة حيث ظهرت أكبر مقاومة لحركة التحليل النفسى . يجب أن تكون هى الساحة التى تجرى عليها المعركة الحاسمة النهائية لتلك الحركة » . وكتب عن نضاله مع خصومه أنه لم يخطر بباله أن يبدى استصغارا لشأنهم بسبب خصومتهم له . وأنه يعرف انه من بين غير الخصوم يوجد المنافقون الذين يظهرون لحركته خلاف ما يبطنون . وأن الحركة لذلك تحتاج الى زعيم . ولكن ينبغى أن نعرف أن اى انسان يكون من نصيبه رعاية التحليل النفسى ستنصب له الفخاخ . ولكن واجب الزعيم دائما أن ينفض عن الحركة الافتراءات التى تلصق

بها ، وبذلك يكون قد تم اقامة تنظيم دولى له فروع فى عدة بلدان ، وله قواعد صارمة يلتزم بها كل من يعد نفسه ليكون محللا نفسيا . وحتى اللغة التى استخدمها فرويد لها الطابع شبه السياسى ، فهو يتحدث عن مؤتمر سنة ١٩١٠ بوصفه « ينهى طفولة حركتنا » (خطاب الى فرنشيزى فى ٣ ابريل سنة ١٩١٠) . ويقول عن يونج « لقد دعوته فى الوقت المناسب للعودة الى العصاب فهو الوطن الام الذى به تتعزز سيطرتنا على كل شىء وكل انسان » ، وكثيرا ما تحدث فرويد عن مجالات التحليل النفسى بوصفها مستعمرات ، وهى لغة بانى الامبراطوريات او الزعيم السياسى الذى يعمل من أجل مثل أعلى ، وكان مثله الاعلى منهجا للعلاج النفسى ونظرية سيكولوجية للاشعور والكبت والمقاومة والتحول وتفسير الاحلام . ولكن النواة لهذا كله قد عبر عنها فرويد فى كتابه « الانا والهو » : ان تطور الانا يتقدم من ادراك الغرائز الى السيطرة عليها . ومن الانصياع لها الى كبحها . والانا الاعلى ، وهو فى جانب منه تكوين من رد الفعل ضد العمليات الغريزية فى الهو ، يشارك فى هذا التحقق ، والتحليل النفسى هو الوسيلة المقدر لها ان تكون اداة الانتصار على الهو بالعقل . وهذا الهدف له جذوره فى الدين اليهودى ، فهو ديانة أخلاقية اكثر منها ديانة بعث وحساب ، ويتمثل هذا الهدف فى فلسفة التنوير وديانة العقل ، واتخذ عند فرويد شكل الديانة العلمانية أو الايديولوجية بمعنى وجهة النظر الشاملة أو العالمية ، فاذا كانت الديانات الاخرى والايديولوجيات تعرض لازمة الانسان فى كل آن دون التعرض لاسبابها، فان حركة التحليل النفسى تزعم لنفسها اكتشاف مصادر الازمة فى الاشتياقات الليبيدية والميكانيزمات المعقدة لكبتها والتسامى بها وفى تشكلاتها المرضية ، وكما ان ماركس ، وهو يهودى كذلك . قد وجه الاساس العلمى للاشتراكية فى مقابل ما يسميه بالاشتراكية الخيالية . فان فرويد قد وضع بدوره أساسا علميا لهدف أخلاقى قديم ، ومن ثم تقدم متخطيا الاخلاقيات الخيالية للديانات الكتابية بأخلاق موضوعية لديانة علمانية هى الديانة اليهودية فى شكلها الاخلاقى دون مضمونها الميتافيزيقى ، ولما لم يكن لديه ايمان لا بالشعوب ولا بالانسان المتوسط، فانه وضع لهذه الاخلاقيات العلمية الجديدة هدفا بألا يحققها سوى الصفوة . وحركة التحليل النفسى هى حركة الطليعة النشطة التى على عاتقها تقع هذه المسئولية . ولئن كانت صغيرة الا ان تنظيمها الحسن سيؤدى بها الى انتصار المثال الخلقى اليهودى .

* * *

الفريســيون Pharisees

الفريسى كلمة ارامية من فرس اى صار ذا راى وعلم بالامور ، فهو فارس اى عالم بالامر ، وهم فوارس ، وقيل بل من فرس بمعنى انفصل واعتزل ، وهم الفوارس بمعنى المعتزلة ، لانهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على راس جمهور الاحبار ، وقيل اصلهم جماعة الحسيديين او الحصيديين المذكورين فى اسفار المقابيين ، والذين اشتركوا فى الثورة المقابية على انطيوخوس ابيفانيس (١٧٥ — ١٦٣ ق.م) .

وقيل انهم ظهروا باسمهم الفريسيين فى عهد يوحنا هركانوس ١٣٥ — ١٠٥ ق.م) ، وخالفوا الصدوقيين فقالوا بوجود شريعة غير مدونة لا تقل الزاما عن الشريعة المدونة ، وكانوا بذلك اساس فرقة الربانيين التى جعلت للتلمود او الشريعة الشفوية مكانة أعلى من مكانة التوراة « الشريعة المكتوبة » ، واتجهوا الى تأصيل هذه الشريعة وطبع الحياة اليومية بها ، وأنكروا على الصدوقيين تفسيراتهم الهلينية التى يمكن وصفها بأنها أولى محاولات تنوير فى اليهودية .

وكانوا كتبة بمعنى فقهاء معلمين ، لديهم العلم السلفى الذى هو للشريعة الشفوية . واختلفوا مع الصدوقيين المعطلة الذين قالوا بأن الله قد توقف عن الفعل فى اليوم السابع ، اى انه خلق ما نعرف وما لانعرف فى ستة ايام ثم استراح اى توقف عن ان يريد او يشاء ، بينما الانسان يريد ويشاء باستمرار . وقالوا بفناء النفس مع فناء الجسد ومن ثم فلا قيامة ولا حساب وانما الثواب والعقاب فى الدنيا حيث محصلة الخير هى الخير وبالعكس . وعارضهم الفريسيون بدعوى أن فعل الله لا ينقطع ، والحرية خاصة الانسان ، لكن الارادة لله ، وقد اراد الله للانسان ان يكون حرا ليوفيه الحساب يوم القيامة . والمعاد عند الفريسيين بالروح والجسد معا والا فلا معنى للحساب . ويبدو أن الفريسيين او الفوارس انقسموا على انفسهم فكان منهم جناح شماى المتشدد ، وجناح هليل المعتدل ، ويبدو انهم فى اول عهدهم تملقوا الشعب ومالأوه ضد السلطة ، ولكنهم فى تشددهم او فى اعتدالهم حملوا الناس اثقال اجتهاداتهم ، وكانوا يحتفلون بالعرضى دون الجوهر ، وغالوا فحصروا الصلاح فى طاعة الناموس ، فكان تدينهم ظاهريا ، وسماهم يوحنا المعمدان او المغتسل أولاد الافاعى ، ووبخهم المسيح واتهمهم بالرياء .

* * *

فلقـــارى Falaquera

(نحو ١٢٢٥ ــ ١٢٩٥) شمطوب فلقارى ، اسبانى ، صـــاحب « دليل الدليل » يشرح به كتاب دلالة الحـــائرين للميمونى ، ونال به استحسان علمـــاء اليهود عامة ، وله ترجمات لكتابى الفـــارابى احصاء العلوم والجمع بين رايىى الحكيمين افلاطون وأرسطو ، ورسالة ابن سينا فى النفس . ورســائل اخوان الصفاء .

* * *

فورمســـــتشر Formstecher

(١٨٠٨ ــ ١٨٨٩) سليمان فورمستشر ، المانى حاول اعادة طرح المفاهيم اليهودية بلغة الفلسفة المعاصرة عند شيلنج وهيجل ، وفى كتابه الرئيسى « ديانة الفكر » Religion des Geistes (١٨٤١) يقول مثلهما ان الله يتجلى فى الطبيعة وفى الفكر ، ويبنى على ذلك ان هناك ديانتـــين فى المقابل هما ديانةالطبيعة وهى وثنية ، الله فيها هو مبدأ طبيعى ، وتحفل الطبيعة بهذه المبادىء أو القوى الالهية ، أو ان الله هو روح تشـــيع فى العالم ، وديانة الفكر التى تدرك أن الله يتجاوز الطبيعة ، وانه الحقيقـــة المطلقة ومصدر القيم ، ويقصد بالفكر ما يقصد اليه هيجل ، فهو التحقق التاريخى الشعورى للمطلق ، واذا كانت الديانة عموما هى طموح الانسان لان يكون له عالمه من القيم ، فديانة الفكر هى طموحه لتجســـيد المثال الاخلاقى المطلق . واليهودية على زعم فورمستشر قد حاولت دائمـــا أن تلتزم هذا الطموح ، وهى دعوى تناقض أسفار التـــوراة التى تؤكد ان اليهـــود جافوا التوحيد وانهم أساس التشبيه والتجسيم ، ولا تتفـــق مع الاخلاق المزدوجة عند التالموديين وفورمستشر منهم . وهو يقول ان الله فى الديانات التوحيدية موجود أسمى لا يتصوره العقل كاله الفلاسفة ، ويتجاوز الطبيعة ، وادراكنا له لا يكون الا بالوحى ، ولا يتكشف معنى التوحيد والوحى الا من خلال التقدم التدريجى للفكر ، واليهودية هى مظهر هذا التكشف . فبها بدا التوحيد ، ولمـــا انتشر اليهود فى العالم شـــاع بهم التوحيد . ونفذ الى الوثنية من خلال المسيحية والاســـلام ، ولكن توحيد المسيحية والاسلام مادى ، والمادية فيهما من الاســاس ، لانهما ديانتان اميتان . بينما اليهودية خصيصة شعب اختص الله بعبـــــادته فاختاره الله ليكون شعبه ، اى اختصه بالوحى والنبوة وليكون التجسيد للمثال الاخلاقى الالهى فى التاريخ ، ولذلك لم تكن اليهودية تبشـــيرية ، الا ان رسالتها الاممية تحققت رغم ذلك من خلال المسيحية والاسلام ،

وتمتزج المادية فيهما بالروحية . الا ان تاريخ الفكر البشرى والتقدم الثقافى والنمو الروحى للبشرية لينبىء عن امكان تجاوز هذا الجزء المادى فى هاتين الديانتين او الحضارتين الى روحانية اليهودية التى بها كانت البداية وستكون النهاية .

ولعمرى انه لقول ليس بمستغرب من حبر من الغلاة ، ويبين بجلاء عن تحريف متعمد للتاريخ ولدروسه هو فيما يبدو سمة من السمات البارزة للفلسفة اليهودية بعامة ، ويدحض ما يقوله اجماع مؤرخى الفلسفة على مادية اليهود وفكرهم ، فليس صحيحا ان اليهودية موحدة او ان التوحيد اليهودى هو أساس التوحيد الاسلامى ، لانه لا يوجد اصلا توحيد فى اليهودية ، فهى بما تؤكده أسفار التوراة جميعها ، حتى مزامير داود ، مذهب حنولى (انظر مادتى توراة ويهودية) ، والحلولية شرك صريح ، وكان امرا طبيعيا أن تقول المسيحية أن المسيح هو ابن الله ، ولولا أن التلمودية اكبر الفرق اليهودية قالت ان عزير هو ابن الله، وداود هو ابن الله ، ما كان من الممكن ان يقول المسيحيون أن عيسى هو ابن الله ، والمسيحية التاريخية كما نعرف فرقة يهودية ، وكان القول بالمسيحية لان دعوى المسيح المخلص أو المهدى المنتظر مقولة اساسية فى اليهودية ، وفرق الشباتية والدونمه والفرنكية تزعم ان هذا المسيح هن ابن الله ، وقالوا بالتثليث أو الله فى ثلاثة آلهة ، منها الشخيناه المقابل لمريم العذراء فى المسيحية . وكان الفريسية مبطلة ينكرون البعث والحساب ، والقراءون نسخوا التلمود واتهموا الربانيين بالتحريف فى التوراة ، والحصيدية حلولية ، وكذلك الصهيونية آخر ما استحدثته الطائفية عندهم من الفرق .

* * *

فيل Weil

(١٩٠٩ — ١٩٤٣) سيمون فيل ، فرنسية ، هجرت تدريس الفلسفة الى التصوف ، وعاشت بين العمال حتى قيل انها ماتت من الجوع ، ولها شطحات كادعائها مشاهدة المسيح وحلوله فيها ، ولكنها لم تتحول الى المسيحية بدعوى أن تاريخ الكنيسة لا يشرف المسيحية ، ومع ذلك لم تبق على يهوديتها بحجة أن اليهود أقسى شعوب الارض . تعرف ذلك من التوراة والتالمود وهما كتابان ينضحان بالعنصرية وكراهية اليهود لغيرهم وحقدهم عليهم . وتفاسير الاحبار معظمها نفاق،واساسها

التعالى عن احساس بالنقص الشديد والدونية ، وهذه التفاسير نفسها هى التى البت عليهم العالم المسيحى بالذات (محاكم التفتيش وغيرها).

* * *

فيــــلون Philo

(٢٠ ق.م ــ ٤٠ م) فيلون الاسكندرى ، اكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية فى عصره ؛ لا نعرف شيئا عن حياته سوى أنه من مواليد الاسكندرية ، وبها عاش وتعلم ، ودراسته يونانية كلها ، ويشك فى انه كان يعرف العبرية ، وكان وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية وخصوصا عند افلاطون . وكانت أسرته من أكثر الاسر ثراء فى الاسكندرية . وكان يهود الاسكندرية بشكل عام أكثر اليهود تأثرا بالثقافة الهيللينية .وكانوا يؤلفون جالية من التجار والمثقفين بهذه الثقافة حتى أنهم ما كانوا يقراون التوراة الا فى نسختها اليونانية المعروفة بالسبعينية ، وكان منهم الذين بلغ بهم التأثر بهذه الثقافة الى حد نبذ التراث اليهودى والشريعة الاسرائيلية . ومنهم من التزم العقيدة ، ولكنه تحلل من الشريعة بالتأويل ، وهؤلاء الفوا باليونانية . ومنهم فيلون الذى يعتبر اشهرهم ، وكان كثير الاعتــزاز بيهوديته حتى انه عرف بين المثقفين بفيلون اليهودى . وذكر عنــه أن طائفته ارسلته الى الامبراطور كاليجولا فى روما ليشكو اليه سوء معاملة الحاكم الرومانى على مصر لاهل ملته (٤٠ م) .

وقد تصدى فيلون لشرح التوراة باليونانية . يقصـــد أن يبين للمفكرين بها . ان فى كتاب اليهود فلسفة اقــدم واسمى من فلسفتهم . ولذلك كان يدمج شرحه بالفلسفة . ويقارب بين بعض أقوال الفلاسفة وبعض اقوال الانبياء . ويشرح التوراة شرحا رمزيا عــلى غــرار شرح الفيثاغوريين والافلاطونيين والرواقيين لقصص الميثولوجيا . فيقول ان التوراة فى جملتها تاريخ بنى اسرائيل . تصيبهم النعم اذا راعوا الشريعة. وتلحقهم النقم اذا عصوها وتخلوا عنها . وهى تمثل قصة النفس مــع الله ، تدنو النفس من الله بقدر ابتعادها عن الشهوة فتصيب رضـــاه . وتبتعد منه بقدر انغماسها فى الشهوة . فينزل بها سخطه .

وذهب فيلون الى تأويل سفر التكوين بأن الله خلق العقل الخالص فى عالم المثل وهو الانسان المعقول . ثم صنع على مثال هذا العقل عقلا اقرب الى الارض . هو آدم . واعطاه الحس ، وهو حواء . معــــونة ضرورية له . فطاوع العقــل الحس . وانقاد للذة وهى الحيــة التى

وسوست لحواء ، فولدت النفس فى ذاتها الكبرياء ، وهو قابيل ، وجميع الشرور ، وانتفى منها الخير ، وهو هابيل ، وماتت موتا خلقيا . وأول البحر الاحمر وعبوره بأنه الحياة الحسية والنفس وقد انتصرت عليهـا واجتازتها ، وزواج ابراهيم عليه السلام بسارة بأنه رمز لاتحاد الانسان الصالح بالفضيلة .

ويصطنع فيلون كذلك الترميز العددى المشهور عند الفيثاغوريين ، فيقول ان الواحد غير منقسم ، فهو صورة العلة الاولى ، وموجد النفس والحياة ، ولكن الاثنين منقسم ، فهو مبدأ الشقاق واخو الشر . واتجاهه العام فى شرحه للشريعة هو وضع المعنى الخلقى بازاء المعنى الحرفى ، او نقل الثانى الى الاول احيانا ، فيرى فى الطقوس الدينية علامات على الشروط الخلقية اللازمة للعبادة ، وفى تحريم الحيوانات النجسة قمعـا للشهوات الرديئة ، ومثل هذا النقل ينزع عن الشريعة صفتها الظاهرية او المدنية ، ويحولها الى قانون باطن .

واستبعد فيلون من اليهودية كل طموح سياسى ، وقال ان اليهودى يهودى دينا لا جنسية ، ويجب عليه أن يكون مواطنا فى البلد الذى يقيم فيه ، ونقل الوعود الالهية الواردة فى التوراة لابراهيم ونسله من بعده، بخيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب اسرائيل ، الى وعود بخـيرات روحية للنفس الصالحة ، وبسيادة الشريعة على العالم ، وحتى التئام شمل اليهود فى بلد واحد بعد توبتهم ، يؤوله بمعنى اجتماع الفضائل فى النفس وتناسقها بعدما تحدثه الرذيلة من تشتت . والمسيح عنده بمثابة الملك الفيلسوف عند الافلاطونيين والرواقيين ، يفرض سلطانه بصفاته الخلقية ليس غير .

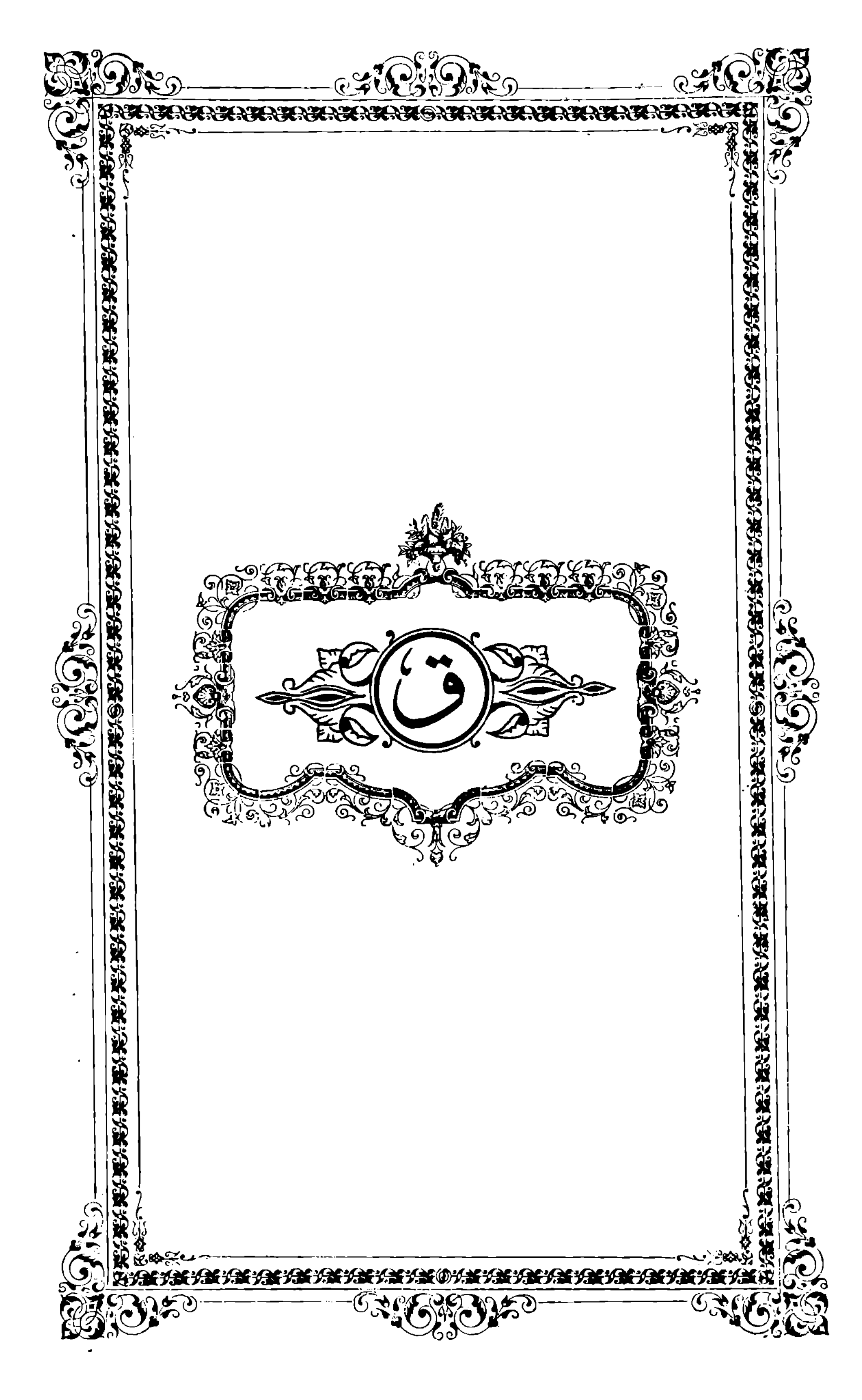
وتصور فيلون للوجود مزيج من العقيـدة اليهـودية والفلسـفة اليونانية ، فالله مفارق للعالم ، خالق له معنى به ، لا يدركه العقل ، وكل ما ورد فى التوراة من تشبيه يجب تأويله بحسب هذا الاعتبار ، فالله ليس اله اسرائيل فحسب ، وانما هو الموجود حقـا ، والعلة الاولى ، وابو العالم ونفسه وروحه ، وليس معنى انه اله ابراهيم واسحق ويعقوب انه اله هؤلاء الثلاثة وحدهم ، وانما هو اله العالم كله ، وتأويل ابراهيم انه العلم ، واسحق انه الطبيعة ، ويعقوب انه الزهد ، والاسـماء الثلاثة هى المصادر الثلاثة لمعرفة الله . ويسمى فيلون الله على منـوال ابراهيم عليه السـلام ، فهو شمس الشمس ، او علة الشمس ، او الشمس المعقولة للشمس المحسوسة ، اخذا عن افلاطون ، ويتـابع

افلاطون فى قوله ان الله صنع العالم لمحض خيريته ، ويجاوز جميع فلاسفة اليونان فيقول لو اراد الله ان يدين الناس بلا رحمة لقضى عليهم بالهلاك ، لان احدا منهم لا يستطيع بنفسه ان يقوم بدوره كاملا فى هذا السباق دون ان يسقط ولا عن غير قصد ، ولذا يجمع الله الرحمة الى العدالة لكى يخلص الناس ، وهو لا يرحم بعد الادانة ، ولكنه يدين بعد الرحمة ، لان الرحمة عنده سابقة على العدالة .

وعلية الله عند فيلون نوعان ، مطلقة ونسبية ، فأما المطلقة فهو انه الخالق من العدم ، حيث ان الارواح خلو من المادة ، ولدها الله كما يلد العقل افكاره ، واما النسبية فهو انه الصانع الذى خلق الاشياء ولم تكن من قبل . فالعالم المحسوس نتيجة تنظيم الله لمادة سابقة ، او نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة كما يقول افلاطون ، ويعلل ذلك بأن الخلق صادر عن قدرة الله وخيريته ، فلا يخلق الله من الموجودات الا ما كان كفيلا بقبول هذه الخيرية ، وهو قد خلق الانسان فتكفل بجزئه النطقى ، ووكل الى وسطائه صنع الجزء الفانى منه ، وعلى ذلك جاء الانسان مزيجا من الخير والشر ، والله منزه من الشر ، ومبدا الشر موجود فى غيره . وليس الشر الا الشر الخلقى ، ولذلك فبقية المخلوقات من صنع الله لذا لا تعرف هذا الشر .

ومن الناحية الروحية علية الله مباشرة وغير مباشرة ، ولا بد من الوسطاء ايضا بين الله العلى والانسان العاجز ، حيث ان النفس ليس بوسعها بلوغ المرتبة الالهية كما تهوى ودفعة واحدة ، ولكن لا بد لها من التدرج فى الصعود ، ولذا قال الفلاسفة بالوسطاء وسموهم آلهة وابطالا ، ولكن موسى سماهم ملائكة ، بمعنى انهم رسل يبلغون اوامر الله الى الابناء ، ويحملون صلوات الابناء الى الله ، ويتقدمهم اللوغوس ، او الكلمة ، وهو آدم الاول ، اى مثال الانسان او الانسان الاعلى ، ابن الله البكر ، علمه الله كل الاسماء ، ولكنه لما هبط الى الارض اصابه النسيان ، فتنازعه نفسه الى المعرفة ، والمعرفة درجات ، ابسطها النظر الى مصنوعات الله ، واوسطها ترقى سلم الوسطاء ، واعلاها ادراك كلمة الله ، واكملها ادراك الله ذاته . ولابد للصعود من التطهر من المحسوسات بالزهد ، ويبدا الصعود بالشك فى العلم الحسى ، واذ يشعر الانسان بعجزه لا يعود له سوى الله والاتجاه اليه .

* * *


ق



قابـــــلان Kaplan

(١٨٨١) مردخاى مناحم قابلان ، لتوانى الاصل أمريكى الجنسية من دعاة التجديد فى اليهودية ، وصاحب هذا الاتجاه فى أمريكا ، وفلسفته صهيونية علمانية براجمانية ، واليهودية عنده حضارة لان لها تاريخا وشعبا ولغة ودنيا وتنظيما اجتماعيا ومثلا عليا روحية واجتماعية ومستويات فى السلوك ، وهى علمانية لانه لا يؤمن باله مفارق يسمو على المادة والتاريخ ، وينكر قابلان فكرة الوحى ، والدين عنده نتاج اجتماعى يرتبط بتقدم المعرفة ، والمعنى الذى يضفيه على الحضارة اليهودية لذلك معنى براجماتى اكثر منه ميتافيزيقى ، وهو يقول مع اميل دوركايم الفيلسوف الفرنسى اليهودى ان كل ما يصبح موضع اهتمام جماعى يكتسب سمات الدين ، وينزل من الجماعة منزلة المقدسات ، ومهمة الدين تطبيع الافراد بقيم الجماعة بحيث تتماثل مع هذه الجماعة ، والحضارة اليهودية لذلك دينية ، اى مقدسة ، لان الدين أوضح ما فيها، وهو تعبير حضارى عن روح الشعب ، والشعب اليهودى لذلك شعب مقدس ، ومحور الحضارة اليهودية الدينية هو هذا الشعب ، وحينما يتواجد هذا الشعب تتواجد حضارته ، فالحضارة والشعب مرتبطان ، ومن ثم فليس صحيحا ان الحضارة اليهودية لا تستمر الا فى دولة ، فبالاضافة الى ان الدولة ضرورية لانها ستكون بمثابة المركز لهذه الحضارة ولكل التجمعات اليهودية فى العالم ، الا ان حضارة اليهود المرتبطة بالشعب هى حضارة عالمية لان الشعب عالمى ، ومن ثم فهى حضارة يمكن أن تروج وتستمر كذلك فى الشتات ، ومعيار الايمان فى الحالتين هو مدى التزام اليهودى ببقاء الشعب ، ولان اليهودية حضارة فعناصرها كل عضوى مترابط فى عمله ، الكنيس والمؤسسات التربوية والمنظمات الصهيونية والهيئات الخيرية والدفاعية ، تتواصل جميعها فى تآزر ديموقراطى تحت قيادة نخبة منتخبة ، والكنيس هو قلب هذا الكيان الاجتماعى ، وفيه ينبغى أن يجد الفرد التعبير عن اوجه نشاطه اليهودى المختلفة .

* * *

القبــــاله Kabbalah

فلسفة القبول ، ومذهب القائلين أن الايمان هو قبول التراث ، والتوفر على أداء الشعائر تعبير عن هذا القبول أو التسليم وامل أن

يحظى اداؤها بالقبول لدى الله . ومن ثم فالقبـاليون او القبوليون أو القبليون هم السلفيون . وهم نقيض الحرفيين والعقليين ، لانهم يذهبون الى ان للنصوص روحا هى التأويلات التى يستخرجها الواصـلون ، وتأويلاتهم تشكل مذهبا هو نقيض المذهب العقلى ، وخاصة فى صـورته عند الميمونى.

والقباله بحكم نشأتها وتاريخها وفلسـفتها مذهب باطنى ، وهى غنوص يهودى لا شك . وطريقة يهودية فى التصوف ، وذلك لانها تقـوم اولا على المنهج الباطنى . وغايتها معرفة الله . والعلم بها والاخذ بتعاليمها يؤدى الى خلاص الفرد والجماعة .

والقباله ايضا هى المعرفة اللدنية التى تنتقل بالوحى بين العارفين، ولذلك حاول مؤرخوها ان يرجعوا نشأتها الحقيقية الى ابعد من الظروف التى انتجت ايا من الباطنية أو الغنوص او التصوف ، وقالوا ان غايات القباله تجاوزت هذه الفلسفات جميعها ، وفلسفتها اسـتغرقت كل نصوص المذاهب الباطنية اليهودية ، بالاضافة الى الكتـابات التلمودية المدراشية والنظريات اللاهوتية .

وقالوا ان القباله رغم انها تبدو كمذهب باطنى مغلق على العارفين وحدهم . الا انها لم تقصر بحوثها على مسائل معينة ، بل انضمت الى الفلسفة وقدمت مثلها تفسيرا شموليا للكون والخلق ، ولكنه تفسـير يصطبغ بالصبغة الدينية وموضوعه دائما التوراة والتراث الشـفوى للهالاخاه والهاجاداه وكانت تأويلاتهم صياغات جـديدة دائما كمـا فى الكتابات الزهارية . ولهم فيها لغة رمزية شديدة التعقيد ، وللحـروف عندهم منطق باطنى . وحروف اللغة العبرية بالذات ، والحروف الاربعة المكونة لاسم يهوه . ولكل حرف ونقطة وشرطة قيمة عـددية ، وقـد تستخلص معانى العبارات بقراءتها عكسا لا طردا ، او بتجميع الحروف الاولى لكلماتها . وللشعائر والممارسات والنواهى فى القباله تفسـيرات تقربها من العامة وتفلسفها ، وتصل دائما بين العامة والفلسفة ، وهى غاية لم يستطعها الفلاسفة . وهذا هو سبب انتشار القباله رغم صعوبة الموضوعات التى تعالجها وقربها من ميدان الفلسفة اكثر من مجال الدين، ولكن القبالى بشكل عام يعيش ويفكر فى التراث ، ويستخدم طرق الاحبار الموروثة لاستكشاف وتعميق مفاهيم هذا التراث ، بل ويفعـل اكثر من ذلك يقينا ، لانه يعيد النظر فى العقيدة ويطيل التأمل فيها ويحـددها

بطريقته ، ويفلسف التعارض بين اختيار الله لشعبه وبين واقع النفى الذى يعيشه هذا الشعب ، فاذا كان الله قد قضى على اسرائيل بالغربة كعقاب على العصيان ، فانه حاضر معهم اينما كانوا ويتبعهم فى المنفى ويتألم معهم ، فكأن الله منفى مع الشعب ، وبعودة اسرائيل الى ارض الميعاد او المعاد يعود الله الى بيته ، وبعودته يتجلى بغبطته على كل الوجود ، ومن ثم فخلاص البشرية والوجود بأسره معلق بمصير شعب الله .

وللقباليين على المستوى الادنى طقوس تمتد بجذورها الى الممارسات الاسطورية وتتصل بالسحر واستخداماته وبعلم التنجيم والسيمياء والفراسة وقراءة الطالع والكف وعمل الاحجبة والرقى وتحضير الارواح ، ولهم مخاطبات على المستوى الارفع يحادثون بها العقول ويشكل ذلك ما يسمى بالقباله العملية ، وعن طريقها يكون الاتصال بين النخبة الباطنية وعامة الشعب وخاصته على السواء .

اما القباله النظرية فتقوم على التراث اليهودى ولكنها تشكل غنوصا تختلط فيه الفلسفة الدينية اليهودية بالفلسفة الدينية العربية بسبب اتصال الفكر القبالى بالفكر العربى فى العصور الوسطى التى قامت فيها القباله ونشأت ، وتكون بفعل هذا الاختلاط ما يسمى باللاهوت الصوفى اليهودى او مايطلق عليه اسم القباله الكلاسيكية ، وفيها يمتزج علم الكلام اليهودى بالفلسفة الافلوطينية وفلسفة المشائيين العرب . ولعل ابرز العرب تأثيرا فيها ابن سينا والفارابى ، ولعل ابرز الكتب تأثيرا هو القرآن نفسه ورسائل اخوان الصفا ، وتنهض فلسفتها على فكرة الفيض الالهى ، فالعالم كله من فيوض الله ، ومراتب التجليات فيها عشر اعلاها مرتبة اعلى عليين ، وادناها الحضور او « الشخيناه » اى حضور الرب مع الشعب المختار اينما كان ، وبذلك يكون وجود اليهود أساسيا لاتزان الكون ، بل ان رحمة الله لا تفيض الا بسبب وجود اليهود مع الغير على الارض . ويسرى هذا الاعتقاد القبالى فى معظم قيادات اليهود المسيحانية اى التى تؤمن بظهور المهدى المنتظر او بزوغ عصره الميمون ، وخاصة فى أزمنة الاضطهاد ، وتصدر عن روح التحدى والرغبة فى الهرب من الواقع بالعودة الى ارض الميعاد او المعاد . وكان ذيوع القباله لهذا السبب بين يهود أوروبا بوجه خاص فى القرن السادس عشر ، ثم بين يهود اوروبا الشرقية فى القرن الثامن عشر .

ومن كتبهم « سفر ياتسيرا » بمعنى كتاب الخلق و « الباهر » « الزاهر » ، وكلها وضعت بين القرنين السابع والثالث عشر على اقصى تقدير ولو ان بعض مؤرخيهم يحاول أن ينسب هذه الكتب الى الفترة قبل الاسلام ليدلل على اصالتها وان واضعيها لم يتأثروا فى قليل او كثير بالفلسفة او الغنوص الاسلاميين ، غير ان الشواهد تدل على عكس ذلك، فهناك تراكيب عربية ثابتة وتشابه واضح فى الطريقة .

ويعتمد كتاب الخلق على تصوير خلق العالم بتأثير نركبات من حروف اللغة العبرية وعددها ٢٢ حرفا ،بالاضافة الى الاعداد العشرة الاولى التى توصف بأنها العناصر الاساسية لكل حساب . وقد جاء فى الاثر ان اريستوبولس اليهودى (النصف الاول من القرن الثانى قبل الميلاد) قد اعتبر ما جاء فى التوراة من تكرار للاعداد كالعدد سبعة (السموات سبع ، وايام الخلق سبعة ، وقوى الانسان سبع هى الحواس الخمس والنطق والعقل) هو اصل نظرية الاعداد عند الفيثاغوريين ، فلما كان عصر المبعث نحا حيى بن اخطب من يهود يثرب الى تأويل فواتح سور القرآن تأويلا حسابيا واستنباط مدة بقاء الامة الاسلامية بمقدار السنين التى يعطيها الحساب الابجدى لحروف مثل « الم » (سورة البقرة) و « المص » (الاعراف) ، ومن ذلك التأويل اليهودى المبكر دخل القول بالحساب العددى للحروف فى قصص التفسير مع غيره من الاسرائيليات ، وقد انكره ائمة المحققين ، ومع ذلك فان فلسفة الحرف التى يطرحها سفر ياتسيرا هذا او كتاب الخلق قد ازكاها اشتمال القرآن على الفواتح الحرفية ، لان القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذى نعثر فيه على مثل هذه الفلسفة ، وبدونها لا تكون ثمة معان لهذه البدايات ، وقد قيل فى تفسيرها انها اسماء القرآن ، وقيل هى اسماء الله العظمى ، وقيل هى حروف استفتحت من حروف هجاء اسماء الله تعالى ليس منها حرف الا وهو مفتاح اسم من اسمائه ، وليس منها حرف الا وهو من آلائه وبلائه . اما تفسيرها العددى فقد انكره ابن عباس واثبت الزجر عنه ، وقد ذكر ابن اسحق فى سيرته النبوية ان ابن اخطب قد حسب الالف بسنة ، واللام بثلاثين ، والميم بأربعين ، والصاد بتسعين ، والراء بمائتين ، وهذا المنهج هو الذى اخذ به مؤلف سفر ياتسيرا نفسه ، الامر الذى يجعلنا نشك ان هذه الفلسفة اسبق من السفر ، ويبدو انها سمة للتفكير اليهودى او التفكير السامى بالاحرى، وقيل ان يهود أهل الباطن لم يدونوها فى كتبهم الا بعد أن قراوها فى كتب التفسير الاسلامية منقولة عن اليهود ، واخصهم سعدى

الفيـــومى واسحق بن لطيف وابراهيم بن موسى بن ميمون وباهى باقوده وسليمان بن جبريل وغيرهم كثيرون .

ولقد برع ابو هارون البغدادى فى فلسفة الحرف والعدد هذه ونقلها من العراق الى ايطاليا فى القرن التاسع ، وعلى تعاليم البغدادى راجت فلسفة القباله فى المـــانيا من خلال تلميذه موسى كالونيموس فى شكل فرقة الاتقياء او المتقين المسماة عندهم بالحصيدية ، وشيخ الحصيديين عندهم اسمه الصديق ، والصديقية عند المسلمين مرتبة تأتى بعـــد مرتبة النبى وينسب اليها ابو بكر الصديق ولا تعرفها كتب اليهود قبل ظهور الحصيدية فى اوروبا فى القرون التالية ، وهى تذكر فى كتب المتصوفة الاســـلاميين ، ومنهم انتقلت الى اصحاب هذه الطريقة اليهودية من خلال متصوفةاليهود. وكانت اليهودية قبل ان تأخذ شكلها الاخير عند مارتن بوبر منهجا اخلاقيا، تماما كما كان التصوف الاسلامى طريقة أهل السلوك .

وعندما انتقلت الحصيدية الى فرنسا تبنوها فى شكلها الذى صاغها به ابراهيم بن جيا فى كتابه « مجلة المجلى » وهو اســـــلامى المضمون والشكل ، وفى فرنسا ايضا ظهر كتاب « الزهار » المؤلف الثالث لفـــرقة القباله ، واما كتابهم الثانى بعد سفر ياتسيرا فهو « الباهر » ، وهو ايضا فى الفيض الالهى ، وفلسفته هى نفسها فلسفة الباطنية الاوائل من اليهود، وهى المسماة عندهم بفلسفة المركبة ، وهى عند المسلمين الرفرف الاعلى، ولا ذكر للمركبة فى كتبهم قبل ذلك ، وكما أن « سفر الخلق » نعرف منـــه ان اليهود من الآخذين به يدينون بعقيدة الكثرة او تثنية مبدا الخالق ، وهو نوع من الغنوص ، كذلك نعرف من « الباهر » انهم من المؤمنين بتنـــاسخ الارواح وهو غنوص لا شك فيه .

ولقد حاولوا ان يروجوا للقول بأن « ســـفر الخلق » هو صحائف ابراهيم التى ورد ذكرها فى القرآن ، فيضفوا بذلك على الكتاب قداســـة كقداسة التوراة ، وكذلك حاولوا ان يدللوا عـــلى ان « الزهار » كتبــه سيمون بن يوحان الذى عاش بعد ثورة بركوخبا ، ولكن قيـــل بما لا يدع مجالا للشك ان مكتشف الكتاب فى القرن الثالث عشر موسى بن شمطوب هو نفسه مؤلفه، وهو المعروف بموسى الليونى ، نسبة الى ليون بفرنسا، والكتاب يوضح بكل جلاء تأثير القباله الاندلسية التى نمت فى دائرة الثقافة الاسلامية ، ومؤلفه كما يقول يحاول به أن يثبت للتوراة معـــان خاصـــة لا يتيسر استخلاصها الا لاهل الحق ، وهو يصف الحق واخبـــاراته عن

نفسه ، واسرار الإسماء الالهية ، والخير والشر . والانســـان وماهية الروح ، والخلاص بالماسيح والتوراة ، ومعرفة السلوك بطريق التجلى والتنزيلات الحكمية ، وعلوم الاوامر والنواهى .

ولا شك ان التأثير الاسلامى لم يكن الوحيد فى تشكيل القباله ، فقد كانت هناك دائما تأثيرات ايرانية وهندية ومسيحية ، وفعلت هذهالفلسفات فعلها فى التصوف الاسلامى وعلوم الباطن اليهودية على السواء ، ولكن غالبية التأثير جاء من الاسلاميين ، فالله فى « الزهار » هو الازل المطلق ، وابده عين ازله وازله عين ابده ، وهى مصطلحات اسـلامية خالصة ، وكذلك قسم الاسلاميون الزمان ادوارا ، والدور الكبير عندهم من نزول آدم الى رجوع الياس القائم . والدور الصغير هو الذى بين النبى والنبى، والانبياء هم النطقاء ، وأول النطقاء هو آدم . وقالت الشيعة ان نوحا اول من بنى الشرائع لانه كما تقول التوراة غرس الخمر التى منها مخـــامرة العقول ومدهشة الاذهان ، وابراهيم هو الذى وضع مراتب الحدود بعده فأضاف الى اسحق الذى قلده الامامة ، وليس للامام الا حفظ الظـاهر واقامة اللواحق ، واضاف الى اسماعيل الذى قلده الاساسية لامةعظيمة. وقد أخذت فرقة الحصيدية نظرية الامامة من الشيعة الامامية ، والامام عند هذه الفرقة هو الصديق وهو ايضا الولى .

ويجمع مؤرخو الفلسفة اليهودية على ان نظرية الادوار لم تدخـــل اليهودية الا فى القرن الثالث عشر من خلال القباليين ، وقد ذكر هؤلاء ان موسى بن عمران هو صاحب الدور الرابع والناطق للدعوة ، وشريعتـــه تنسخ كل الشرائع .

ومن المؤرخين من ينسب نظرية المهدى المنتظر عند المســـلمين الى نظرية الماسيح عند اليهود ، ومنهم من يقول بل نظرية الشيعة هى الاصل، وقد وجد اليهود لها سندا فى توراتهم عند دانيال واشعيا وصمويل فى شكل عبارات تنبؤية ، لكنها لا ترقى ان تكون نظرية ، ولمـــا اقاموها نظرية فان بناءها يتضاءل الى جانب بناء نظرية المهدى المنتظر عند المسلمين ، وهى عند الشيعة اكمل واتم ، والشيعة يقولون ان القائم هو المهدى المنتظر ، وان الامة التى تخرج من صلب اسماعيل هى امة العـــرب ، والاساسية معناها الكشف عن الحقائق ، واذا كان بيت اسحق قد اوكل به الشريعة الظاهرة ، فان بيت اسماعيل موكول به بسط الحقائق والكشف عنهـــا ، وأبوهما ابراهيم أبو الانبياء هو صاحب الاركان لانه اول من اقام بيتا لله

وجعله أربعة أركان مثلا ودليلا على من يأتى بعده من النطقاء ، فركنان منهما دليل على موسى وعيسى وهما ناطقان من بيت اسحق ، وركنان دليل على محمد والقائم المنتظر وهما من ولد اسماعيل .

وقد حدث ان نظرية القائم المنتظر عند المسلمين أوجدت جماعة من المدلسين ادعوا انهم المقصودون بهذه التسمية ، كما عند الدروز والبهائيين واصحاب الباب ، والحركة المهدية فى السودان . وحدث كذلك أن ادعى كثير من اليهود انهم المسيح الموعود كما عند شبتاى تسفى وداود فرينك واسحق لوريا ، بل ان دعوة عيسى بن مريم عليه السلام هى من هذا القبيل ، واسمه عند اتباعه المسيح وهو يهودى كما نعلم .

والجدير بالذكر أن نبوءات العهد القديم يبنى عليها القباليون نظرية المسيح كنظرية لشعب منفى ، فى حين أن المهدى عند المسلمين من شروط الساعة الكبرى . وهو ليس بطلا قوميا كما عند اليهود ولكنه صاحب المقام المحمدى ذو الاعتدال فى اوج الكمال ، ودولته عند المسلمين اربعون عاما هى عدد مراتب الوجود ، ولكنها عند اليهود الف عام ولا سبب عندهم لهذا العدد بالذات .

ولنلاحظ أن القباله لم تتجه الى التنبؤ وانتظار المسيح وتطوير نظريته الا بعد طرد اليهود من اسبانيا سنة ١٤٩٢ ، وقبل ذلك كانت هناك عشرات من الكتب الاسلامية تسهب فى اخبار المهدى المنتظر واشراط الساعة .

وقد اتجهت القبالة بعد الاندلس الى فلسطين تحسبا لنزول المسيح واتخذت الحركة مكانا لها فى أرض الميعاد صفد ابتداء من سنة ١٥٣٠ ، وفى صفد لمع من القباليين موسى بن يعقوب القرطبى ولوريا الاشكنازى ، ولا يضارع تأثير الاخير فى القباله الا تأثير كتاب « الزهار » نفسه ، ويعتبر لوريا عودة الى الغنوص ، ولكنه قال بنظرية تختلف لاول مرة عن نظرية الفيض ، مؤداها ان الخلق كان نتيجة تمدد وانكماش للقوى الالهية يسميه الزمزمة . وجمعت قبالة لوريا بين النظرية والتطبيق فكانت فلسفة وطريقة فى السلوك بالتركيز على الصلاة والشعائر كمنهج باطنى للوصول الى الله ، وكعودة الى ممارسة السحر بتأثير الكلمة .

ويبرر « الزهار » الشر فى الكون بنظرية يقبسها من القرآن حيث يطلق القرآن على الاشرار اسم اصحاب الشمال (سورة الواقعة) ،

ومبدأ الشر فى هذا الكتاب هو هذا الشمال ، وله فيوض كفيوض مبــدأ الخير الذى هو اليمين ، واليمين والشـــــمال هما ذراعا الله ، ويطلق الفلاسفة على هذه النظرية عند القباليين اسم نظرية اهل الشمال . وأما الخلق فله نظرية يقبسونها كذلك من القرآن هى نظرية الثقلين (سورة الرحمن) او مبدا الخلق من ذكر وانثى . وهكذا ذهب القباليون الىتقديم اجابات عن الاسئلة الكثيرة التى كانت تثار حول مسائل الشر والتوحيد وماهية الله والعدم والخلق ، والتى بسبب خلو اليهودية منها كان يظن دائما ان اليهودية دين ناقص ، وان العقائد اللاحقـــة جاءت لتكمله أو لتصححه ، ومن ثم فهى تنسخه ، وعالجت القباله هذه المسائل كلهــا بطريقة لا تخفى اصولها المركبة على التحليل النقدى .

* * *

القـــــراعون Karaites

من المقرا وهى التوراة سميت كذلك لانها كتاب الله المقروء فى مقابل الكون كتابه المنظور . والقراعون مفردها قراء وهو الداعية الدينى ، لانهم حملة دعوة ان التوراة دون التلمود هى المصدر الوحيد للشريعة ، وهم احدى اكبر الفرق التى تفرق اليها اليهود ، وتقابلهم فرقة الربانية وهم الاحبــار .

وقيل ان ظهور القراءين واكب ظهور المسيح ، وانهم المنشـــقون الاوائل الذين تحدثت عنهم لفائف المخطوطات التى عثر عليها فى كهوف البحر الميت ، والذين قيل انهم آمنوا بالمسيح مخالفين ســائر اليهود ، باعتباره وليا من اولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة ، وليس باعتباره نبيا مرسلا صاحب شريعة ناسخة لشريعة موسى عليه السلام، واما الانجيل فهو احواله كما عايشها الحواريون . وتنكر الربانية العلاقة بين هذه الجماعات المنشقة الاولى والقراءين ، والا فأين كانوا طـــوال خمسمائة سنة من تاريخ نهاية هذه الجماعات الى تاريخ ظهور القراءين المتمثل فى فرقهم الاولى العيسوية والمغارية واليوذعانية والموشكانية .

ويقول الربانيون ان ظهور القراءين كان بتأثير تعــــاليم القرآن والمتكلمين المسلمين ، وان القراءين هم معتزلة اليهـــود ، وجلهم من الظاهريين ، واخذوا عن المسلمين القياس والاجماع ، ويقولونبالاجتهاد، ورفضوا مثلهم التشبيه ، وموسيقاهم ومعظم مؤلفاتهم عربية ، وينسبون

الى اثنين هما عنان بن داود صاحب العنـــانية ، وبنامين بن موسى النهاوندى الذى قيل انه أول من تسمى القراءون باسمهم فى عهــده ، والاول يؤكد على الاجتهاد ، والثانى فيلسوف الجماعة الذى اســتعان بفلسفة اليونان لينفى التشبيه عن اليهود ، وفسر قول الله تعالى فى سفر التكوين « لنصنع الانسان على صورتنا ومثالنا » بأن صيغة الجمع كانت لان الله تعالى يتحدث باسمه وباسم الملاك المنوط به امر الخلق وهــو اللوغوس أو العقل الفعال .

ومن شيوخهم البارزين هارون بن اليسع صاحب كتاب « جنــة عدن » ، ويسمونه ميمونى القراءين ، وكتابه صورة من فلسفة الاعتزال فى النصف الاول من القرن الرابع عشر .

* * *

القـــــرظى Al - Kurzi

محمد بن كعب القرظى ، من بنى قريظة ، اسلم ابوه فى عهد الرسـول ويعد من الصحابة ولكن لا تعرف له رواية ، وأما محمد فقد عرف بروايته عن احداث يهود مع النبى وعن بعض اخبار بنى اسرائيل ، وله روايات فى حديث الرسول عن بعض الصحابة، ويعد من التابعين ، وقيل انه ولد فى حياة الرسول وتوفى ما بين سنة ثمان ومئة وسنة عشرين ومئة ، وعده علماء الحديث فى طبقة الثقاة الورعين .

ومن أحسن ما استدل به القرظى من قصة الذبيح على أنه اسماعيل وليس اسحاق قول القرظى « فبشرناه باســحاق ومن وراء اســحاق يعقوب » قال فكيف تقع البشارة باسحاق وانه سيولد له يعقــوب ، ثم يؤمر بذبح اسحاق وهو صغير قبل ان يولد له . هذا لا يكون لانه يناقض البشارة المتقدمة » .

* * *

القرقشـــــانى Kirkisani

أبو يوسف يعقوب بن اسحق القرقشانى ، عراقى ، وكانت العراق موطن القراءين ، والقرقشانى على مذهب عنان والنهاوندى ، وكتــابه « الانوار والمراقب » فى معظمه تاريخ للفرق اليهــودية والرد عــلى دعاواها .

والقرقشانى من دائرة الثقافة الاسلامية ، وكان من حفاظ القرآن، ومع ذلك كتب « فىالتوحيد » فأبان ، ولكنه ينقل عن المعتزلة،واقتباساته كثيرة من القرآن ، ومع ذلك فقد كتب ايضا « كتاب فى افساد نبوة محمد » ، أدلته فيه متهافتة .

***

قـريشقش Crescas

(نحو ١٣٤٠ ــ ١٤١٠) حسداى قريشقش ، اسبانى ، يأتى فى المرتبة الثانية بعد الميمونى ، وفلسفته يعارض بها فلسفة ارسطو كما طرحها الميمونى فى كتابه « دلالة الحائرين » . وكان الخارجون على الدين اليهودى يستخدمون هذه الفلسفة لتبرير الحادهم أو انكارهم للتراث .

وقد الف قريشقش كتابه « نور الله » بروح التراث اليهودى ينقض به كتاب الميمونى وكل ما يتصل او من يتصل بفلسفة ارسطو . وتعرض للفارابى وابن سينا والغزالى وابن باجة . وكان شديد النقد لابن رشد. اما الميمونى فرغم نقده له الا انه لا يقلل من شأنه كيهودى ، وانما ينبه الى أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وحيث يتنكب الميمونىالتراث ويتبع افكارا من غير الملة واهلها فهو مرفوض . ويتوجه بنقضه للبناء الارسطى لفكرة عدم امكان اللانهائى التى يقوم عليها برهان أرسطو المسمى ببرهان المحرك الاول . وعند قريشقش أن الحقيقة الجسمية يمكن أن يكون لها حد نهائى خارج عنها وهو المسمى بالمكان الخالى ، ومن ثم يعرف المكان بأنه المتضمن اللانهائى للاشياء ، وهو صورة وجود الكلى الالهى . وكما تكون اللانهائية فى المكان فهى الزمان أيضا والعدد . ويتميز اللانهائى بأنه غير مكتمل ، ولا يمكن الوصول اليه عن طريق الزيادة المطلقة ، ومن ثم فالتسلسلات اللانهائية ممكنة على غير ما يقول ارسطو. والسلسلة العلية واحدة منها ، وبذلك يبطل برهان المحرك الاول لارسطو ، ولكن يبقى الدليل الوحيد على وجود الله المأخوذ من امكانية حدوث الاشياء ، فطالما ان الاشياء ممكنة الحدوث فان ذلك يقتضى وجود موجد لها بالضرورة تتحقق به هذه الامكانية . والعالم حتى مع افتراض قدمه ، اى افتراض انه بدون بداية زمنية ، فان ذلك يعنى انه نشأ من العدم يعنى أن العالم ينشأ من الله .

ويقر قريشقش على عكس الميمونى بصفات موجبة لله ، فعبارة

الله عالم نعنى عند الميمونى ان الله ليس بجاهل . ولكن الجهل عند قريشقش ضد العلم . ونفى الاول هو اثبات للآخر .

وكان ابن ميمون يقول ان الذات الالهية فكر . وسعادتها ان تعرف. وعند قريشقش هى الفعل بمعنى الخلق . والاشياء تصدر من الله بمقتضى كماله ويحقق فيها اعظم الكمال الممكن لانه ليس من حد عنده تعالى . وسعادته فى هذا الفعل . وبه يحفظ استمرار العالم . وهو الخير الذى يفيض من ذاته . وهو حب الله لمخلوقاته .

وعند ارسطو الفعل يستمد قيمته من نتائجه الاجتماعية اى الخير العام . ولكن السعادة المتحصلة شىء لا يتحقق الا باكتمال العقل للانسان اى بالمعرفة . وما يبقى من الانسان بعد الموت هو العقل المكتسب . اما السعادة عند قريشقش فهى تختص بالشعور وليس بالعقل . ومن ثم فلا يمكن ان يكون العقل هو غاية الانسان . ولا يمكن أن يكون خير الانسان فى المعرفة التى تتوقف عن النمو بالموت . ولقد سبق أن قال قريشقش ان الخير هو الحب . حب الله لمخلوقاته وحب المخلوقات لله . وهذا الحب فعل وليس نتاجا للمعرفة . ومن ثم فالسعادة المتحصلة منه لا يختص بها الفلاسفة وحدهم . والوصول اليها ليس بواسطة تحصيل الحكمة . ولكن بلوغها يكون بالامتثال لوصايا الله . لانها كلماته تعالى التى اراد بها خير الانسان . وأسمى امتثال لوصاياه يكون فى النبوة . وهى اعلى درجات القرب من الله والاتحاد به . ومعنى انها وصايا ان الله قد جعل فعلها اختياريا . ومن ثم تكون مسئولية الانسان عن اختياراته . والاختيار والمسئولية والجزاء مقدورات على الانسان . والجبر عند قريشقش يختلف من ثم عنه عند الميمونى . فهو لا يسلب الانسان ثمار عمله . ولا نفقد فيه تعاليم الدين مغزاها .

***

القنائية Zealots

بالعبرية Qann'im من قنا Qanna الارامية والعربية بمعنى اشتد غضبه . فهم الغاضبون أو القنائيون اصحاب فلسفة العنف . وهم اصل الصهيونية . قيل هم فريسيون أى متدينون . متطرفون . رفضوا الهيلينية وهى أولى محاولات التنوير اليهودية . ودعوا الى السلفية بقصة تأكيد الذات اليهودية . وقد تزعمهم فكريا المدعو صادق . كان من مدرسة شماى المتطرفة . وقالوا ان الله لا يعود الى شعبه الا اذا خلصت الارض للشعب (*)

وغالت منهم جماعة أطلقوا عليهم اسم الســقارة Sicarii ، من
ستر الارامية والعربية بمعنى قاد على المحارم ، وتقول كذلك ســقرت
الحرب اذا اشتد وطيسها ، والسقارة هم الذين يحملون بشدة عــلى
المحارم ، كانوا يغيرون ويسلبون وينهبون ، وقيل انهم احتموا بمشادة
Massada من شد الارامية والعربية بمعنى عدا وغلب .

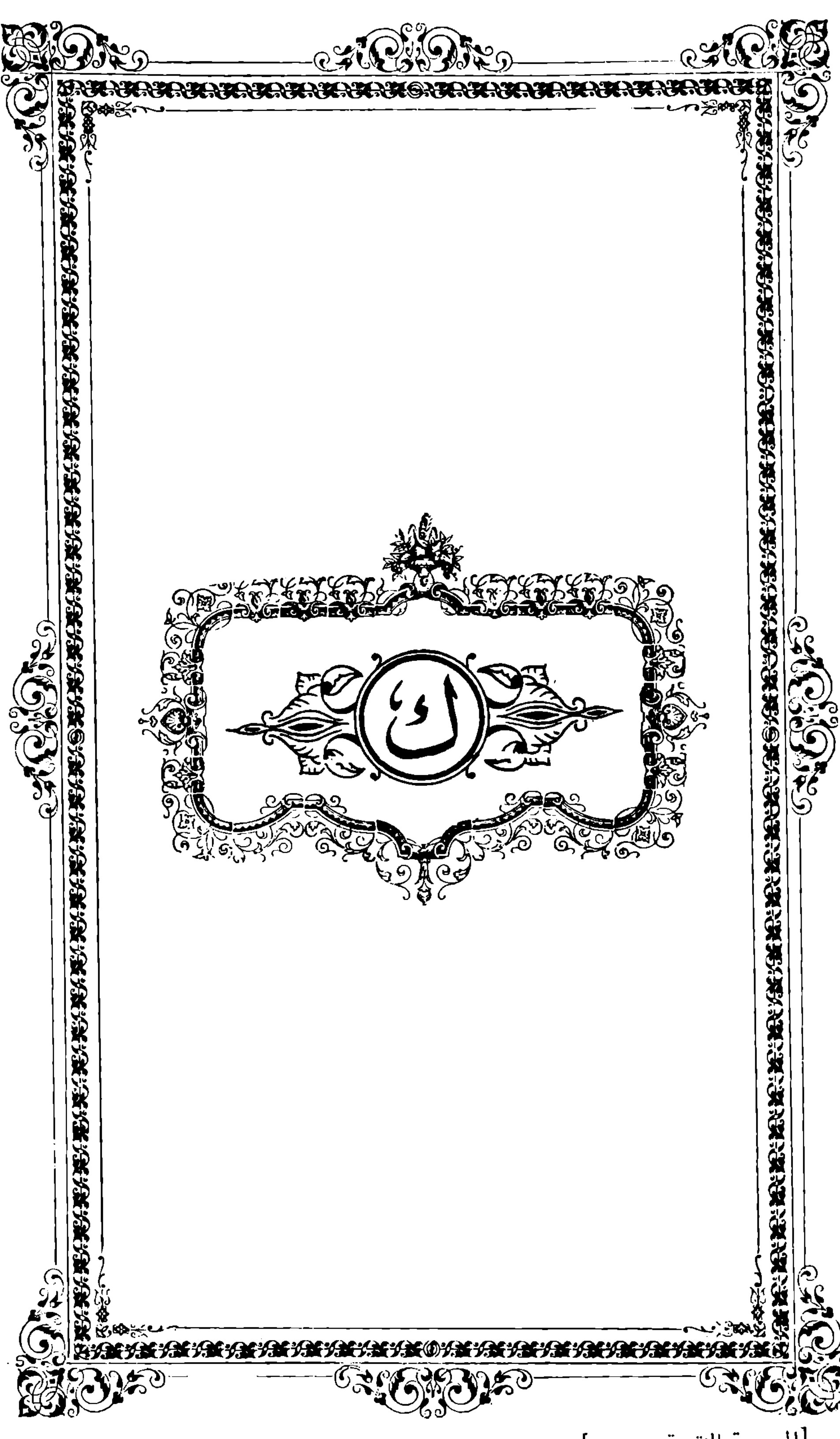
والمشادة فى الاصطلاح هى المكان يحتمون بلته ، فقيل هى قلعة ،
وكان القنائية هؤلاء أو الغاضبون قد استولوا عليها عنوة وذبحوا حاميتها
الرومانية ، فلما شد الرومان عليهم انتحر القنائية جميعهم ، الواحد منهم
يقتل الآخر والاخير يقتل نفسه ، حتى لا يستسلموا فيذبحــــوا كفعلهم
بالرومان ، وقيل فى تفسير ذلك ان عقدة المشادة تســـيطر على يهود
اسرائيل ، فهم لا يريدون ان يحاصروا فيقتلوا ، ويقسم أفـــراد الجيش
الاسرائيلى اليمين على ان لا تتكرر معهم المشادة ، يريدون بذلك ربط
التاريخ الحديث بالتاريخ القديم فيتصل المــاضى بالحاضر ، ويضـــخموا
الذات اليهودية بقصد التأثير النفسى .

***

قصـــــبى Caspi

(نحو ١٢٨٠ — ١٣٤٠ م) يوسف قصبى ، ارسطى على طريقــة
ابن رشد ، كغالبية الفلاسفة من يهود جنوب فرنســـــا ، حيث كانت
الرشدية هى الفلسفة التى عقدت لها الرئاسة على سائر المذاهب والفرق
اليهودية ، وعنده ان فلسفة ارسطو وابن رشــــد تساوى فى مكانتها
وتأثيرها الديانة اليهودية ان لم تكن تفوقها ، وقد اعتبره الاحبـــار لذلك
كافـــرا .




ك


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

كروخمال Krochmal

(١٧٨٥ — ١٨٤٠) نحمان كروخمال ، نمساوى شديد التمثل باليمونى ، مؤلفه الوحيد « دليل الحائرين لهذا الزمان » على منوال كتابه « دليل الحائرين » ، قيل فيه انه يبشر بفلسفة فى التاريخ قومية صهيونية، تمتزج فيها الفلسفة المثالية عند كنط وسيلنج وهيجل بالتراث الفلسفى اليهودى ابتداء من فيلون حتى مندلسون ، ويصف ما يكتبه بأنه محاولة لاقامة علم فى اليهودية كعلم الكلام ، ويسمى الله على طريقة هيجل بالروح المطلق ، و صفه بأنه الحقيقة اللامتناهية التى صدرت عنها الحقائق المتناهية ، ويقابل هذا الصدور فعل الخلق فى الدين ، والمقصود بالخلق من العدم ان الله قد خلق العالم من نفسه ، ولا تناقض بين الدين والفلسفة ،فكلاهما معرفة تختلف فى الشكل أو الدرجة ، والاولى معرفة بالروح بالصور والثانية معرفة بها بالافكار .

ويستخدم كروشمال فلسفة فيكو وهيردر فى التاريخ ليبرر قول اليهود بتفوق الروح اليهودية ، وعندهما ان لكل امة مبدأ روحيا هو اساس وجودها وموجه تاريخها ، وتاريخ كل امة يمر بمراحل يفاعة وازدهار وذبول ، وروح الامة تموت باندثارها ؛ فاذا كانت روحا قوية فانها لا تموت ، بل تنتقل الى امة اخرى بالتمثل والاستيعاب . ولقد بادت الامم القديمة الا اسرائيل ، والسبب فى بقائها أن روحها من روح الله ، وترتبط بعلاقة خاصة بالروح المطلق ، وليس معنى استمرارها او خلودها أنها خارج التاريخ ، ولكنها على العكس تعيش التاريخ ، بتجديد حياتها، باستمرارها فى البقاء ، وبتجدد نبواتها .

* * *

الكسائيون Elkeśaites

فرقة قيل كان قيامها فى أواخر القرن الاول واوائل القرن الثانى للميلاد فى وادى الاردن ، وقيل كانت نسبتهم الى مؤسسها ويقال له الكسائى Elkesai ، وقيل بل الكسائى هو الكتاب المنسوب اليه ، وقيل انه كتاب قراه عليه الوحى على فترات متباعدة ، وقيل بل الرجل اسمه القصى او القاصى مشتق من الارامية بمعنى المستتر .

والكسائيون موجدون ، وشريعتهم هى شريعة موسى ، غير أنهم يؤمنون بالآخرة والبعث والحساب والعقاب ، ونبيهم شاهد عليهم

وشفيعهم يوم القيامة ، ولانهم قالوا بالاغتسال فى النهر بقصد التطهر سموا بالمغتسلين ، وقيل انهم ابتدعوا التقية ، وقالوا مثل المسيح كمثل آدم .

* * *

كعب الاحبار Ka'b al - Ahbar

ابو اسحق كعب بن ماتع بن هيسوع الحميرى ، احد المسئولين عن ادخال الاسرائيليات فى التفسير ، أصله من يهود اليمن وأدرك زمن الرسول ولكنه لم يدخل فى الاسلام الا فى ايام ابى بكر او عمر ، وعرف بين المسلمين بكعب الاحبار وبكعب الحبر من باب التعظيم والتقدير لعلمه ، واتاه هذا اللقب من علمه بكتب الانبياء وبأخبار الماضين ، فقد ذكره ابو الدرداء فقال ان عند ابن الحميرى لعلما كثيرا ، وقال عنه معاوية ان كعبا احد العلماء وان علمه كالبحار ، ولكن آخرين طعنوا فيه ليهوديته ولم يثقوا فى ايمانه وسلكوه ضمن جمعية السبئيين التى ترجع اليهم كل الفتن السياسية واكاذيب الرواية فى الصدر الاول ، واستشهد السيد رشيد رضا صاحب تفسير المنار على كذبه بما جاء عنه فى صحيح البخارى على لسان معاوية : كان من أصدق المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب .

ويروى ابن جرير بسند ضعيف انه جاء الى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام وقال له اعهد فانك ميت فى ثلاثة ايام . قال عمر ما يدريك ؟ قال أجده فى كتاب الله عز وجل فى التوراة . قال عمر انك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال اللهم لا ، ولكن اجد صفتك وحليتك وانه قد فنى اجلك .

ويستدل السيد رشيد رضا من هذه القصة على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر ثم وضعها هو فى هذه الصيغة الاسرائيلية ، غير ان الكثيرين يرون فى هذه القصة نموذجا للافتراءات على كعب لانه لو صح انه كان من المتآمرين على عمر لما كشف نفسه ولبالغ فى كتمان المؤامرة والتنصل من تبعتها ، ولكان عمر قد استشار فى أمر ما اعلمه به كعب عبد الله بن سلام وغيره من اليهود الذين اسلموا ، لانه لو كان فى التوراة حقا لما اختص بعلمه كعب وحده ، الامر الذى يجوز ان يكون بعض ما روى عن كعب مما ذكره الطبرى والثعلبى والكسائى قد حمل عليه ، لان فيه ماهو اسرائيلى صحيح وما محض افتعال وخلط .

ويستبعد ابن الجوزى ان يكون معاوية قد قصد تكذيب كعب عندما قال عنه كنا لنبلو عليه الكذب ، فالمعنى ان بعض الذى يخبر به كعب عن اهل الكتاب يكون كذبا ، لا انه يتعمد الكذب ، والا فقد كان كعب من اخيار الاحبار . وانا لنجد بشر بن سعيد يحذر من تخليط الرواة عن كعب وغيره فيقول اتقوا الله وتحفظوا من الحديث ، فوالله لقد رايتنا نجالس ابا هريرة فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الاحبار ثم يقوم فاسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث .

وينسب الثعلبى فى كتابه قصص الانبياء الى كعب ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض ، فوسوس اليه وقال له اتدرى ما على ظهرك يا لوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها ، لو نفضتها أو القيتها عن ظهرك اجمع لكان ذلك أريح لك . قال فهم لوتيا ان يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه. وروى الحافظ بن كثير عن كعب ان معاوية سأله عن صخرة بيت المقدس، فقال الصخرة على نخلة ، والنخلة على نهر من أنهار الجنة ، وتحت النخلة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم ينظمان سموط اهل الجنة حتى تقوم الساعة .

وفى قصة اهل الكهف ينسب الثعلبى الى كعب قوله عن كلبهم انهم مروا بكلب فنبح فطردوه مرارا ، فقام الكلب على رجليه رافعا يديه الى السماء كهيئة الداعى فنطق فقال : لا تخافوا منى انا أحب احباب الله فناموا حتى أحرسكم .

وفى قصة هاروت وماروت ذكر ابن كثير قول الثعلبى ان امراة اسمها الزهرة احتكمت الى الملكين فراداها عن نفسها فابت الا ان يفشيا لها سر الآية التى يصعدان بها الى السماء فاعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا يدل عليه قول النبى عليه السلام كلما راى سهيلا : لعن الله سهيلا كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين ، فقال انه من افتراء الزنادقة على النبى ، واقرب ما يكون فى ذلك انه من رواية كعب الاحبار وليس عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والثقات من المحدثين لم يرفعوا هذه الرواية الى النبى وانما وقفوها على كعب واضرابه .

وفى تفسير قوله تعالى قالوا يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة،

روى عن كعب انه قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العنق مستوى الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين خميص البطن صغير السرة ، اذا ابتسم رايت النور من ضواحكه ، واذا تكلم رايت فى كلامه شعاع الشمس من ثناياه ، لا يستطيع احد وصفه ، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل ، وكان يشبه آدم يوم خلقه الله وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية .

وعند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض روى عن كعب انه قال هم نادرة ولد آدم ، وذلك ان آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب ، فخلق الله من ذلك المـــاء يأجوج ومأجوج ، فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام .

وعند قوله تعالى اذكر فى الكتاب ادريس انه كان صـــديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ، ذكر ابن كثير أن كعبا قال اما ادريس فان الله اوحى اليه انى ارفع لك كل يوم مثل عمل جميع بنى آدم فأحب ان يزداد عمـــلا فأتاه خليل له من الملائكة فقال له ان الله اوحى الى كذا وكذا فكلم لى ملك الموت فليؤخرنى حتى ازداد عملا فحمله بين جناحيه حتى صـــعد به الى السماء ، فلما كان فى السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت فى الذى كلمه فيه ادريس ، فقال وأين ادريس ، فقال هوذا عـــلى ظهرى ، قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لى اقبض روح ادريس فى السماء الرابعة فجعلت اقول كيف اقبض روحه فى السماء الرابعة وهو فى الارض ، فقبض روحه هناك ، فذلك قول الله رفعناه مكانا عليا . ويعلق على ذلك ابن كثير أنه من الاسرائيليات وفى بعضه نكارة .

وفى السراج المنير للخطيب الشربينى يروى عند قوله تعالى وورث سليمان داود وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير (سورة النمل) عن كعب انه قال ان ورشان (نوع من الطيور كالحمام) صاح عند سليمان فقال اتدرون ما يقول ، قالوا لا ، قال انه يقول لدوا للموت وابنـــوا للخراب . وصاحت فأخته (طير يشبه الحمام) فقال اتدرون ما تقول ، قالوا لا ، قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا . وصاح طاووس ، فقال اتدرون ما يقول ، قالوا لا ، قال فانه يقول كما تدين تدان .. الى آخـــره .

ويذكر الآلوسى فى تفســيره ان قيس بن خرشـــة اصطحب كعب الاحبار حتى اذا بلغا صفين وقف كعب ثم نظر ساعة ثم قال : ليهراقن

بهذه البقعة من دماء المسلمين شيء لا يهراق ببقعة من الارض مثله ، فقال قيس وما يدريك فان هذا من الغيب الذى استأثر الله تعالى به ، فقال كعب ما من الارض شبرا الا مكتوب فى التوراة الذى أنزل الله تعالى على موسى ، ما يكون عليه وما يخرج منه الى يوم القيامة . وعلق عليه الآلوسى بقوله ولعل ذكر ذلك من باب الرمز كما ندعيه فى القرآن . وقد اثار هذا التأويل الصوفى الذى ذكره الآلوسى ثائرة السيد رشيد رضا فقال فى تفسيره وانا اظن ان هذا القول موضوع على كعب وتأول الآلوسى له هذا القول الظاهر بطلانه بالبداهة .

* * *

كوهين Cohen

(١٨٤٢ — ١٩١٨) هيرمان كوهين ، المانى ، اشتهر كمفسر لكنط ، وقيل ان مذهبه يتجاوز فلسفة كنط ، وانه لذلك كنطية محدثة ، وهو المذهب الذى ظل يدرسه لطلبته المسيحيين طوال اشتغاله بجامعة ماربورج ، فلما خرج منها والتحق بالتدريس بالمعهد اليهودى للدراسات العليا ظهرت له فلسفة اخرى هى اليهودية سافرة غير مقنعة .

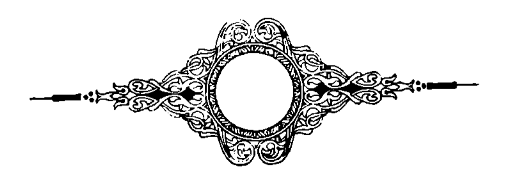
وكان ترايتشكه المؤرخ قد كتب ينبه الى ان فلاسفة اليهود الالمان يبشرون بتعاليم تبدو حديثة ، باصطلاحات معاصرة ، ولكنها فى الواقع يهودية خالصة ، وانهم دابوا على التعلق بالفلسفات الكبرى يبرزون من خلالها مفاهيمهم الدينية الخالصة ، ويوجهونها بتفسيرات فيها الكثير من التهجم على المسيحية ، وتفصح عن ولاء لا شك فيه لليهودية كديانة وقومية ، وهو ما يتعارض مع ديانة وقومية الشعوب التى يعيشون بينها.

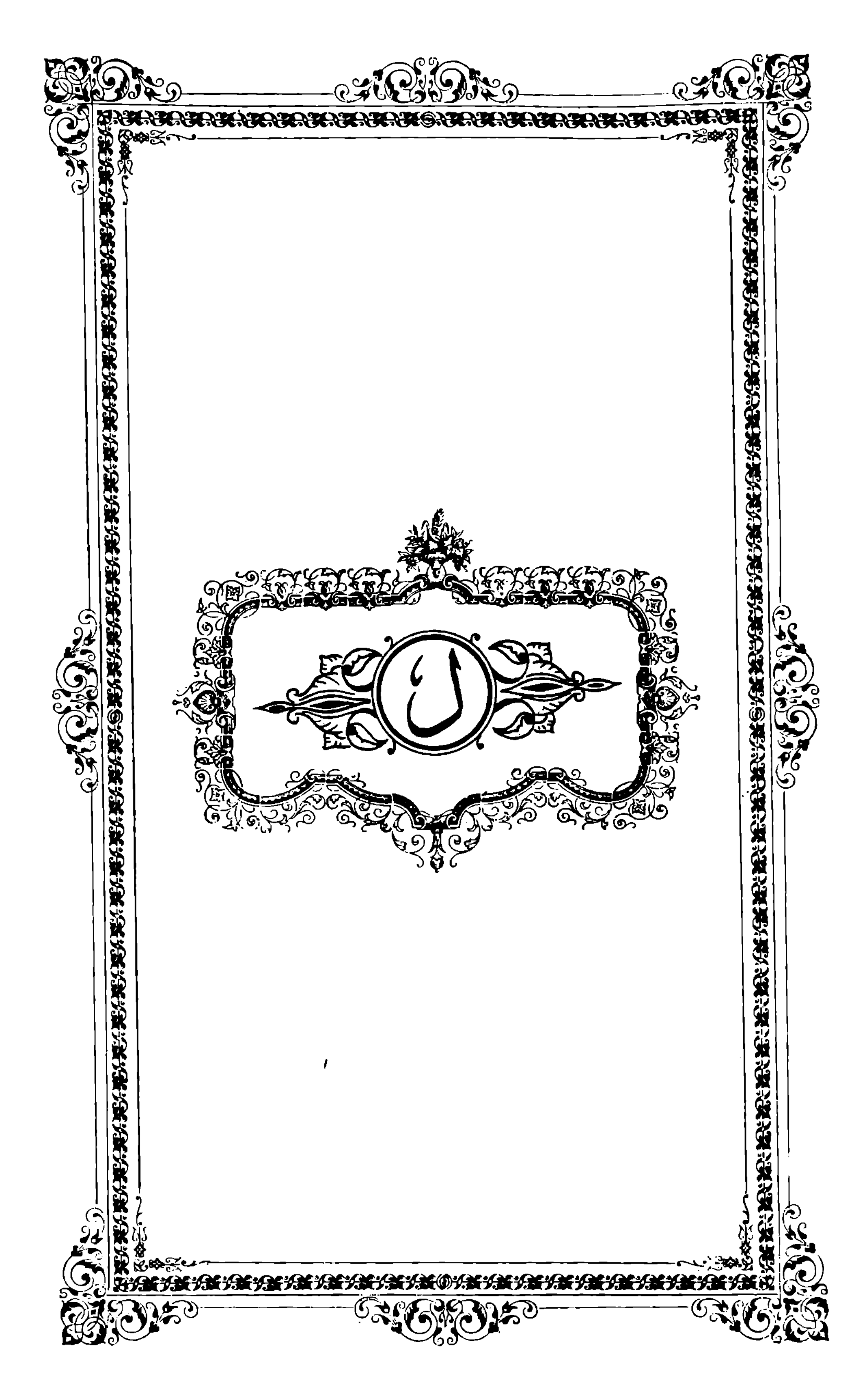
وكانت محاولة كوهين الرد عليه بداية وضوح حقيقة اتجاهاته وانتماءاته الفكرية التى تعتبر قلبا للفلسفة التى كان يدرسها بماربورج ، فكان يقول ان الدين ليس من اقسام الفلسفة ، فأصبح يقول انه الركن الركين للفلسفة ، وكان يردد بأن الله فرضية منطقية يلزم عن القول بوجود مثل أعلى للعالم ينبغي تحقيقه ، فصار يقول ان الله هو مصدر الفكر والعقل والاخلاق جميعا ، وكان يؤمن بالصيرورة ، فتحول عنه الى الوجود ، وقال ان الوجود لله ، والصيرورة للعالم ، وبينهما تلازم يتبدى فى محاولة الانسان تقليد الله ، بالاخذ بالاخلاق او الوصايا الالهية، كى تكون للانسان قداسة كقداسة الله ، وربط بين الانسان والله برباط روح القدس ، وهو عنده ليس وسيطا كما فى المسيحية وعند فيلون ،

ولكنه علاقة تقوم بين الله والانسان ولا تنتسب لاى منهما وحده لان اليهودية تعتبر الانسان شريكا لله فى عمليه الخلق ، ونصيب الانسان فيها استحداث الوحدة الانسانية ، وهذه هى رسالة اليهود بحكم ايمانهم باله واحد قد اختصهم برسالة التوحيد ، وصارت اليهم منذ البداية مهمة التوحيد التاريخية بين الاجناس والشعوب ، وهى الشىء الذى اسماه تراتيشكه عن سوء فهم ولاء مزدوجا ، والماركسية هى جهد يهودىعصرى لتحقيق هذه الغاية ، لان الماركسية هدفها الوصول بالانسانية الى المرحلة المسيحانية من الوحدة بين المظلومين والمضطهدين فى العالم كله ، فتتحقق العدالة للجميع ويسود العالم السلام الابدى .

ولم يقبل كوهين الصهيونية لانها ضد الوحدة العالمية التى يقول بها رسالة اليهودية .






ل



اللاوى Moses Ben Joseph Ha Levi

(القرن الثالث عشر) موسى بن يوسف اللاوى . من دائرة الثقافة الاسلامية . له كتاب « الرسالة الالهية » باللغة العربية يثبت به على طريقة الغزالى وجود علة اولى . ويقول مع الفارابى ان العقل الاول هو المحرك الاول . وفى مسالة الصفات اثبت لله صفات ذاتية وصفات فعلية . وقال مع المتكلمين المسلمين أن اثبات صفات قديمة لله لا ينتهى الى تعدد وكثرة . والصفات ايجاب وسلوب . ومعنى قولنا ان الله عالم اثبات ذاته وقضى الجهل عنه .

***

اللاوى Judah Ha Levi

(نحو ١٠٧٥ — ١١٤١) يهودا اللاوى . أو أبو الحسن اللاوى : اندلسى من دائرة الثقافة الاسلامية . اشتهر كشاعر وفيلسوف . وشعره تقليد للقصيدة العربية فى البحور والموضوعات . ومعظمه شعر مراثى . والقليل منه وطنى . ومؤلفه فى الفلسفة « كتاب الحجة والدليل فى نصرة الدين الذليل » كتبه بالعربية . وترجم الى العبرية . قيل انه انتهى منه فى عشرين سنة . وكتبه ردا على سؤال لاحد اليهود القرائين . والكتاب دفاع واضح عن اليهودية ضد الفلسفة اليونانية أولا التى يعتبرها من اعدى اعداء الدين عموما . والديانتين المسيحية والاسلام اللتين يعتبر ان اقصى ما يمكن ان يوجه اليهما من نقدا أنهما ديانتان لا تقومان على شهادة الشهود . بمعنى أنه لم يحدث فى أى منهما أن كلم الله جهارا نهارا شعبه على مرأى ومسمع من ستين الف من الحضور .

وهو يتخيل كاطار لكتابه أن أحد الملوك الوثنيين وقد امتلأ قلبه بالخير قد رأى رؤيا . فعلم أن أفعاله لا تتمشى مع نواياه . فاستقدم من يخبره من المختصين كيف يمكن أن يكون سلوكه صحيحا . وكان من هؤلاء فيلسوف على مذهب أرسطو وهو افضل المذاهب المعروفة . وحبر يهودى وراهب مسيحى وفقيه مسلم . ولان الملك من قبائل الخرز فقد اشتهر الكتاب فى ترجمته العبرية باسم « الخرزى » .

وينقسم الكتاب الى خمسة أجزاء . وفى الجزء الاول يتكلم الاربعة ويطرح كل منهم وجهة نظره ويبين سمو قصده وعلو كعبه فينحاز الملك

الى الفيلسوف ، ولكنه عندما يعلم أن اليهودية قد سبقت الفلسفة الى كل ما توصلت اليه الاخيرة ، وان باعها فيه ارسخ واقدم ، وان المسيحية والاسلام انما قاما على اليهودية وتقليدا لها ، ينصرف عن الجميع الا الحبر اليهودى .

والاجزاء الاربعة حوار خالص بينه وبين الملك ، يسأله فى الجزء الثانى عن صفات الله ، ولكنه يحكى له عن التجربة الاسرائيلية العملية بالله ، ويؤثر ان لا يكون حديثه اليه فى مسائل نظرية ، والحديث عن التجربة الاسرائيلية معناه أن يخوض فى معنى النبوة ، وسر اختيار الله لشعب اسرائيل ، ومعنى أن يكون للشعب أرض ، وأن تكون هذهالارض فلسطين بالذات ، ومعنى أن يكون حديث الله للشعب بالعبرية ، والسبب فى قيام بيت الرب بعد هذا كله فى فلسطين .

وفى الجزء الثالث يشرح له واجبات الشعب حيال الله ، المتمثلة فى العبادات ، ومعنى انها أوامر الهية تنزل بها الوحى ، والحاجة الى السنة لتشرحها ، ومن ثم فان انصراف القراءين من اليهود عن السنة أمر يتنافى مع مقتضيات الواجب ، لان السنة تشرح التنزيل ، وبدون هذه الشروح لن تقام الشريعة على وجهها الصحيح .

وفى الجزء الرابع يتناول أسماء الله الحسنى ، ويفرق مثلا بين اسمه تعالى الوهيم أو الله ، واسمه ادوناى او الرب ، والاخير هو اسمه تعالى كموجود يستخلص وجوده العقل ، ومن ثم فاسم الرب هو اسمه الفلسفى أو اسمه عند الفلاسفة ، ولكن اسم الله هو اسمه الذىيكشفه الحق سبحانه لشعبه ، ويطلب من شعبه أن يختصه به فان معنى ذلك أن لهذا الشعب مكانة خاصة عنده ، والنبوة هى خاصية الشعب الذى يمتلكها كملكة يتفرد بها على سائر الشعوب ، ومعرفته بالله تتأتى عن طريق هذه الملكة كمعرفة فريدة ، وهى لذلك اساس كل المعارفالعلمانية، وكل العلوم تستقى منها ، واليهود اسبق من غيرهم الى هذه المعارف ، وسفر التكوين كتاب علمى ، تنزل به الوحى على ابراهيم من قبلموسى، وعند هذه النقطة يبدأ الجزء الخامس ويجد الحبر أنه لا بد أن يتوجه بكلامه الى الفيلسوف ، فالموضوع يتعلق بالمعرفة ، والفلسفة الملكة المتوجة على كل المعارف ، وهو يستعرض تاريخها ويبين أوجه الضعف فيها وتهافتها ، ولا يفوته أن يدحض حجج المتكلمين ويسخف علم الكلام عند المسلمين .

ولكن يهودا اللاوى برغم تطاوله على الاسلام والمسلمين فانه فى كل ما يطرح من شروح للفلسفة ينقل عن المسلمين وخاصة ابن سينا ، وفى كل دفوعه ضد الفلسفة يأخذ عن الغزالى وخاصة تحفته « تهافت الفلاسفة » ، وبيانه عن الشريعة والسنة المفسرة والعقل والنقل يقبس من علم الكلام والثقافة الاسلامية ، ومصادره عربية خالصة ، واللغة الوحيدة التى يتقنها بالاضافة الى العبرية هى اللغة العربية وعاء هذه الثقافة ووسيلتها .

* * *

لوريا Luruia

(١٥٣٤ ــ ١٥٧٢) اسحق بن سليمان لوريا ، وشهرته اسحق لوريا أو اسحق الاشكنازى لوريا ، من اهل الباطن ، وصاحب مذهب فى فلسفه القبول المعروفة بالقباله ، وكان قد تعلم بمصر ولكنه انتقل فى اخريات أيامه الى صفد بفلسطين وكانت مركزا اكبر من مراكز هذه القبالة ، وفيها صاحب موسى القرطبى من أقطابها ، وتتلمذ عليه نحو الثلاثين من القباليين ، منهم حاييم فيتال Vital الذى دون أقواله وتوفر على اذاعتها .

وفلسفة لوريا مسيحانية ، أى تقول بالمهدى المنتظر الذى هو عندهم المسيح المخلص ، وهى التى رسخت المفهوم المسيحانى فى الفلسفة اليهودية ، وكانت المدرسة التى تعلم فيها المسيحانى الاكبر شبتاى تسفى صاحب الفلسفة الشباتية .

ولوريا يقول ان كل فعل انسانى محسوب على صاحبه ، والافعال تتجاوز تأثيراتها الظاهرة ، ومعانيها الباطنة ابعد وأوغل فى نتائجها ، وهى جزء من حركة الكون العامة ، وغايتها غاية كونية ، وهى أن تعمل فى انسجام مع الكل على حفظ دولاب الكون بغير خلل وفى تناسق واتزان ، وليس تخليص الكون مما فيه من فساد والناس مما انغمسوا فيه من شر هو عمل المسيح وحده ، ولكن الخلاص رسالة شعب اسرائيل كله ، بأن يراعى الشعب الناموس فيعتدل ميزان الكون ، واذن يظهر المسيح ليحكم بالعدل ويفشى السلام .

وليس طغيان الشر الا لان الشريعة معطلة ، والفساد الروحى لابد

لن يقابله فساد كونى . وكلما زاد الفساد واستشرى الشر كانت الحاجة الى مجىء المسيح امس ، وكان لوريا يؤمن انه المسيح ابن يوسف ،وكانت له شطحات وتنبؤات ، وهو القائل بأنه فى البدء لم يكن ثمة الا الله ، فكان الله هو كل الوجود ، ولكنه جمع نفسه وتزمزم .

ومبدا الزمزمة Zimzum هذا من أركان مذهبه ، ويعنى ان الله قد رد أطراف ما انتشر منه فسمح بفراغ ملأته موجودات فاضت منه وتخلقت من نوره ، وما يزال مبدا الفيض يحكم الوجود ، وان النور الذى يشع من ذات الله او من عين صفاته لهو هذه الصفات ، فالصفات بعضه وهى فيضه ، وصفاته عشر يسميها سفرة Sephirot هى نفسها سفرةالقرآن أو الملائكة ، تسفر عن النور الالهى أو تحمله فهى حوامل النـــور أو مراكبـــه .

ولوريا كى يبرر الشر يقول ان بعض هذه المراكب لم يقو على حمل النور فتكسر وتشتت النور وتبعثر واختلط بالظـــلام فامتزج الروحانى بالمـــادى ونفذ الشر والظلام الى العالم .

والانسان رسالته الاصلاح ، وعمله تخليص الانوار من الشوائب لانه بذلك يعجل بمجىء المسيح ، ويسمى لوريا هذا التخليص أو الخلاص التقن Tikkun ، والتقن هو الرسابة أو الخثارة تخلص من شوائبها ، والتقن هو المبدا الثالث من مذهب لوريا ، وهو يتحقق بمراعاة الناموس، وهو عملية طويلة من التأمل والدراسة .

* * *

لــــوزاتو Luzzatto

(١٨٠٠ — ١٨٦٥) شموئيل داود لوزاتو . سلفى ، شديد المقت لابراهيم بن عزرا والميمونى لصبغهما اليهودية بالفلســـفة . وعنده ان الباحثين عن الحقيقة قسمان ، جماعة راشى وشموئيل بن مائير ، واتباع الميمونى وابن عزرا .

وهو ضد التأويل ولو انه يأخذ به احيانا . وفلسفته بها الكثير من فلسفة يهوذا اللاوى ، والميمونى فى رايه مفكر يهـــودى عظيم ، ولكنه يعتقد ان النبى موسى لم يكن له اشتغال بالفلسفة ، ولم تكن له احـــلام ارسطو وخيالاته ، ووجه لوزاتو اشد النقد لاصول الدين عند الميمونى ،

واعتبر محاولات النهج على مفوالفلاسفة اليونان عند الآخذينبالاتجاهات العقلية هى المسئولة عن ازدهار الباطنية وشطحاتها القبالية كرد فعل لهذه الاتجاهات .

وهو يعارض الروح الهيلينية أو الاتيكية كما يسميها : بالروح اليهودية . وعنده أن الاولى عقلية علمانية . والثانية روحية لاهوتية أخلاقية . وتمثل الاولى فى العالم القديم الارسطية . وفى العالم الحديث الكنطيـــة .

وعنده ان عبادة التقدم والفلسفة النفعية . وهى غاية دعـوات التحرر التى يحفل بها الفكر اليهودى الحـــديث . هما نقيض التفكير وأسلوب الحياة اليهوديين ، وهو لم ينفعل بشىء فى حياته بقدر انفعاله بالاحتقار لاسلوب الحضارة الغربية وتفكيرها .

وفى كتابيه « اللاهوت الاخلاقى الاسرائيلى » و « أصول التوراة » يقول لوزاتو ان الفلسفة اليهودية ، او اللاهوت اليهودى بمعنى أصح . تقوم على الاعتقاد الراسخ بالوحى والتراث والشعب المختار . ورسالة فلاسفة اليهود ينبغى أن تكون هى الزود عن هذه القيم ضد العقـلانية الغربية التى يسميها العقلانية المسيحية ، والنظرة النسبية التاريخيـة التطورية التى تمثلها .

وفلاسفة اليهود . بحكم انهم يهود . هذه رسالتهم . لانهم جـزء من الشعب الذى اختاره الله لمهمة حفظ وصاياه وشريعته . وهو ضامن هذه الديانة المنزلة ، واللغة العبرية لغة مقدسة لانها وعاء هــذا الدين واللغة التى فضلها الله على سائر اللغات .

ولا شك ان هذا التعصب الواضح . أو الوطنية الظاهــرة عنـد لوزاتو كانت بشائر التفكير الصهيونى ، بل ان لوزاتو ذهب الى حـد دعوة الشباب الى الهجرة الى فلسطين لانه بالعودة الى الارض المقدسة تعود النبوة الى الشعب . لانه بالعودة يعود الاتصال الذى انقطع بالله .

***

ليفـــن Kurt Lewin

(١٨٩٠ — ١٩٤٧) كورت صديق ليفن . عـالم نفس المـانى هاجر الى امريكا عقب تولى النازى (١٩٣٢) . وارتبط اسمه من أول

الامر بعلماء مدرسة الجشطلت اليهود ، واشـــتهر بتطبيقاته للنظـــرية الديناموية على المجالات التى يمكن أن يفيد اليهود سيكولوجيا من دراساته لها ، وله دراسة رائدة على الجماعة المستبدة (١٩٣٩) ، تدين النظم الفاشـــية .

ومن الغريب انه لم يعتبر الصهيونية ايديولوجية فاشية ، وتغاضى عن فلسفتها التوسعية العدوانية ، بل ووصفها بأنها ضرورة سوسيولوجية كحل للمسألة اليهودية ، فلكى يكون لدى اليهود انتماء اجتماعى ، ولكى يتطور هذا الاحساس لديهم بالانتماء تطورا ســويا ، ولكى تتربى لديهم ارتباطات انتاجية بالبيئة والطبيعة ، يتوجب ان يكون لهم وطن ، وان يساعدهم العالم الحر على استيطان فلسطين أرضهم التاريخية .

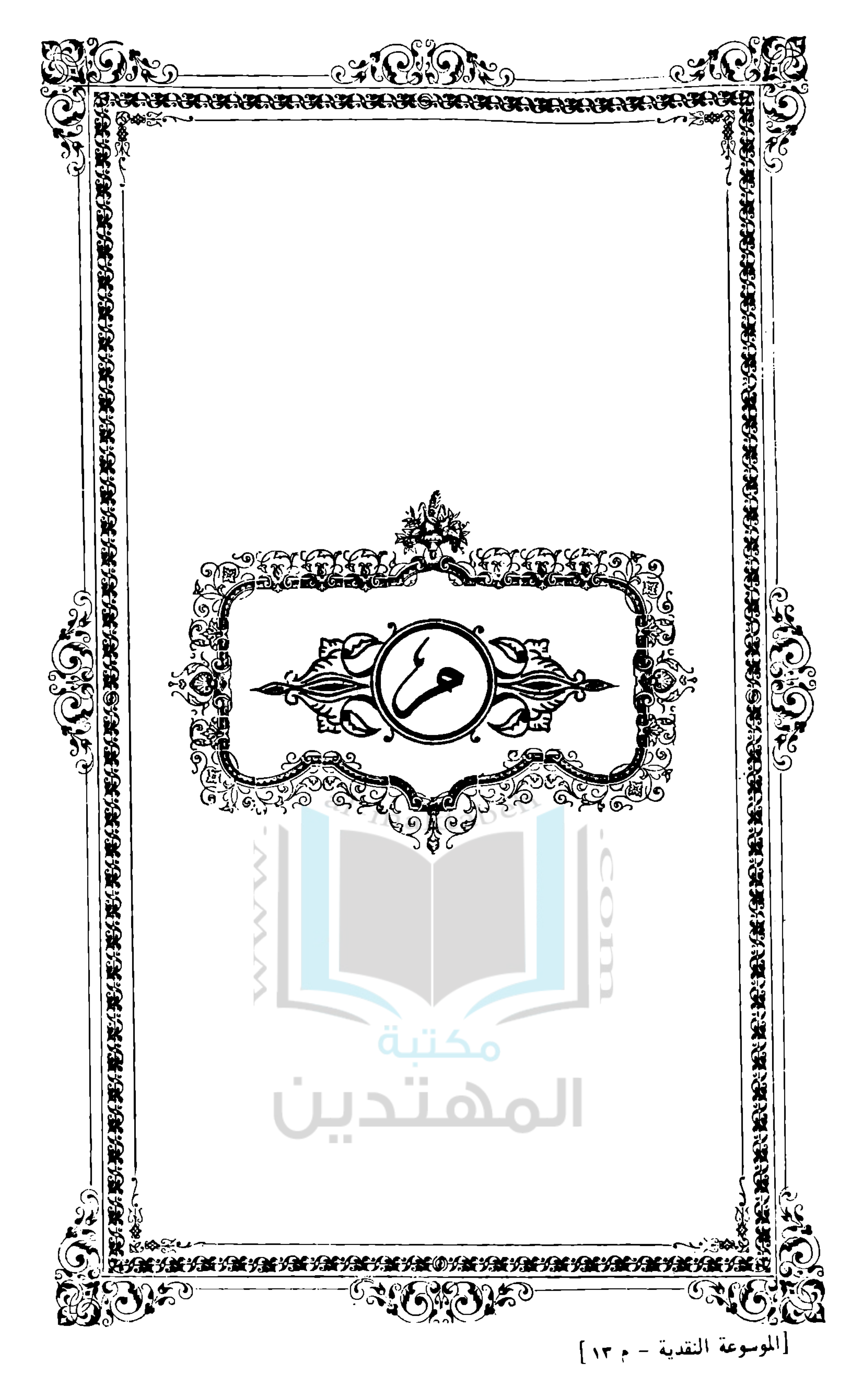
ومن اجل ذلك زار ليفن فلســـطين اكثر من مرة ، وقبل كرسى علم النفس بالجامعة العبرية ، ووافق على الاشراف على تأسيس معمـــل نفسى بها ، ثم توفر على دراسة مشكلة التوافق الاجتماعى عند اليهود بوصفهم اقلية فى المجتمع الامريكى ، وخلص الى ان تربية الطفل اليهودى على تقبل واقعه كيهودى ، وتعميق انتمائه باليهود يقلل من احســـاسه بسوء التوافق فى المستقبل .

❋ ❋ ❋

ليـــون العبـــرى Leone Ebreo

(انظر يهودا ابربنيل) .

❋ ❋ ❋


م



ماركس Marx

(١٨١٨ ــ ١٨٨٣) كارل ماركس ، مؤسس الشيوعية وفلسفة المادية الجدلية والتاريخية . كان أبوه محاميا المانيا . صدر قرار بمنعه من ممارسة المحاماة بسبب يهوديته ، فاعتنق المسيحية تقاة ؛ وعمد ابناءه الثمانية وكارل فى السادسة . وهى طريقة اليهود كلما اعوزهم الامان . يلجأون اليها أحيانا فرادى وأحيانا بشكل جماعى . حتى اذا امكنتهم الفرصة عادوا الى اظهار دينهم .

ولكن كارل ماركس تنكر للمسيحية ولم يعد لليهودية . وفى كتاب « المسألة اليهودية » ذكر ان اليهودية استحالت بعد النفى الى عقيدة تاجر ، وان المسيحية بانتقال أوروبا من الاقطاع الى الرأسمالية اصبحت يهودية على نحو ما . واستحال المسيحى البورجوازى العملى يهوديا .

وتسبب الكتاب فى هجوم اليهود والمسيحيين معا على صاحبه ؛ وعده اليهود عدوا للسامية . ولكن موسى هيس رائد الصهيونية نبه الى التراث اليهودى فى الماركسية . فالكتاب رغم ما فيه من عبارات عنيفة ضد اليهودية الا انه قد صيغ بطريقة الكتابات التنبؤية عند انبياء اسرائيل من أمثال دانيال وحزقيال وارميا . حيث يقول ماركس ان اليهود قد صاروا دنيويين . وانهم باتخاذهم الربا قد صار الههم الها علمانيا . فعبدوا المال ونصبوه الها يغارون عليه . واستحالت المتاجرة ديانتهم الحقيقية . وبجانب المال لم يعد يعيش اله آخر . ويكشف التلمود عن ازدراء للتفكير الفلسفى وللعلم وللانسان نفسه كغاية فى ذاته هو فى حقيقته ازدراء رجل المال لهذه القيم . فحتى العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة صارت فى اليهودية موضوعا للتجارة . وباتت المرأة سلعة للمتاجرة . واضحت القوانين فى التلمود صورة هزلية لقواعد الاخلاق والدين قصد بها اضفاء الشرعية على علاقات الملكية والعمليات التجارية المترتبة عليها . وعندما ينجح المجتمع فى الغاء هذا الجوهر العملى الذى جعله اليهود لدينهم . والغاء ظروف قيام المتاجرة بالربا . عندئذ يصبح وجود اليهودى كيهودى مستحيلا ، فليس صحيحا ان اليهود عاشوا رغما عن التاريخ . ولكنهم فى الحقيقة والواقع عاشوا من خلال التاريخ كعملاء لاقتصاد نقدى فى محيط يعيش فى ظل اقتصاد طبيعى . واستطاعوا البقاء بسبب هذا الدور المتميز الذى لعبوه . فاذا أريد تحرير أوروبا من اليهودية . وتحرير اليهود انفسهم منها ، فان السبيل الى ذلك لا يكون الا بالقضاء على المتاجرة وتغيير علاقات الانتاج والملكية .

ومع ذلك فان الشيوعية التى يعرضها ماركس كحل للمسألة اليهودية ، أى كخلاص لليهود من اليهودية ، وللعالم منهم كيهود ، لم تكن هى نفسها الا احدى الطرق التى عرفها وعايشها اليهود الاوائل ، وكانت طريقة الفرقة الاسينية التى تأثر بفكرها النبى يحيى وعاصرت الحواريين المسيحيين .

ولم يكن قول ماركس بأن العالم مادى ولا شىء فيه بجانب المادة وقوانينها فى الحركة والتغير الا نقلا عن التلمود الذى يقوم عرضه للطبيعة والمجتمع على المادة ، وكذلك فان مزاج ماركس العنيف الذى يجعل الصراع مقولة اساسية من مقولات الشيوعية هو نفسه المزاج العام الذى يسود التوراة ، حتى ان باكونين الروسى صاحب الاتجاه الفوضوى راى فيه صورة للنبى موسى فى العصر الحديث ، وانه بالرغم مما يبدو ان ماركس ضد الاخلاق البورجوازية والدين الا ان ما يدعو اليه ليس فى جوهره الا دعوة اخلاقية او دينية كدعوات انبياء اسرائيل .

وباكونين يشير الى خطورة الفكر الماركسى لانه برغم كل شىء فكر يهودى ، وماركس عندما يكافح بعناد من اجل الاممية فانه يريد ان يجعل منها مواطنة عالمية ، اى ان يجعل من كل الناس يهودا بلا انتماء لاى من المجتمعات او الدول التى يعيشون بين ظهرانيها ، وقد تخلى ماركس نفسه عن جنسيته الالمانية سنة ١٨٤٥ . وكذلك فان دكتاتورية البروليتاريا التى دعا اليها لم تكن الا دكتاتورية شعب الاسباط التى تحدث بشأنها سفر العدد .

ويعكس اهتمام ماركس بالنواحى الاقتصادية الاهتمام اليهودى العام بالمال ، ولم يكن غريبا لذلك ان يكون عنوان كتابه الرئيسى هو « راس المال » .

وقد قيل دائما انَ الفكر اليهودَى مشيحانى او مسيحانى ، بمعنى انه طوباوى يبشر بعهد « الناس فيه تبتاع بغير فضة ولا ثمن خمرا ولبنا، وتنعتق ماديا وروحيا ، ويحل السلام والعدل كل الربوع » ، وكذلك الشيوعية حيث يضمحل دور الدولة ، ويزيد التقارب بين الامم الى حد الغاء الفروق بينها ، وتتدفق ينابيع الثروة التعاونية بشكل اكثر غزارة فى شكل مجتمع الوفرة ، فيكون لكل حسب حاجته ، ويتم استغلال مقدرة كل شخص بأكبر فائدة من اجل الشعب .

ولكل هذه الاسباب مجتمعة انزل موسى هيس الماركسية منـــزلة النبوءات ، وقال فى تبرير ذلك ان ماركس قد صاغ من اليهودية علمـــا ثوريا (*)

* * *

ماركـــــوزه Marcuse

(١٨٩٨ ــ ١٩٧٩) هيربرت مرقس أو ماركوزه ، من اشـــد نقاد الفكر الحديث فى علاقته بالمجتمع الحديث ، ومن خـــلال صفة النقد هذه كان له تاثيره السياسى الفعال ، ويرفعه حواريوه الى مصاف انبياء بنى اسرائيل ، مع انه هو شخصيا لم ينزل نفسه هذه المنزلة .

وهو شبه فى نقده النبى اشعيا ، وكتابه « الانسان ذو النظـــرة الواحدة » (١٩٦٤) يشبه سفر أشعيا فى تشاؤمه وبشارته الطوباوية او المسيحانية بجمهورية القلة التى تمارس فضيلة هى العقلانية بواسطة الصفوة ، وهى دعوة للمنبوذين والخوارج والمستغلين والمضطهدين من الاجناس والعناصر والالوان الاخرى ، فضلا عن العاطلين عن العمـــل وغير القادرين عليه ، للقيام بهذا العمل الجذرى الذى يتطلب التقاء اشد قوى الوعى الانسانى باشد العناصر تعرضا للاستغلال » .

وتقوم فلسفة ماركوزه فيه على دعامتين من الماركسية والفرويدية، وهما من اشد الفلسفات المعاصرة التصاقا باليهودية .

والفرضية الاساسية فى كتابه ان تكنولوجيا المجتمعات الصناعية الراقية قد جعلت فى وسع هذه المجتمعات ان تزيل التناقضات الموجودة فيها من خلال استيعاب جميع اولئك الذين كانوا فى ظل الانظمةالاجتماعية السابقة يشكلون اصواتا رافضة أو قوى انشقاقية . وتفعل التكنولوجيا ذلك جزئيا من خلال خلق الكفاية والوفرة المادية ، وهكذا يتحول التحرر من الحاجة المادية ، وهو الشرط المسبق لكافة اشكال الحريات الاخرى ، فيصبح هو نفسه مدخلا لتوليد العبودية ، فمن خلال تلبية احتيـــاجات الناس تزول اسباب انشقاقهم واحتجاجاتهم ، ويصبحون الادواتالسلبية للنظام السائد ، وفارق بين الاحتياجات الحقيقية والزائفة ، والاخـــرة هى التى يتم بواسطتها اخضاع الفرد ، واشباعها يتم على حســــاب احتياجات الفرد والآخرين من الحرية والقيم المماثلة ، ولان النـــاس لم يعودوا ينشدون الحرية ، لان الدولة ومجتمـــع الوفرة قد ضـــمنا لهم

السعادة ، او انهم قد اصبحوا راضين الى حد السعادة عن السلع والخدمات التى تقدمها لهم الادارة ، اصبح من واجب الصفوة المنشقة او الرافضة أن تتولى عنهم أمر تحديد احتياجاتهم ، وأن تبين لهم ان هذه السعادة ليست حقيقية ، فأوقات فراغهم لم تعد حرة برغم ازدهارها فى المجتمع الصناعى الراقى ، فالسياسة تشغلها والعمل يلاحقهم فيهـا ، واذا كان العامل ورئيسه يشاهدان نفس البرامج التليفزيونية ويقرآن نفس الجريدة ويرتادان نفس أماكن الترويح عن النفس ، وكل منهما لديه سيارة ويستطيع ان يتزين على نفس المستوى ، فان ذلك لا يعنى زوال الطبقات ، بل يدل على المدى الذى يمكن ان يذهب اليه اشباع الحاجات الذى يخدم هدف الحفاظ على السلام الاجتماعى ، بالاضافة الى انظروف العمل فى المجتمع الصناعى الراقى تميل الى جعل العامل سلبيا وتقضى على اى شعور لديه بمعارضة النظام ، ومن ثم فان ما تستحدثه الدولة من مؤسسات تنشد بها الاصلاح الاجتماعى يكون فى نفس الوقت وسيلتها للسيطرة على حياة الذين ينعمون بفوائد ومزايا هذه المؤسسات ، بفضل هيمنتها على مستوى معيشتهم ، وكلما زاد استهلاك الناس كلما كان ذلك ادعى الى اضعاف حوافز تقرير المصير ، ويستوى ذلك فى الدولة الصناعية الغربية او الشيوعية .

ويتصور ماركوزه ذلك مدخلا الى مستقبل ينتهى فيه النزاع بين الطبقات ، وكل نزاع عقائدى ، ذلك لان المجتمع الصناعى المتقدم هو بحق نظام توازن القوى الذى يحكمه سيطرة النخبة من المتنافسين على الحكم ، ولا يمكن أن يكون حكم النخبة من السياسيين الا انعكاسا لمصالح هذا النظام الذى يتمتع فيه افراد النخبة بما يقرب من السيطرة التامة عليه .

ويرى ماركوزه ان الوارث الطبيعى للنظام الليبرالى هو النظام التوتاليتارى (الجماعى) ، وهذا النظام الجماعى هو المسيطر حاليا على الافكار الصناعية الراقية ، ومعنى ذلك ان النظامين الشيوعى والغربى متشابهان ، او انه يوجد فى النظام الغربى قوى متناهية يمكن أن تعتبر مماثلة للنظام الفاشى او الشيوعى ، ولكن التوتاليتارية الغربية لا تعبر عن نفسها من خلال الحكم الديكتاتورى الصريح ، بل من خلال القضاء على الثقافة القديمة والفن القديم بالمؤسسات الحديثة التى من شأنها تصفية الانسان ذى النظرتين ليحل محله الانسان ذى النظرة الواحدة ، ومن هنا اخذ ماركوزه عنوان كتابه « الانسان ذو النظرة الواحدة » .

ولا تتمثل النظرة الواحدة لانسان اليوم فى ميـــدان الفن والادب وحسب ، فاللغة نفسها انحطت فى الاعلانات والصحف فغدت مجـــرد اختصارات ورموز ، وبأسلوب تمثل ماديته انتقادا للوقائع التى تشـــير اليهـــا .

وكان المفروض ان المجتمع المعاصر لم يصل الى ما وصل اليه طبقا لنظريات فرويد الا من خلال كبت الرغبات الجنسية والتسامى بها ، الا أن هذا العصر قد اطلق الرغبة الجنسية دون ان يشبعها الا بطريقـــة سطحية ، كما فى الاعلانات التجارية التى تتوسل بالجنس ولكنها لا تقدم للناس متعته الحقيقية ، وبذلك تنضم الرغبة الجنســـية الى اللغـــة والمؤسسات الاجتماعية لتصبح كلها ادوات فى خدمة التوتاليتارية .

والصفوة هى التى بوسعها تغيير ذلك كله ، لانها الاكثـــر وعيا بمتطلبات العصر والاكثرية ، ولا سبيل أمامها لتأسيس مجتمع المستقبل القائم على العقلانية والتحرير والتسامح الا بالثورة والاســـتيلاء على مقاليد الحكم واعلان ديكتاتورية الاقلية ، ووسيلتها الى ذلك القـــوى الثورية الحقيقية ، وتتألف عالميا من الحركات الطلابية وانصـــار جهات التحرير والثورة الثقافية .

ولا يخفى أن كل هذه الاهداف ووسائلها قد نوهت بها بروتوكولات حكماء صهيون ، الامر الذى أثار دهشة كثير من النقاد لفلسفة ماركوزه وخاصة الجزء الذى خصصه للثورة الطلابية ، وتنويهه بطابعها الجمالى المزعوم ولغتها التى أطلق عليها اسم لغة الروح ولغة الثقافة « الهيبية » (من الهيبيز) ، مع أن اليسار الذى ينسب ماركوزه نفسه اليه قد أشار بوضوح الى الاتجاه البوهيمى فى هذه الحركات وانفصالها عن الجماهير الواسعة ، مما يجعلها اقرب الى شكل جديد من اشـــكال الصليبية الطفولية منها الى الحركات الثورية الاصيلة .

وبرغم هذه المثالب الواضحة فقد روجت وسائل النشر اليهودية لكتاب ماركوزه السالف ، وحولته من أستاذ أكاديمى اشتهر بتفســـير فلسفة هيجل الى شخصية دولية يستشهد به ويتتلمـــذ عليه بعض اليساريين ويعتبرونه قديسهم الفكرى .

* * *

متى Mathew

احد تلاميذ المسيح الاثنى عشر ، وينسب اليه الانجيل المعروف باسمه ، وكان متى قبل اتصاله بالمسيح من جباة الضرائب واسمهم فى ذلك العهد عشارون ، وكان متى جابيا فى كفر ناحوم من اعمال الجليل بفلسطين .

وكانت الجباية مهنة زرية لانها تحمل صاحبها على الظلم ، ثم انه معين من قبل الدولة الرومانية المغتصبة ، ولكن المسيح اختاره تلميذا من تلاميذه ، ولما صعد الى ربه جال للتبشير بالمسيحية فى بلاد كثيرة ، وقيل انه مات فى سنة ٧٠ بالحبشة على اثر ضرب مبرح انزله به احد اعوان ملكها ، وفى رواية أخرى أنه طعن برمح فى سنة ٦٢ بالحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة داعيا للمسيحية .

ومن المرجح أنه كتب انجيله بالعبرية ، لانه كتبه لليهود يبشرهم بالمسيحية ، وليقراه مؤمنوهم بها ، ولذلك قيل انه كتبه بوجهة نظر يهودية ، وانه انفرد باستعمال اللسان العبرى فى تحرير العهد الجديد، مظهرا المسيح بوصفه مسيا الموعود وملك شعب اسرائيل الحقيقى ، ورتبه حسب الموضوعات وليس حسب الوقائع فجمع اعمال المسيح واقواله حسب مشابهاتها ، فبدا النظام الجديد كأنه تتميم للنظام القديم وليس ناسخا له ، وبذلك استحق انجيله أن يوضع فى صدر العهد الجديد ، لكونه حلقة الاتصال بين العهدين القديم والحديث ، وبين الناموس والانجيل .

ومن المظنون أن تدوينه كان فى عهد قلوديوس قيصر الرومان ، وهذا الملك لم يكن هو الذى عاصر المسيح ، ولا الذى يليه ، بل الذى عاصر المسيح هو طيباريوس ، وولى من بعده غابيوس وملك اربع سنين وثلاثة شهور ، ثم جاء من بعده قلوديوس وملك اربع عشرة سنة ، ومن ثم يكون من المحتمل أن تدوين هذا الانجيل كان فى آخر العشرة الرابعة من ميلاد المسيح ، أو فى أول او آخر العشرة الخامسة ، وفى اوائل السادسة ، ثم ما عتم أن ترجم الى اليونانية وغلب استعمال الترجمة على الاصل الذى لعبت به ايدى النساخ بحيث اضحى ذلك الاصل خاملا بل فقيدا ، وذلك منذ القرن الحادى عشر .

ومن المحتمل أن يوحنا هو الذى ترجمه ، ويذهب الكثيرون الى أن المترجم مجهول ، ولا شك أن الجهل بتاريخ التدوين وبالنسخة الاصلية

العبرية وبالمترجم وحاله من الصلاح وعلمه بالدين وباللغتين المترجم منها والمترجم اليها ، كل هذا يؤدى الى زعزعة الثقة فى هذا الانجيل المعتبر الأول فى العهد الجديد .

وبالاضافة الى ذلك فانه بمقابلته بالاناجيل الثلاثة وكتب العهد القديم تتبين لنا اختلافات واغلاط جعلت البعض يجزم بعدم الهامية هذا الانجيل على غير ما يذهب اليه الآخرون ، فمثلا يذكر متى فى نسب المسيح ان يوسف هو ابن يعقوب ، بينما يؤكد لوقا فى انجيله انه ابن عالى ، ويذكر متى ان عيسى هو من أولاد سليمان بن داود ، بينما يقول لوقا أنه من أولاد ناتان بن داود ، وكذلك فان جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابل ملوك مشهورون عند متى ، ولكنهم عند لوقا ليسوا كذلك فيما عدا داود وناتان .

ويذكر متى ان شلتائيل هو ابن يكفيا ، بينما هو عند لوقا ابن نيرى، واسم ابن زوربابل عند متى هو ابيهود ، بينما هو ويصا عند لوقا ، ومع ذلك فان أولاد زوربابل فى الباب الثالث من السفر الاول من أخبار الأيام ليس فيهم ابيهود ولا ويصا على غير ماذكر متى ولوقا .

اما الفترة من داود الى المسيح فهى عند متى ستة وعشرون جيلا ، بينما هى واحد واربعون جيلا عند لوقا ، ولما كان بين داود والمسيح مدة الفا سنة ، فعلى الأول يكون فى مقابل كل جيل أربعون سنة ، وعلى الثانى خمس وعشرون ، ولابد أن يكون واحد من الاثنين مخطئا ، أو انهما كليهما مخطئان .

ولقد قيل ان متى كتب انجيله قبل لوقا ، ولكن الواضح ان انجيل متى لم يكن مشهورا ولا معتبرا فى وقته ، والا فكيف يتصور ان يكتب لوقا نسب المسيح ويخالف تحرير متى هذه المخالفة المحيرة .

بل ان الحيرة لتزداد عندما نعلم من متى فى الباب الثانى ان أبوى المسيح بعد ولادته ايضا كانا يقيمان فى بيت لحم ، ويفهم من بعض كلامه ان هذه الاقامة فيها كانت نحو سنتين ، وجاء المجوس هناك ، ثم رحلا الى مصر واقاما فيها حياة هيرود ، فلما مات عادا واقاما فى الناصرة . ويعلم من كلام لوقا ان أبوى المسيح بعدما تمت مدة نفاس مريم ذهبا الى أورشليم وقدما الذبيحة وعادا الى الناصرة واقاما فيها ، وكانا يذهبان منها الى اورشليم أيام العيد من كل عام . واقام المسيح فى السنة الثانية عشرة ثلاثة أيام فى أورشليم دون أن يعلم أبواه ، وكما يقول لوقا

لا سبيل لمجيء المجوس الى بيت لحم ، بل لو فرض مجيئهم لكان الى الناصرة لأن الطرق الى بيت لحم بعيد ، وكذا لا سبيل لذهاب ابويه الى مصر واقامتهما فيها ، لأن يوسف فى رأيه لم يترك اليهودية لا الى مصر ولا الى غيرها .

ويعلم من كلام متى ان اهل أورشليم وهيرود ، كانوا عالمين بولادة المسيح قبل ان يخبر المجوس بها ، وكانوا معاندين له ، بينما نعلم من كلام لوقا أن سمعان الذى أوحى اليه انه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح ، أخذ عيسى الطفل من ابويه عندما ذهبا به الى أورشليم لتقديم الذبيحة ، وحمله فى الهيكل وبين اوصافه ، وكذلك النبية حنة وقفت تسبح الرب فى تلك الساعة وأخبرت كل المنتظرين فى أورشليم ، فلو كان هيرود واهل اورشليم معاندين للمسيح لما اخبر به سمعان الممتلىء بروح القدس فى الهيكل الذى كان مجمع الناس فى كل حين ، ولما أخبرت به النبية فى أورشليم التى كانت تحت حكم هيرود .

ونعلم من الباب الرابع من انجيل مرقس ان المسيح صرف الجماعة التى كان يخاطبها بالأمثال ، وركب السفينة ونام ، ثم هبت الرياح وتقاذفت الأمواج السفينة ، اما متى فجعل ركوب السفينة واضطراب البحر فى الباب الثامن ، ومواعظ الامثال فى الباب الثالث عشر ، وبين البابين مدة من الزمن ، فهناك اختلاف بين متى ومرقس فى ذلك .

وفى الباب الحادى عشر جعل مرقس الحوار بين المسيح ورؤساء الكهنة فى اليوم الثالث من وصوله الى أورشليم ، بينما اورد متى هذا الحوار فى الباب الحادى والعشرين فى اليوم الثانى .

وجاء فى الباب الثامن من انجيل متى ان المسيح شفى الأبرص ثم عبد قائد المائة ثم حماة بطرس ، بينما جعل لوقا فى الباب الرابع شفاء حماة بطرس الاول ، ثم الباب الخامس شفاء الابرص ، ثم فى الباب السابع شفاء قائد المائة .

وفى الباب الاول من انجيل يوحنا سألوا يوحنا المعمدان هل هو ايليا ، فأجاب لست اياه ، ولكن المسيح فى انجيل متى يقول عنه فى الباب الحادى عشر انه ايليا المزمع ان يأتى ، وفى الباب السابع عشر أن ايليا الذى ينبغى ان يأتى اولا قد جاء ولكنهم لم يعرفوه « بل عملوا به كل ما ارادوا ، وكذلك ابن الانسان ايضا سوف يتألم منهم ، وحينئذ فهم

التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » ، ومن ثم نرى ان يوحنا والمسيح قد تناقضا فيوحنا ينكر انه ايليا والمسيح يؤكد انه ايليا .

ويقول المفسرون ان الاشارة فى الآية العاشرة من الباب الحادى العشر من انجيل متى « لأن هذا هو الذى كتب عنه هاءناذا مرسل ملاكى أمام وجهك يهيء طريقك قدامك » الى ماورد فى كتاب مـــلاخيا « هاءناذا مرسل ملاكى ، ويسهل الطريق امام وجهى » ، وبين المكتوب المنوه عنه والمنقول على لسان المسيح اختلاف من وجهين الاول انه لا يوجد « أمام وجهك » فى الأصل ، والثانى ان كلام ملاخيا بضمير المتكلم ونقله المسيح بضمير الخطاب . وكذلك فان الآية السادسة من الباب الثانى من انجيل متى تخالف الاية الثانية من الباب الخامس من كتاب ميخا .

وفى الباب العشرين كتب متى ان عيسى لمـــا خرج من اريحا وجد اعميين جالسين فى الطريق وشفاهما من العمى ، وكتب مرقس فى الباب العاشر من انجيله انه وجد اعمى واحدا اسمه باريتمارس فشفاه .

وفى الباب الثامن كتب متى ان عيسى لمـــا جاء الى العبر الى كورة الجدريين استقبله مجنونان خارجان من القبور فشفاهما ، وكتب مرقس فى الباب الخامس ولوقا فى الباب الثامن أنه استقبله مجنون واحد خارجا من القبور فشفاه .

وفى الباب الحادى والعشرين كتب متى أن عيسى ارسل تلميذين الى القرية ليأتيا بالأتان والجحش وركب عليهما ، وكتب مرقس ولوقا ويوحنا ليأتيا بالجحش فأتيا به وركب عليه .

وفى الباب الحادى عشر قال متى ان يوحنا كان لا يأكل ولا يشرب ، بينما ذكر مرقس فى الباب الاول انه كان يأكل الجراد والعسل البرى .

وفى مسألة ايمان الحواريين قال متى ان عيس لقى بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا على بحر الجليل فدعاهم الى الايمان وتبعوه ، ويكتب يوحنا فى انجيله انه لقى غير يعقوب عند عبر الاردن ، وبينما يقول متى انه لقى اولا بطرس واندراوس على بحر الجليل ، ثم لقى بعد زمان قليل يعقوب ويوحنا على هذا البحر ، يقول يوحنا ان يوحنا وأندراوس لقياه اولا فى قرب عبر الاردن ثم جاء بطرس بهداية اخيه أندراوس ، ثم فى الغد لمـــا اراد يسوع ان يخرج الى الجليل لقى فيلبس ثم جاء نثنائيل بهداية فيلبس ولم يذكر يعقوب .

ويقول متى انه لما لقيهم كانوا مشتغلين بالقاء الشبكة واصلاحها ولا يذكر يوحنا الشبكة بل ذكر ان يوحنا واندراوس سمعا وصف عيسى من يوحنا المعمدان فتبعاه ، ثم تبعه بقية الحواريين بدعوته او بهداية أحد .

وفى قصة ابنة الرئيس يقول متى فى الباب التاسع ان الرئيس جاء الى عيسى فقال ان ابنتى ماتت ، وقال مرقس فى الباب الخامس انه جاء وقال ابنتى قاربت الموت ، فذهب عيسى معه ، فلما كانوا فى الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها .

وفى الباب العاشر يقول متى فى الآية العاشرة ان عيسى لما ارسل الحواريين كان قد منعهم من اخذ العصا ، ولكن مرقس فى الآية الثامنة من الباب السادس يقول انه كان قد اجازهم لأخذ العصا .

ويتناقض انجيل متى مع نفسه ومع انجيل يوحنا فى رواية تعميد يوحنا للمسيح ، فبينما يذكر متى فى الباب الثالث ان عيسى قد جاء الى يوحنا ليعتمد منه فكان يوحنا يمانعه قائلا انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتى الى فأجابه اليسوع قائلا دع الآن فهكذا ينبغى لنا ان نتم كل بر ، وحينئذ تركه ، فلما أعتمد يسوع صعد للوقت من الماء فانفتحت له السموات وراى روح الله نازلا مثل حمامة وحالا عليه ، نراه يذكر فى الباب الحادى عشر أن يوحنا لما سمع وهو فى السجن بأعمال المسيح ارسل اثنين من تلاميذه اليه ليقولا له انت الآتى ام ننتظر آخر ، فكان يوحنا المعمدان فى رواية الباب الثالث كان يعرف المسيح ، وفى رواية الباب الحادى عشر لم يكن يعرفه وهذا تناقض . وفى الباب الاول من انجيل يوحنا يقول المعمدان لم اكن اعرفه وعرفته بنزول الروح مثل حمامة واستقراره عليه ، فعلم من انجيل متى فى الباب الثالث ان المعمدان كان يعرف المسيح قبل نزول الروح ، بينما علم من انجيل يوحنا ان المعمدان ماعرفه الا بعد نزول الروح .

ويقول متى فى الباب الخامس عشر ان المرأة المستغيثة لأجل شفاء ابنها كانت كنعانية ، بينما يقول مرقس فى انجيله فى الباب السابع انها كانت يونانية جنسها من فينيقية سورية .

ويبالغ متى فى الباب الخامس عشر فيقول ان جموعا كثيرة دنت من المسيح معهم خرس وعميان وعرج ومعتوهون وآخرون كثيرون فطرحوهم

عند أقدامه فشفاهم ، بينما يجعل مرقس فى الباب السابع من انجيله هذا الكثير واحدا فقط اصما اخرسا فشفاه .

وفى الباب السادس والعشرين يقول متى ان عيسى قال مخاطبا الحواريين ان واحدا منكم يسلمنى ، فحزنوا جدا وابتدا كل واحد منهم يقول هل هو انا يارب ، فقال الذى يغمس يده معى فى الصفحة يسلمنى ، فأجاب يهوذا هل انا هو ياسيدى ، فقال له انت قلت . وفى الباب الثالث عشر من انجيل يوحنا رواية مخالفة فان عيسى عندما يقول ان واحدا منكم يسلمنى ، ينظر التلاميذ الى بعضهم متحيرين ، ثم يشير بطرس الى واحد منهم ويسأل فيجيب المسيح هو ذاك الذى أغمس انا اللقمة واعطيه ، فغمس اللقمة واعطاها يهوذا . وفى نفس الباب كتب متى ايضا ان يهوذا كان قد قال لليهود امسكوا من أقبله ، وجاء معهم وتقدم الى عيسى وقال السلام ياسيدى وقبله فأمسكوه ،بينما يذكر يوحنا رواية مخالفة فى انجيله فى الباب الثامن عشر فيقول ان يهوذا أخذ الجند الى يسوع ،فخرج يسوع وقال لهم من تطلبون فأجابوه يسوع الناصرى ، فقال لهم انا هو ، وكان يهوذا مسلمه ايضا واقفا معهم ، فلما قال لهم انى انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض فسألهم مرة اخرى من تطلبون ، فقالوا يسوع الناصرى ، فأجاب قد قلت لكم انى انا هو ، فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ، فقبضوه وامسكوه .

واختلف الانجيليون الثلاثة مع متى فى بيان انكار بطرس ، فقال متى ان من ادعى على بطرس انه من تلاميذ عيسى جاريتان والرجال قيام ، وقال لوقا بل امة ورجلان ، وقال متى ان بطرس كان فى ساحة الدار عندما سئلت الجارية ، وقال لوقا فى وسط الدار ، وقال مرقس بل اسفل الدار ، وقال يوحنا داخل الدار .

وقال متى ان صياح الديك كان ثلاث مرات بعد انكار بطرس ، وقال مرقس كان مرة بعد الانكار الاول ، ومرة أخرى بعد الانكارين الثانى والثالث .

ويروى متى عن عيسى انه قال ان بطرس ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك ، بينما يروى مرقس انه قال انه قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات .

وعلى رواية متى فان جواب بطرس للجارية التى سألت عنه لا ادرى ما تقولين ، بينما هوعلى رواية يوحنا لا فقط ،وعلى رواية مرقس

لست ادرى ولا اعرف ما تقولين . وعلى رواية لوقا يامراة انى لست اعرفه . واما جواب بطرس على السؤال الثانى فكان على رواية متى بعد الحلف والانكار هكذا « ما اعرف هذا الرجل » وعلى رواية يوحنا « لست أنا » ، وعلى رواية مرقس الانكار فقط ، وعلى رواية لوقا يارجـــل أنا لست منهم .

وكتب متى أن اللصين اللذين صلبا مع المسيح كانا يعيرانه ، وكتب لوقا أن أحدهما عيره والآخر زجره .

ويعلم من الباب العشرين والحادى والعشرين من انجيل متى أن عيسى ارتحل من أريحا وجاء الى اورشليم . ويعلم من الباب الحادى عشر والثانى عشر من انجيل يوحنا أنه ارتحل من افرايم وجاء الى قرية بيت عينا وبات فيها ثم جاء الى اورشليم .

ويعلم من متى أن مريم المجدلية ومريم الاخرى لـــما وصلت الى قبر المسيح نزل ملاك الرب ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليه . ويعلم من مرقس انهما وسالومة لـــما وصلن الى القبر رأين أن الحجر مدحـــرج . ولـــما دخلن القبر رأين شابا جالسا عن اليمين . ويعلم من لوقا أنهن لـــما وصلن وجدن الحجر مدحرجا فدخلن ولم يجدن جســـد المسيح فصرن محتارات ، فاذا رجلان واقفان بثياب براقة .

ويتناقض متى مع نفسه ففى حين يقول فى الباب الخامس على لسان المسيح طوبى لصانعى السلام لانهم يدعون أبناء الله . يذكر فى البـــاب العاشر قول المسيح ولا تظنوا أنى جئت لالقى سلاما على الارض . ماجئت لالقى سلاما بل سيفا .

واختلف متى ومرقس ولوقا فى اسم الحوارى الثانى عشر فذكـــر الاول ان اسمه لباوس الملقب بتداوس . وقال الثانى هو تداوس ، وقال الثالث انه يهوذا أخو يعقوب .

وقال متى على لسان عيسى فى حق بطرس « وانا اقول لك ايضا أنت بطرس . وعلى هذه الصخرة ابن كنيستى . وابواب الجحيم لن تقوى عليها ، واعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الارض يكون محـــلولا فى السموات» ، ومع ذلك وصف متى ثانية بطرس على لسان المسيح ايضا بعد ذلك بثلاثة أسطر « اذهب خلفى ياشيطان فقد صرت لى شكا لانك

لاتفطن لمـــا لله لكن لمـــا للناس » ، فكيف يكون شيطانا وشكا للمسيح ومع ذلك يكون الصخرة التى يبنى عليها كنيسته والتى لا تقــوى عليها ابواب الجحيم ؟

ويقول متى عن الصوت الذى سمع من السموات وقت نزول روح القدس على عيسى أنه « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » ، بينما يقول عنه مرقس « انت ابنى الحبيب الذى به سررت » ، ويقــول لوقا « أنت الحبيب بك سررت » .

وفى الباب الحادى والعشرين يقول متى بعد بيان مثل غارس الكرم « فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ، قالــوا اولئــك الارديناء يهلكهم اهلاكا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الاثمار فى أوقاتها . ويروى لوقا هذه الحكاية بطريقة مخالفة هكذا « فماذا يفعل بهم صاحب الكرم ، يأتى ويهلك هؤلاء الكرامين ويعطى الكرم للآخرين ؛ فلما سمعوا قالو حاشا » ، فمتى ينسب اليهم طلب الاهلاك بينــما ينكره لوقا .

وفى رواية المراة التى افرغت قارورة الطيب على عيسى ، جعل متى الواقعة فى بيت سمعان الابرص ، بينما جعلها يوحنا فى بيت مريم ، وقال متى ان المراة افاضت الطيب على راس يسوع ، وذكر يوحنا انه كان على القدمين .

وافاد متى ان المعترضين كانوا تلاميذ المسيح واكد مــرقس انهم كانوا اناسا من الحاضرين ، وقال يوحنا أن المعترض كان يهوذا .

وفى العشاء الربانى يذكر متى كاسا واحدة ، ويجعلها لوقا كاسين واحدة على العشاء وأخرى بعده .

وتفيد رواية لوقا أن جسد المسيح مبذول عن التلاميذ ، ورواية مرقس تفيد ان دمه يراق عن كثيرين ، وتقتضى رواية متى أن جسده غير مبذول عن احد ، ولا دمه يراق عن احد ، بل الذى يراق هو العهد الجديد، وان كان العهد لا يريق ولا يراق .

ويعلم من كلام متى من الباب الثامن أن قائد المــائة جاء الى عيسى بنفسه ، بينما يذكر لوقا فى الباب السابع من انجيله انه ماأتى بنفسه بل ارسل اليه شيوخ اليهود .

وفى الباب الثامن ايضا يورد متى سؤال الكاتب بأن يتبعه واستئذان رجل لدفن ابيه وقصصا أخرى ثم قصة التجلى فى الباب السابع عشر ، بينما يذكر لوقا السؤال والاستئذان فى الباب التاسع من انجيله بعد قصة التجلى ، فأحد البيانين غلط .

وفى الباب التاسع كتب متى قصة المجنون الاخرس ، ثم فى الباب العاشر قصة اعطاء الحواريين القدرة على الاشفاء وقصصا أخرى ، ثم ذكر قصة التجلى فى الباب السابع عشر ، بينما كتب لوقا قصة اعطاء القدرة على الاشفاء فى الباب التاسع ، ثم قصة التجلى ، ثم فى هذا الباب والباب العاشر واول الحادى عشر قصصا اخرى ، ثم ذكر قصة المجنون الاخرس .

وفى الباب السابع والعشرين قال متى ان المسيح صرخ الهى الهى لماذا تركتنى ، بينما قال لوقا فى الباب الثالث والعشرين ياأبتاه فى يديك استودع روحى .

ويعلم من كلام متى أن الذين استهزءوا بعيسى والبسوه اللباس كانوا جند بيلاطس لا هيرودس ، ويعلم من كلام لوقا خلافه ، وكذلك قال متى انهم سقوا المسيح الخل، بينما يذكر مرقس انهم أعطوه خمرا ممزوجا بمر فلم يذقه .

وبالاضافة الى هذه الاختلافات الظاهرة بين الانجيليين الاربعة ، الامر الذى يزعزع الثقة فيها لامحالة ، ومنها انجيل متى الذى نحن بصدده توجد اغلاط كثيرة ، ففى الاية السابعة عشرة من الباب الاول « فكل الاجيال من ابراهيم الى داود اربعة عشر جيلا ، ومن داود الى جلاء بابل اربعة عشر جيلا ، ومن جلاء بابل الى المسيح اربعة عشر جيلا » ، ويعلم منها ان بيان نسب المسيح يشتمل على ثلاثة اقسام ، وكل قسم منها يشتمل على اربعة عشر جيلا ، وهو غلط صريح ، لأن القسم الاول يتم على داود ، واذا كان داود داخلا فى هذا القسم يكون خارجا من القسم الثانى لا محالة ، ويبتدىء القسم الثانى لا محالة من سليمان ويتم على يكنيا ، واذا دخل يكنيا فى هذا القسم كان خارجا من القسم الثالث ، ويبتدىء القسم الثالث من شلتائيل لامحالة ويتم على المسيح ، وفى هذا القسم لايوجد الا ثلاثة عشر جيلا .

وفى العبارة الحادية عشرة من هذا الباب ايضا « ويوشيا ولد يكنيا واخوته فى جلاء بابل » ويعلم منها أن ولادة يكنيا واخوته من يوشيا فى

جلاء بابل ، فيكون يوشيا حيا فى هذا الجلاء ، وهذا غلط بأربعة أوجه ، الاول أن يوشيا مات قبل هذا الجلاء باثنى عشر عاما ، لانه جلس بعد موته ياهوحاز ابنه على سرير الملك ثلاثة اشهر ، ثم جلس يواقيم ابنه الاخر احدى عشرة سنة ، ثم جلس يكنيا بن يواقيم ثلاثة اشهر حتى أسره بختنصر واجلاه مع بنى اسرائيل الآخرين الى بابل ، والثانى أن يكنيا ابن ابن يوشيا لاابنه كما عرفت، والثالث انيكنيا كانفى الجلاء ابنثمانى عشرة سنة فما معنى ولادته فى جلاء بابل ، والرابع أن يكنيا ماكان له أخوة ، ولكن كان لأبيه ثلاثة اخوة .

وفى الآية الثامنة من الباب الاول « يورام ولد عزيا ، وهذا غلط بوجهين ، الأول انه يعلم منه ان عزيا بن يورام وليس هو كذلك لانه ابن احزيا بن يواشى بن امصياه بن يورام ، وثلاثة أجيال ساقطة هنا ، وهذه الثلاثة كانوا من الملوك المشهورين ، واحوالهم مذكورة فى الباب الثامن والثانى عشروالرابع عشرمن سفر الملوك الثانى والباب الثانى والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين من السفر الثانى من اخبار الايام .

وفى الاية الثانية عشرة من الباب الاول من انجيل متى ان زوربابل ابن شلتائيل ، وهو غلط ايضا لانه ابن فدايا وابن اخ شلتائيل كما هو مصرح فى الباب الثالث من السفر الاول من اخبار الايام .

وفى الاية الثالثة عشرة من الباب الاول من انجيل متى أن أبيهود بن زوربابل وهو غلط ايضا ، لان زوربابل كان له خمسة ابناء كما هو مصرح فى العبارة التاسعة عشرة من الباب الثالث من السفر الاول من اخبار الايام ، وليس فيهم احد بهذا الاسم .

وفى الباب الاول ايضا يذكر متى ان العذراء تحبل وتلد ابنا يدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا ، وهو غلط لانه لم يعرف أن أحد أسماء عيسى عمانوئيل .

وفى العبارة السادسة عشرة من الباب الثانى كتب متى أن هيرودس لما سخر منه المجوس ارسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون ذلك بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس ، وهو افتراء واضح لانه لم يحدث ان كتب احد من مؤرخى اليهود المعتبرين أن حادثة جسيمة كهذه قد وقعت ، ولو كانت قد وقعت

لأوردها يوسيفسى مؤرخهم على كثـــرة ما تصفح من عيوب هـــيرودس وجرائمه .

وفى العبارة الثالثة والعشرون من الباب الثانى كتب متى « واتى وسكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ماقيل بالانبياء أنه سيدعى ناصريا وهذا غلط لانه لا يوجد فى كتاب من كتب الانبياء مثل هذه النبوءة ، وينكرها اليهود اشد الانكار .

وفى العبارة الثالثة من الباب الرابع عشر يقول متى « فان هيرودس كان قد امسك يوحنا وطرحه فى السجن من اجل هيروديا امـــراة فيلبس اخيه » . وهو غلط لان اسم زوج هيروريا كان هيرودس أيضا لا فيلبس كما صرح يوسيفس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه.

وفى العبارة الثامنة والعشرين من الباب التاسع عشر يقول متى « فقال لهم يسوع الحق اقول لكم انكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون انتم ايضا على اثنى عشر كرسيا » فشهد عيسى للحواريين الاثنى عشر بالفـــوز والنـــجاة والجلوس على اثنى عشر كرسيا ، وهو غلط لان يهـــوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر ، وقد ارتد ومات مرتدا على ماذكر متى ، فلا يمكن ان يجلس على الكرسى الثانى عشر ، وتكذب نبوءة المسيح .

* * *

مرقس Marcus

صاحب الانجيل المعروف باسمه ، جاء فى اعمال الرســل ان بطرس عندما خرج من سجنة « فكر ثمتوجه الى بيت مريم اميوحنا الملقب مرقس» (الفصل الثانى عشر) ، وفى رسالة بولس الى اهل كولسى « مـــرقس نسيب برنابا » (الفصل الرابع) ، ويرجح أن مرقس اتبع الرب بواسطة بطرس لانه يدعوه ابنه « ومرقس ابنى » (الفصل الخامس من الرسالة الاولى) ، ويظن أن مرقس هو الشاب الذى تبع المسيح ليـــلة تسليمه « حينئذ تركه تلاميذه كلهم وهربوا ، وكان يتبعه شاب عليه ازار على عريه فأمسكوه ، فترك الازار وهرب منهم عريانا » (انجيـــل مرقس ، الفصل الرابع عشر) .

ويرجح انه ولد فى اورشليم لان امه سكنت هناك وكانت ذات مكانة بين المسيحيين الاوائل ، فان بطـــرس لمـــا اطلق من السجن ذهب الى

بيتها « ففكر وتوجه الى بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلون » (أعمال الرسل ، الفصل الثانى عشر) .

ولم يكن مرقس من الحواريين الاثنى عشر الذين تتلمذوا للمسيح واختصهم بالزلفى اليه ، وهو من أوائل الذين اجابوا دعوته فاختاره من بين السبعين الذين نزل عليهم روح القدس فى اعتقادهم من بعد رفعــه والهموا بالتبشير بالمسيحية كما الهموا مبادئها .

وتجمع التقاليد المسيحية على أن الرب يسوع كان يتردد على بيته، وانه فى هذا البيت اكل الفصح مع تلاميذه ، وفى احدى غرفه حل الروح القدس على التلاميذ ، وجاء فى سفر الاعمال أن الرسل بعد صعود المسيح كانوا يجتمعون فى بيته .

ولازم مرقس خاله برنابا وبولس الرسول فى رحلتهما الى انطاكية وتبشيرهما بالمسيحية فيها ، ثم تركهما بعد ذلك وعاد الى أورشليم ،وقال صاحب كتاب مروج الاخبار فى تراجم الابرار « ان مرقس كان ينكر الوهية المسيح » ، وبولس هو صــاحب الدعــوة « أن يســوع هو ابن الله » (اعمال الرسل ، الفصل التاسع) ، ومن المحتمل أن مرقس لم تعجبه دعوة بولس فقد كان مرقس تلميذا لبطرس ومترجما له ، وبطرس لميقبل بألوهية المسيح ، فلما التقى مرقس ببرنابا وبولس بعد ذلك ارتأى برنابا أن يأخذا معهما مرقس ، ولكن بولس كان يستحسن أن لا يؤخذ معهما من كان فارقهما من بمفيلية ولم يذهب معهما للعمل ، فوقع بينهما مشاجرة حتى فارق أحدهما الآخر ، فأخذ برنابا مرقس وأقلع الى قبرص (أعمال الرسل ، الفصل السادس عشر) .

وبرنابا هذا هو صاحب انجيل برنابا المزعوم الذى ينكر الوهيــة المسيح تصريحا ويبشر بمحمد ويسميه رسول الله ، ومن المظنــون أنه ما كان من الممكن أن يختلف برنابا وبولس حول مرقس لسبب بسيط كهذا!، والمرجح ان المشاجرة كانت لاسباب اقوى هى التى ذكرها صاحب كتاب مروج الاخبار فى تراجم الأبرار « كان مرقس ينكر الوهية المسيح » ،ومع ذلك فقد تصالح مع بولس فرافقه الى رومية .

وكان مرقس مع بطرس لمــا كتب رسالته الاولى ، واتفق الاباء على أن مرقس هو مترجم بطرس ، فربما كان يترجم له فى بعض المواضع، او انه كتب انجيله تحت ارشاد الرسول كما يستدل من بعض الايات ،

فظن بعضهم ان بطرس كتب بعض الحوادث التى شاهدها ، وان مرقس كتب انجيله بعد مطالعة هذه الكتابات ، وقال البعض ان خطاب بطرس لكرنيليوس هو ملخص إنجيل مرقس ، ولكن مرقس لم يكتب انجيله باللغة العبرية وانما باللغة اليونانية ، وهذا ماحدا بالبعض الى أن يقول انه قصد به المسيحيين الرومانيين ، والمؤكد انه قد كتب بشارته للامم ، وقيل كتبها بتدبير من بطرس سنة ٦١ لنفع الأمم الذين كان ينصرهم بخدمته .

واختلفوا فى تحديد تاريخه فقيل انه ربما بين عام ٦٥ و ٦٨م ، وقالوا ان جزءه الاخير وجد فى بعض المخطوطات القديمة ولم يوجد فى البعض الآخر مثل المخطوطة السينيائية ومخطوطة الفاتيكان ، فكأنهم اختلفوا فى كاتبه هل هو بطرس ، أم مرقس بارشاد بطرس ، واختلفوا فى زمن كتابته هل كان خلال حياة بطرس ، أو بعد وفاته ووفاة بولس ، واختلفوا فى حجمه والحوادث التى يضمها .

ويعلم من الباب الرابع منه ان المسيح أمر الجماعة بالذهاب ثم حدث اضطراب البحر بعد وعظ التمثيلات ، ويخالفه انجيل متى فى الباب الثامن حيث يجعل الحالين المذكورين بعد موعظة الجبل ، وكتب وعظ التمثيلات فى الباب الثالث عشر ، فهذا الوعظ متأخر عن الحالين المذكورين تأخرا كثيرا ، لان بين الوعظين مدة طويلة ، فأحدهما غلط لان التقديم والتأخير فى تاريخ الوقائع وتوقيت الحوادث من الذين يدعون أنهم يكتبون بالالهام أو يدعى لهم ذلك بمنزلة المنقضة .

وكتب مرقس فى الباب الحادى عشران مباحثة اليهود والمسيح كانت فى اليوم الثالث من وصوله اورشليم ، وكتب متى فى الباب الحادى والعشرين أنها كانت فى اليوم الثانى ، فأحدهما غلط .

وفى الفصل الاول كتب مرقس « كما هو مكتوب بأشعيا النبى هاءنذا مرسل ملاكى أمام وجهك يهيء طريقك قدامك (الاية الثانية) ، ويقول المفسرون انه نقلها من الآية الاولى من الباب الثالث من كتاب ملاخيا « هاءنذا مرسل ملاكى فيهيىء الطريق أمامى » ، وبين المنقول والمنقول عنه اختلاف بوجهين ، أولا أن « أمام وجهك » غير موجودة فى الاصل ، والثانى ان كلام ملاخيا بضمير المتكلم ونقل عنه مرقس بضمير الخطاب ، وينسب البعض هذه المخالفة الى وقوع التحريف فى النسخ القديمة .

وفى الباب العاشر كتب مرقس ان المسيح لما خرج من اريحا وجد اعمى واحدا اسمه باريتمارس فشفاه ، أما متى فيقول فى الباب العشرين

انه وجد اعميين جالسين فى الطريق فشفاهما من العمى . وشبيه بذلك أن مرقس كتب فى الباب الخامس ان المسيح لما جاء الى العبر الى كورة الجدريين استقبله مجنون واحد خارجا من القبور فشفاه ، بينما يقول متى فى الباب الثامن ان مجنونين استقبلاه فشفاهما .

وايضا يذكر متى فى الباب الحادى والعشرين ان المسيح ارسل تلميذين الى القرية ليأتيا بالاتان والجحش وركب عليهما ، بينما قال مرقس ليأتيا بالجحش فأتيا به وركب عليه .

وفى الباب الاول يقول مرقس انيوحنا كان يأكل جرادا وعسلا بريا، بينما يؤكد متى فى الباب الحادى عشر انه كان لا يأكل ولا يشرب .

وبينما يقول مرقس ان المسيح لقى بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا على بحر الجليل فهداهم الى الايمان وتبعوه ، يؤكد يوحنا فى انجيله انه لقى غير يعقوب ، ويكتب مرقس انهلقى اولا بطرس واندراوس ثم يعقوب ويوحنا ، بينما يقول يوحنا ان يوحنا واندراوس لقياه اولا فى قرب عبر الاردن ، ثم جاء بطرس بهداية أخيه اندراوس ، ثم فى الغد كما اراد يسوع ان خرج الى الجليل لقى فيلبس ، ثم جاء نتنائيل بهداية فيلبس ولم يذكر يعقوب .

وقال مرقس انه لما لقيهم كانوا مشتغلين بالقاء الشبكة واصلاحها، ولا يذكر يوحنا الشبكة .

وفى قصة ابنة الرئيس يختلف انجيل مرقس عن انجيل متى ، فعند متى يجىء الرئيس الى عيسى ويقول ان ابنتى ماتت ، وعند مرقس يجىء قائلا ابنتى قاربت الموت ، فذهب عيسى معه ، فلما كانوا فى الطريق جاءت جماعة الرئيس فأخبروه بموتها .

ويعلم من الاية العاشرة من الباب العاشر من انجيل متى ، والاية الثالثة من الباب التاسع من انجيل لوقا أن عيسى لما ارسل الحواريين كان منعهم من اخذ العصا، ويعلم من الاية الثامنة من الباب السادس من انجيل مرقس انه كان قد أجازهم لاخذها .

ويجعل متى فى الباب الخامس عشر المراة المستغيثة لاجل شفاء ابنتها كنعانية ، ويجعلها مرقس فى الباب السابع يونانية باعتبار قومها وفينيقية باعتبار قبيلتها .

وفى الباب السابع كتب مرقس ان عيسى أبرا واحدا كان اصم وأبكم ، وبالغ متى فى الباب الخامس عشر فجعل هذا الواحد جمعا غفيرا، وقال يوحنا واشياء اخرى كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست اظن ان العالم نفسه يسع المكتوبة .

وفى رواية انكار بطرس اختلف مرقس مع الانجيليين الثلاثة ، فعلى روايته أن جارتين ادعتا انه من تلاميذ عيسى ، والرجال قيام ، وعلى رواية لوقا امه ورجلان .

وكان بطرس وقت سؤال الجارية اسفل الدار على رواية مرقس، وفى ساحة الدار على رواية متى ، ووسط الدار على رواية لوقا ، وداخل الدار على رواية يوحنا .

وكان صياح الديك مرة بعد انكار بطرس ، ومرة أخرى بعد انكاره مرتين على رواية مرقس ، وثلاث مرات على رواية متى ولوقا ويوحنا .

وروى مرقس ان المسيح قال قبل ان يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات ، بينما بحسب رواية متى ولوقا انه قال تنكرنى ثلاث مرات .

وكان جواب بطرس على سؤال الجارية على رواية مرقس لست ادرى ولا عرف ما تقولين ، وعلى رواية متى ما ادرى ما تقولين ، وعلى رواية وحنا لا فقط ، وعلى رواية لوقا يا امراة ما اعرفه .

وكان جواب بطرس للسؤال الثانى على رواية مرقس الانكار فقط، وعلى رواية لوقا يارجل ما انا هو ، وعلى رواية متى كان بعد الحلف والانكار ما اعرف هذا الرجل .

وكان الرجال القيام وقت السؤال خارج الدار على ما يفهم مرقس، وكانوا وسط الدار على ما يفهم لوقا .

ويفهم من انجيل مرقس ان عيسى كان على الصليب نحو الساعة السادسة ، ومن انجيل يوحنا انه كان فى هذا الوقت فى حضور بيلاطس النبطى .

وكتب مرقس ان اللصين اللذين صلبا معه كانا يعيرانه ، وكتب لوقا ان احدهما عيره والاخر زجره .

ويعلم من متى ان مريم المجدلية ومريم الاخرى لما وصلتا الى القبر نزل ملاك الرب ودحرج الحجر عن القبر وجلس عليه وقال لا تخافا واذهبا سريعا . ويعلم من مرقس انهما وسالومة لما وصلن الى القبر راين أن الحجر مدحرج ، ولما دخلن القبر راين شابا جالسا عن اليمين.

ومن الباب السادس عشر عنده أن النساء اتين الى القبر اذ طلعت الشمس ، ومن الباب العشرين من انجيل يوحنا ان الظلام كان باقيا وكانت هناك امراة واحدة .

ومن العنوان الذى كتبه بيلاطس ووضعه على الصليب فى الاناجيل الاربعة أن مرقس قال ملك اليهود ، ومتى قال هذا هو يسوع ملك اليهود، ولوقا هذا هو ملك اليهود ، ويوحنا يسوع الناصرى ملك اليهود . والعجب ان لا يبقى هذا الامر البسيط محفوظا عند الانجيليين الاربعة فكيف يعتمد على حفظهم فى الاخبار الطويلة ؟

ويعلم من الباب السادس من انجيل مرقس ان هيرودس كان يعتقد فى حق يوحنا المعمدان الصلاح ، وكان راضيا عنه ويسمع وعظه وما ظلم عليه الا لاجل رضا هيروديا ، ويعلم من الباب الثالث من انجيل لوقا انه ما ظلم على يوحنا لاجل رضا هيروديا بل لاجل رضا نفسه ايضا ، لانه ماكان راضيا عن يوحنا لاجل الشرور التى كان يفعلها .

ولقد اتفق مرقس مع الانجيليين الثلاثة فى اسماء احد عشر من الحواريين ولكنه اختلف معهم فى اسم الثانى عشر فقال انه تداوس ؛ بينما ذكر متى انه لباوس الملقب بتداوس ، ولوقا انه يهوذا اخو يعقوب.

ونقل مرقس الصوت الذى سمع فى السموات وقت نزول روح القدس على عيسى فقال انه انت ابنى الحبيب الذى به سررت ، وقال متى هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت ، وقال لوقا أنت ابنى الحبيب بك سررت .

وفى الباب العاشر نقل مرقس ان ابنى زيدى طلبا ان يجلسا عن يمينه وعن يساره ، بينما نقل متى فى الباب العشرين ان أم ابنى زيدى هى التى طلبت هذا الامر .

ولو قارنا قصة المراة التى أفرغت قارورة الطيب على عيسى فى الباب الرابع عشر من انجيل مرقس والباب السادس والعشرين من انجيل متى والباب الثانى عشر من انجيل يوحنا ، نجد فيها اختلافا من خمسة أوجه ، الاول ان مرقس صرح بأن هذا الامر كان قبل الفصح

بيومين ، ويوحنا صرح بأنه كان قبل الفصح بستة ايام ، ومتى سكت عن بيان ذلك . والثانى أن مرقس ومتى جعلا هذه الواقعة فى بيت سمعان الابرص ، ويوحنا جعلها فى بيت مريم . والثالث انمتى ومرقس جعلا افاضة الطيب على الراس ، ويوحنا جعلها على القدمين، والرابع ان مرقس يفيد ان المعترضين كانوا اناسا من الحاضرين ، ومتى يفيد أنهم كانوا التلاميذ ، ويوحنا يفيد ان المعترض كان يهوذا . والخامس ان يوحنا بين ثمن الطيب فقال انه ثلاثمئة دينار ، ومرقس بالغ فقال اكثر من ثلاثمئة ، بينما أبهم متى الثمن فقال بثمن كثير .

وفى رواية العشاء الربانى ذكر مرقس فى الباب الرابع عشر كأسا واحدة ، بينما ذكر لوقا كأسين ، واحدة على العشاء واخرى بعده .

وفى رواية الصلب ذكر مرقس فى الباب الخامس عشر انه تم فى الساعة الثالثة ، وصرح يوحنا فى الباب التاسع عشر انه كان الى الساعة السادسة عند بيلاطس .

ثم ذكر مرقس ان المسيح صرخ بصوت عظيم الهى الهى لماذا تركتنى ، بينما قال لوقا أنه نادى بصوت عظيم وقال يا ابت فى يديك استودع روحى .

ويفهم من كلام مرقس انالذين استهزءوا بعيسى والبسوه اللباس كانوا جند بيلاطس لا هيرودس ، ويعلم من كلام لوقا خلافه .

ويعلم من كلام مرقس انهم اعطوا عيسى خمرا ممزوجة بمر فلم يذقه ، ويعلم من كلام الانجيليين الآخرين انهم اعطوه خلا ، ويعلم من متى ويوحنا انه سقى هذا الخل .

وفى الباب السادس قال مرقس « لان هيرودس نفسه كان قد ارسل وامسك يوحنا وأوثقه فى السجن من اجل هيروديا امراة فيلبس أخيه » ، وهذا غلط لان اسم زوج هيروديا كان هيرودس ايضا لافيلبس كما صرح يوسيفس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه .

وفى الباب الثانى قال مرقس « فقال لهم أما قراتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله فى أيام ابيا ثار رئيس الكهنة واكل خبز التقدمة الذى لايحل اكله الا للكهنة واعطى الذين كانوا معه ايضا » ، وهذا غلط لان داود كان منفردا ماكان معه احد فى

هذا الوقت ، فقوله والذين معه غلط ، وكذا قوله واعطى الذين كانوا معه ، ولان رئيس الكهنة فى تلك الايام كان اخـا ملك لا ابياثار ، واما ابياثار فهو ابن اخى ملك ، فقوله فى أيام ابياثار رئيس الكهنة غـلط ، فهذه ثلاثة اغلاط من مرقس فى آيتين .

ومن ذلك يتبين ان مرقس لم يكن معصوما عن الخطأ والنسيان ، وكذلك لم يكن معصوما فى التبليغ والتحرير ، وان انجيله من ثم لميكتب بالهام المسيح لان الغلط لايصح ان يكون الهاميا ومن جانب الله ، وهو يوجد فى هذا الانجيل بلا ريب وكما عرفنا ، او انه يوجد فى ثـلاثة من الاناجيل لان الاربعة تتضارب أقوالهم وليسوا على اتفاق .

* * *

المسيحانية Messianism

(انظر المهدى المنتظر) .

* * *

مندلسون Mendelssohn

(١٧٢٩ ــ ١٧٨٦) موسى مندلسـون ، المـانى اطلقـوا عليه موسى الثالث ، حيث الاول هو النبى موسى ، والثانى موسى بن ميمون اكبر فلاسفتهم فى دائرة الثقافة الاسلامية ، وأما مندلسون فهو مؤسـس حركة الاستنارة « الهاسكلاه » التى تدعـو الى تثقيف اليهود بالثقافة العلمانية كسبيل للاندماج فى مجتمعاتهم والاخذ باسـباب الحضـارة الجديدة ، بالاضافة الى الثقافة العبرية التى هى خاصتـهم القديمة ، واهم عناصرها اللغة العبرية وعاء هـذه الثقـافة ، وليـس اللـغة الديشية التى كانت شائعة بين يهود اوربا آنذاك .

وفلسفته التى يقوم عليها تعليمه ان اليهود عـزلوا انفسـهم فى جيتو عقلى يتوازى مع الجيتو السـياسى الذى فرضه عليهم الاغيار ، وانه لكى يتحرر اليهود من الجيتو السياسى لا بد ان يحطموا الجيتـو العقلى الموازى ، ولان مندلسون عقلانى فقد رفض الاقرار بما يتنـافى من اليهـودية مع العقل ، وهو يؤسس الايمان على العقل ، ويجعـل من الدين اليهـودى دينـا عقليـا رسـالته الاخـلاق ، ويقـول ان النـاموس مجمـوعة من القوانين الاخلاقية ، ولذلك فقد ترجم أسفار

موسى الحمسة والمزامير ونشيد الانشاد الى الالمانية ليجعل مضمون هذا الدين فى متناول الجميع . وكتب تعليقا مستنيرا على العهد القديم ، وكانت مصنفاته من أهم عوامل نشر تعاليم « دلالة الحائرين » لموسى بن ميمون حيث اعتبره بمثابة توراة عصرية وخطوة بالغة نحو الدخول الى ثقافة العصر والاخذ بأسباب الحضارة العلمية اليونانية الطابع .

وفى كتابه « اورشليم » (١٧٨٣) قال ان اليهودية التى يفهمها ويدعو اليها تقوم على مبادىء ثلاثة هى الايمان بالله وبالعناية الالهية وبخلود الروح ، وهى المبادىء التى تقوم عليها اية ديانة كتابية . ومن ثم فاليهودية لا تختلف عن غيرها ، واليهودى لذلك كالمسيحى ، وليس من ثمة ما يبرر اضطهاده .

وجره قوله ذاك الى نقاش لاهوتى مع كاتب مسيحى يدعى يوحنا كاسبار لافاتر . دعاه فيه الاخير الى اعتناق المسيحية طالما ان المسألة بهذه البساطة ، والا فليعلن أنه لا يعتقد بصحة المسيحية ، وانبرى مندلسون يقول ان عصر التنوير لا يؤمن بالتثليث لانه يتنافى مع العقل ، ولكنه يؤمن بوجود اله ذاته واحدة غير منقسمة ، وهو ما يتفق مع ما تقول به اليهودية دون المسيحية

وفى كتابه « محاضرات فى وجود الله » (١٧٨٥) ذهب مندلسون الى التدليل على وجود الله بالحجة الانطولوجية وبدليل الصانع ، مخالفا بذلك كنط الذى اعتبرهما دليلين غير كافيين ، ولكنه وكنط يتفقان فى الناحية الاخلاقية والاستاطيقية . ويوافقه مندلسون على رهانه الاخلاقى ، فوجود الاخلاق أو الأمر الخلقى يقودنا الى الفرضية بوجود علة متناسبة أو بوجود الله كشرط ضرورى لامكانية الخير الاعلى ، ويجد مندلسون ان هذا البرهان خير دليل على صحة اليهودية لانها فى مضمونها أخلاقية ، وهى خير برهان على وجود الله كمسلمة للعقل العملى .

وفى كتابه « فيدون » (١٧٦٧) الذى الفه على منوال محاورة افلاطون الشهيرة ذهب الى القول بأن الروح جوهر بسيط ، ومن ثم فهى لا تقبل الفناء ، وبسبب الطريقة التى اتبعها فى طرح افكاره فى هذا الكتاب اطلق عليه ليسنج اسم « سقراط اليهودى » لدمامته أولا ، ثم لما اظهره من حكمة تقارب بينه وبين سقراط الاغريقى . واتخذه لذلك مثالا لبطله ناتان فى روايته « ناتان الحكيم » ، وهو قول حق لان مندلسون يقرب فى الواقع من الحكيم أكثر من الفيلسوف . وافكاره الفلسفية خليط من

لايبنتس وكرستيان ولف والكسندر بومجارتن وشافتسرى وبيركوديبوس وموبيرتيوس ، وقيل ان كتاباته كانت ارهاصا للكنطية ، ولعل هذا نفسه هو الذى يجعل دعاته يعقدون صلة بين فلسفته والكنطية ، ولعله ايضا ما يشد الكثيرين من فلاسفة اليهود الى الكنطية المحدثة ، يحاولون بها مرة اخرى الدعوة بطريقة مباشرة الى الفلسفة الربانية التى بداها موسى بن ميمون وواصلها مندلسون ثم آحاد هاعام واخيرا مارتن بوبر .

ورغم وصف مندلسون بأنه من دعاة التحرير والعلمانية والتسامح، الا انه لم يكن يطلب حرية العقيدة لكل فرد حقيقة بقدر ما كان يطالب بها لليهود كأقلية فى مجتمع مسيحى .

وقد فهم اليهود المعادون للاستنارة والاندماج من وقت موسى بن ميمون حتى الآن ان اقامة العقيدة على الضمير والتصور الاخلاقى من شأنه تأكيد فردية اليهودى وتحرره من التبعية القومية بالتالى ، وهو ما يعارضه مفكرو الصهيونية على اساس أن هذه الدعوة تفصل الدين عن القومية ، ويدللون على تهافت دعوة مندلسون بتنصر اولاده الا واحدا . فلو كانت فلسفة الاستنارة التى دعا اليها سليمة لما حدث ذلك مع أهل بيته الذين هم خاصته ، ولا يمكن لافكار الاستنارة الا أن تؤدى الى اختفاء اليهودية كقومية وذوبان اليهود فى مجتمعاتهم ، وهى مغالطة اساسها التعصب . لان مندلسون حقيقة قد انشأ مدرسة لتعليم اطفال اليهود فى برلين مختلف العلوم الحديثة . ولكنه عارض التعليم المشترك بين اليهود والاغيار على أساس ان ذلك من شأنه أن يصرف اليهود عن تفردهم الذى هو دينهم وخاصتهم .

***

المشبهة Anthropomorphists

هم الكتبة الذين حبروا التوراة واثبتوا لله عددا كبيرا من الصفات الانسانية . فقالوا ان له وجها ويدين وعينين وجسما يختلف عن الاجسام، فقد جاء فى سفر التكوين « بقى يعقوب وحده ، فصارعه رجل الى مطلع الفجر . وراى انه لا يقدر عليه ... ، وقال اطلقنى لانه قد طلع الفجر ، فقال لا اطلقك اوتباركنى ... وسأله يعقوب وقال عرفنى اسمك . فقال لم سؤالك عن اسمى ، وباركه هناك ، وسمى يعقوب الموضع فنوئيل قائلا : انى رأيت الله وجها الى وجه » (٣٢ : ٢٤ — ٣٠) ، وفى سفر الخروج « ثم صعد موسى وهارون ... سبعون من شيوخ اسرائيل،

فراوا اله اسرائيل .. واكلوا وشربوا » (٢٤ : ٩ ــ ١١) ، وهــــذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به ، يحفل بأمثاله التوراة .

ومشبهة المسلمين نقلوا التشبيه عن اليهود ، ونسجوا على منوالهم، واخذوا مقاله من مقالهم ، ويبدو انه سمة من تفكير اليهود ، وقد نهاهم موسى عنه وحذرهم منه ، فقد جاء فى سفر التثنية على لسانه « فاذكروا جيدا انكم لم تروا صورة ما يوم كلمكم الرب فى حوريب من وسط النار ، لئلا تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالا منحوتا ، صورة مثال ما ، شبه ذكر أو انثى » (٤ ــ ١٠ ــ ١٦) .

ولمـــا عاب الاسلاميون على اليهود التشبيه ، احتج متكلمو اليهود بما جاء مثله فى القرآن ، كقوله عز وجل « يد الله فوق أيديهم » « ويبقى وجه ربك » « وجاء ربك والملك صفا » و « الى ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة » وسائر ما فى القرآن من مثل هذا ، ولكن هذا كله عند المسلمين على ظاهره بلا تكلف تأويل ، وهو ليس بمعنى الجارحة ، لكن على ظاهره من اللغة ، وعمدتهم ان كل ذلك خبر عن الله تعالى لا يرجع بشىء من ذلك الى سواه اصلا ، والبين من أمر الشرع ان هذه الصفات فى القرآن مسكوت عنها فلا يصرح فيها بنفى ولا اثبات ، ويجاب من يسأل فيها بقوله تعالى « ليس كمثله شىء وهو السميع البصـــير » . ولو ان المسلمين التزموا عدم الخوض فى تفسير الآيات التى تكاد تنسب الى الله بعض الصفات التى تتنافى مع فكرة تنزيههم له وفوضوا المراد منها الى الله بعد تنزيهه عن كل شبه بالانسان أو المخلوق لمـــا نشأت بدعة الصفات التى ابتلوا بها زمنا وانتقلت اليهم من اليهود .

ويقول الفيلسوف اليهودى الاندلسى موسى بن ميمون أن ظهـــور التشبيه بين اليهود كان بين فئة القرائين حينما تمسكوا بحرفية نصوص التوراة التى توهم بتصورات جسمانية لله تعالى فوقعـــوا فى التجسيم والتشبيه ، وهذا أمر يخالف الواقع فعلا حيث أن التوراة تحفل بالنصوص التى تجزم به ، وأما ابن ميمون ومن ذهب مذهبه من الفلاسفة فقد حاولوا نفى التشبيه عن اليهودية الذى صرح به المفسرون دون الفلاسفة ، ومن المفسرين انتقل التشبيه الى الشيعة من خلال السبئية وزعيمهم اليهودى عبـــد الله بن سبأ .

والظاهر أن التشبيه كفكرة وفرقة قد كان ظهوره فى الاسلام ابعد من السبئية ، لان الرسول عليه السلام حذر من الروافض وقال « الروافض

يهود هذه الامة » لانهم اخذوا التشبيه من اليهود ، او انهم اشبهوا اليهود فى القول بأن الله قد تجسد وانه ظهر بصورة البشر .

ويكاد ينعقد الاجماع بين مؤرخى الفلسفة اليهودية على ان التشبيه قد عرفه الاسلام فى عهد الرسول من خلال يهود المدينة ومناقشاتهم مع المسلمين .

وحتى فى المسيحية كان حول التشبيه بواسطة شاول اليهودى الذى دعا نفسه بولس الرسول ، وقام بنفس دور عبد الله بن سبأ فى الاسلام ، وقال بألوهية المسيح ، مع فارق ان السبئية وحدهم اقروا ابن سبأ على تأليهه لعلى بن ابى طالب ، بينما اقرت المجامع الكنسية كلها شاول على تأويله بألوهية المسيح ، وفى ذلك يقول برتراند رسل فى تاريخه للفلسفة الغربية ان التشبيه من اهم العناصر اليهودية فى المسيحية ، ولو كانت اليهودية قد زالت فى ظل انطيوكوس الرابع لاعوزت المسيحية التربة التى نمت فيها بذورها ، ولما استطاع شاول أن يزعم ان المسيح هو الله او ابن الله .

* * *

المغتسلة Baptists

احدى طوائف فرقة الكسائيين ، وقيل هم الكسائيون ، وقيل هم ليسوا يهودا وهم بالاحرى الصائبة ، وقيل ان المائدية اخذوا عنهم . وأنهم يهود على الحقيقة ، يقولون باله واحد ، ويطبقون شريعة موسى ، غير ان كتابهم هو كتاب الكسائيين .

* * *

المقاربة Maquaribat

فرقة ، على ما جاء عند الشهرستانى ، زعمت ان الله تعالى خاطب الانبياء عليهم السلام بواسطة ملك اختاره وقدمه على جميع الخلائق ، واستخلفه عليهم . وقالوا كل ما فى التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى ، فهو خبر عن ذلك الملك ، والا فلا يجوز ان يوصف الله تعالى بوصف ، وقالوا ان الذى كلم موسى عليه السلام تكليما هو ذلك الملك ، والشجرة المذكورة فى التوراة هو ذلك الملك ، وان الله يتعالى عن ان يكلم بشرا تكليما .

وحملوا جميع ما ورد فى التوراة من طلب الرؤية من أمثـــال : وشافهت الله ، وجاء الله ، وطلع الله فى السحاب ، وكتب التوراة بيده واستوى على العرش استقرارا ، وله صورة آدم ، الى غير ذلك ، على ذلك الملك

وقالوا ويجوز فى العادة أن يبعث الله ملكا روحانيا منجملةخواصه. ويلقى عليه اسمه ، ويقول هذا هو رسولى ، ومكانه فيكم مكانى ، وقوله قولى ، وامره أمرى ، وظهوره عليكم ظهورى ، كذلك يكون حال ذلك الملك .

***

المقمـــص Al Mukammas

(نحو سنة ٩٠٠ م) داود بن مروان المقمص ، من أوائل الناهلين من الثقافة الاسلامية ، وكان عراقيا من الرقة ، تعلم علم الـــكلام من المعتزلة ، وقرا أرسطو على العرب ، وذهب مثلهم مذاهب الافلاطينيين. وكان فى بداية حياته قد تحول الى المسيحية ، ربما ليتعلم على رهبانها فى نصيبين ، وقيل أنه قد تنصر حقيقة ، لكن قراءاته فى التوحيد الاسلامى أعادته الى اليهودية ، منكرا على النصارى تثليثهم وتضارب اناجيلهم .

وكتابه «عشرون مقالة» من أهم مصنفاته،كتبه بالعربية ، وبه صار المقمص اول فيلسوف يهودى يستخدم السلوب عن المسلمين ، وهو بهذا يعد واضع اللاهوت السلبى فى اليهودية ، وهو يبدا بصيغ عن المدرسة الكلامية ، وينتهى الى تصور افلاطونى محدث ، فيقرر ان الله موجود ، وهو واحد ، ولكن وحدته ليست هى وحدة الجنس ولا النوع ولا العدد ولا المركب ، فليست هناك ذات مشابهة لذاته ، وقولنا ان الله حىلايعنى أن حياته تختلف عن ذاته ، والا انتهينا الى شىء مثل التثليث المسيحى ، وانما نعنى به انه حى بحياة هى هى ذاته ، وهذه العبارة هى نفســها عبارة المعتزلة التى تقول ان الله حى لا بحياة ، فصفات الله لا تحدد تنوعا فى ذاته ، ولكننا نقصد بها ان ننفى عن الله نقائص معينة ، ولذلك ينسب المقمص الى ارسطو قوله اننا عندما نتحدث عن الله فان الصفات السالبة تكون اصح من الصفات الموجبة .



المنافقون Waverers

من النافقاء العبرية والعربية احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو اصل النفاق ، والمنافق من يظهر الايمان ويخفي الكفر واسمهم ايضا بالعبرية Minim اى المتماينون مفردها min من المين العبرية والعربية وهو الكذب فهم الكذابون ، وهم فرقة رفضهم اليهود والنصارى . قالوا فيهم انهم يعبدون الهين فهم من المشركين ، ونسبوهم الى اهل الباطن أو الغنوصية ، ويبدو أنهم كانوا صدوقيين التزموا الناموس ولم ينكروا المسيح ولكنهم لم يعلنوا عن اعتقادهم وساروا هؤلاء واولئك تقاة يريدون بذلك أن يصدقوهم فيما يفعلون ويقولون حتى اغتروا بهم واعتقدوا انهم على دينهم وربما اقتدوا بهم فحصل بهذا ضرر كبير كما يقول مؤرخوهم ، ويبدو أن ظهورهم كان نحو سنة ٨٠ ميلادية واستفحل ضررهم فى القرن الثانى ، فكانت فتنة بين الناس ، وربما كانت فرقتهم هى التى قصد اليها الشهرستانى بتسميته الفرقة الدوستانية او الكاذبة . أتباع الالفان ، وكانوا يقولون ان الثواب والعقاب فى الدنيا.

***

المندائية Mandaeans

باطنية اليهود ، وينكر مؤرخو اليهود يهوديتهم على اساس انهم ثنوية ، ولكنهم موحدون ، والخالق عندهم اسمه الله بصيغته العربية ، وهو نور السموات والارض فاضت منه المخلوقات .

وقيل انهم فرقة من نصارى اليهود ، والمندائية انفسهم يقولون انهم نصارى ، والنصارى فى التاريخ فرقة يهودية اقرت بألوهية المسيح ، غير ان المندائية ينكرون أن يكون المسيح ابن الله ، وكتابهم « السفر الكبير » او الجينز ، يطرح نظرية فى الخلق كنظرية سفر التكوين ، ويذكر اسماء موسى ويوحنا وآدم وحواء وغيرهم بنطق يقرب من العربية ، وفى كتب المندائية المتأخرة يذكرون النبى محمد ، ولكنه ذكر لا يدل على معرفة بتعاليم الاسلام ، وهم ينوهون بيوحنا المعمدان ويسمونه يحيى لانه من الزاهدين المغتسلين ، وكان المندائية من المغتسلين ، وتشبه شعائرهم فى الصلاة شعائر اليهود .

***

المهـــدى المنتظـــر Messiah

اسمه عندهم وفى الارامية المشيح ، وفى اللاتينية والعربية هــو المسيح ، ومعناه الممسوح بالزيت على عادة شــعوب الشرق الاوسط القديمة فى تعميد ملوكهم وكهنتهم ، وتطور المعنى بعد السبى ليعنى المهدى (بضم الميم) المنتظر ، والمهدية messianism أو المسيحانية هى فلسفته او حركته ، ومعنى المهدى انه المخلص الذى يحرر اليهود من العبـــودية لمضطهديهم ، ويعيدهم من المنفى ويحكمهم بالشريعة فيعم العدل ويسود السلم وتخصب الارض .

ومن الطبيعى أن يكون الشتات هو وحده البيئة الملائمة التى ينبغى ان تنمو بها بذرة الامانى المهدية ، فان النظرية منذ بدايتها احتجاج على النفى ، واستنكار لمناهضة الامم لحق اليهـــــود الالهى فى العودة الى ارضيهم وابطالهم لهذا الحق بالقهر والاغتصاب الذين أصبح اليهود من وجهة نظرهم ضحية لهما .

وكان ظهور هذه العقيدة بما تنطوى عليه من آمال وامان كزفرة يصعدونها فى غمرات الحالات السياسية والاجتماعية التى لم تنقطــع ثورتهم عليها ، واعتمادهم فيها على أحاديث تسمى عندهم كما عنـــــد المسلمين أحاديث آخر الزمان ، وتنتثر فى كتب الرؤى وخاصة فى سفر دانيــــال .

والمهدى المنتظر عندهم من نسل داود النبى فى رأى ، وقيل بل هو داود نفسه يبعثه الله ليعمل سيفه البتار فى أعداء الشعب المختار وليقيم دولتهم ، وانه سيقدم راكبا السحاب أو ممتطيا حمارا كداب الانبياء فى تواضعهم ، وهو قول يذكرنا بوصف عبد الله بن سبأ اليهودى مؤسس التشيع عن على بن أبى طالب .

وقيل ان المهدى هو سليمان الذى سيبعث ، وقيل بل اسمه داود من غير أن يكون نفسه النبى داود ، وقيل ان ميلاده سيكون فى بيت لحم ، وقيل انه ولد فى اورشليم يوم خراب المعبد ولا يزال على قيد الحياة منذ ذلك الحين فى مكان خفى ، حيا لا يراه الناس وسيظهر فى آخر الزمان ، ونظريتهم كنظرية الامام الخفى عند الشيعة ، والرجعة عند هؤلاء وأولئك احدى عناصرها ، وفكرتها عند الشيعة من الاسرائيليات وبتأثير قــول اليهود برجعة ايليا النبى الذى رفع الى السماء ، وهم يؤمنون بأنه لا بد

راجع الى الارض فى آخر الزمان ليقيم الحق والعدل ، وكان ايليا نموذج أئمة الشيعة المختفين الغائبين الذين يحيون فلا يراهم أحد وسيعودون يوما كمهديين منقذين للعالم ، وان كان أهل السنة كذلك يعتقدون بمجىء مصلح الى العالم فى آخر الزمان يبعثه الله ويسمونه ايضا بالامام المهدى، ويعتمدون فى اعتقادهم على عدد من الاحاديث أوردها أبو داود فى سننه، ولكن نظريته عندهم لم تصل الى مرتبة العقيدة الدينية ، ويرفضون العقيدة المهدية على صورتها الشيعية أو اليهودية .

ويرى جولدتسهير فى كتابه العقيدة والشريعة فى الاسلام أن نظرية المهدى المنتظر اكمل عند الشيعة منها عند اليهود ، وظهورها عند الشيعة فى بيئات التقى والورع بعكس ظهورها عند اليهود فى بيئات الاضطرابات السياسية .

ويهزأ اهل السنة بفكرة الامام المختفى وحياته الطويلة ، والاحاديث التى يعتمد عليها هؤلاء وأولئك كانت دائما مثار بحث من قبل فقهائهم ومتصوفيهم ، ودبروا لها الحسابات التأويلية لتحديد وقت ظهور المهدى المنتظر ، وقد سار متصوفة المسلمين والشيعة على منوال اليهود ، وانتهجوا مثلهم تاويلات قبالية لآيات القرآن وسوره ، وتجميعاتللحروف والاعداد قصدوا بها تحديد اللحظة التى سيظهر فيها .

وقد ندد المعتدلون من هنا وهناك بمن سموهم بالوقاتين ووصموهم بالخداع والتدجيل وحظروا الاشتغال بهذه المسائل الدقيقة استنادا على اقوال وروايات اسنادها ضعيف ، ويورد مسلم والبخارى أحاديث كثيرة عن الدجال فى باب الفتن ، وقد ظهر دجالون كثيرون عبر التاريخ اليهودى نذكر منهم فى البلاد الاسلامية ابى عيسى الاصفهانى الذى ظهر فى عهد الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، وداود الرائى الذى ظهر فى كردستان (١١٣٥) ، ومنهم ، من وجهة نظر اليهود ، المسيح عيسى بن مريم ، وقد صلبوه عقابا له .

ويعد كتاب « زربابل » من أفضل المؤلفات اليهودية فى هذا الباب ، وهو من مصنفات كاتب مجهول فى أواخر القرن السادس أو أوائلالسابع الميلادى ، وزربابل هذا الذى سمى الكتاب باسمه كان النبى حجى قد ظنه المهدى المنتظر ، فقد عاد باليهود من بابل وبنى المذبح ووضع اساس الهيكل وولى أمر أورشليم .

وقيل ان دولة المهدى أو فردوسه الارضى ستعمر ألف سنة ، ومن هؤلاء الالفيين من يرى أن مجىء المهدى يكون متمما للالفية وفى ختامها ، وأما افتتاح الالفية فيكون على يد سابق للمهدى من بيت النبى يوسف يقدم له ويموت دفاعا عن الملة .

وتعتقد طائفة من المسيحيين فى الالفية ويقولون ان رجوع اليهود الى فلسطين يعنى رجوعهم الى الله ، ومن ثم امكان هدايتهم الى المسيحية .

ويقوم ايمان اليهود بدولة آخر الزمان على دعوى ان نهاية التاريخ لن تنصلح الا بما انصلحت به بدايته ، وان بداية التاريخ كانت الخروج من ارض العبودية فى مصر والدخول فى ارض الميعاد ، ولذا ستكون نهاية التاريخ هى الخروج من ارض العبودية فى كل مصر والدخول أيضا فى ارض الميعاد ، أى أن النهاية لا بد ان تتسق مع البداية .

وفلاسفة اليهود متفقون على القول اما بالعودة الشخصية للمهدى واما بقيام دولته أو فردوسه دون المهدى نفسه ، ويسمى موسى هيس هذا العصر الذهبى سبت التاريخ .

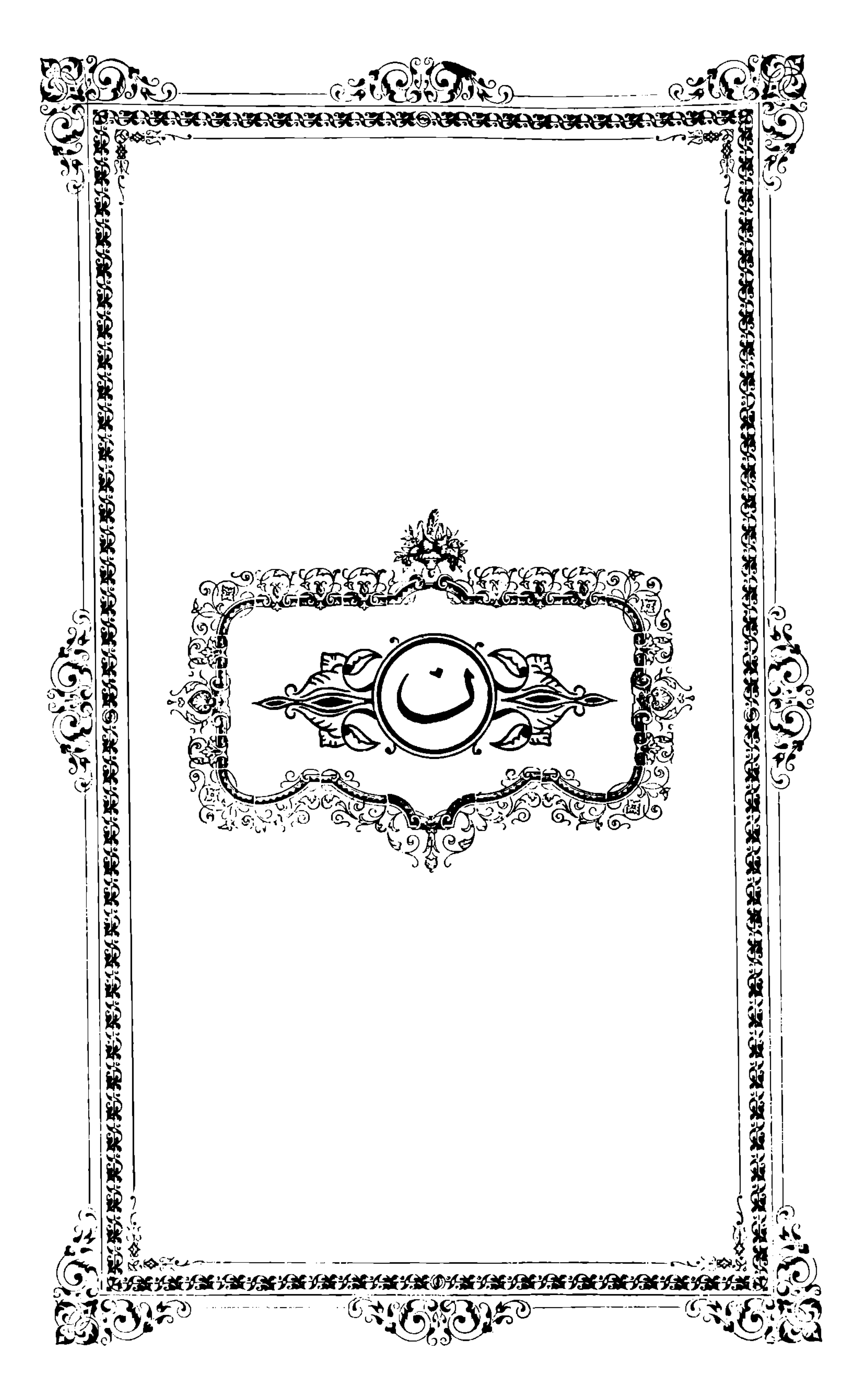
ومهدى الفلاسفة عند برجسون هو الوثبة الحيوية ، وعند برنشفيك هو الوعى المطلق ، وليست الماركسية الا طوبيا مهدية لا تختلف فى مضمونها عن التصورات الدينية التقليدية الا من استبعاد شخصية المهدى نفسه ، والصهيونية كذلك ايديولوجية مهدية دون المهدى فأصبح من الممكن ان تؤلف بين المؤمنين والملحدين ، وان تكون الصهيونية هى النسخة اللادينية من المهدية ، وهى محاولة لاسترجاع العصر الذهبى عن طريق العنف السياسى دون انتظار لمبعوث الهى ، ومن ثم تعمل باستمرار على اذكاء المشاعر والتوقعات المهدية لدى اليهود فى كل بلاد العالم ، بتصعيد احساسهم بالاضطهاد وعدم الانتماء لبلادهم حتى يفقدوا صلتهم بالزمان والمكان فيسهل ادخالهم فى ماضى التاريخ وتهجيرهم الى فلسطين .

* * *

الميديجو Elijah del Medigo

(نحو ١٤٦٠ ــ ١٤٩٣) اليشع بن موسى الميديجو ، ايطالى من مواليد كريت ، تخصص فى الدراسات الاسلامية ، وتوفر على ترجمة اغلب كتب ابن رشد الى اللاتينية ، وقيل انه من خلاله غالبا عرف علماء عصر النهضة ابن رشد وكتاباته ، ومصنفه « تمحيص الديانة » ينقل فيه عن ابن رشد وجهة نظره التى يطرحها فى مؤلفه « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » فى قضية الصلة بين الدين والفلسفة .

* * *


ن



النـــــاربونى Narboni

(توفى سنة ١٣٦٢) موسى بن يشوع ، وشهرته موسى الناربونى، ولد بناربون من اعمال الجنوب الفرنسى ، وعاش ابتداء من ١٣٤٤ متنقلا بمدن اسبانيا ، وبها كتب شروحه على كثير من النصوص الاسـلامية : اخصها مقاصد الفلاسفة للغزالى ، وحى بن يقظان لابن طفيل ، واغلب كتب ابن رشد ، وكتاب دلالة الحائرين للميمونى ، وهو يميل لابن رشد ميلا ظاهرا ويعارض به اتجاهات الميمونى لصـبغ اليهودية بالافلوطينية التى يتعلمها عن ابن سينا والفارابى ، ورغم عقلانيته لم يسـتطع ان يتخلص من الحلول والتشبيه الاسرائيليين ، وله شطحات باطنية تسرى اليه من القباليين اليهود ومن يوسف بن وقار صاحب الرسالة الجامعة بيان الفلسفة والشريعة .

* * *

النســـخ abrogation

هو ازالة الشريعة للشريعة ورفعها ، وتبطله فرقة الربانية ولا تجعله ممكنا ، ويجيزه الفلاسفة العقليون ولكنهم لا يوقعونه .

وعمدة المبطلين للنسخ ان الله يستحيل منه ان يأمر بالامر ثم ينهى عنه ، والا لعاد الحق باطلا والباطل حقا ، ولاستحالت الطاعة معصية والمعصية طاعة ، وعابوا على القرآن ان بعضه ينسخ بعضه بما يعود على الله بالتناقض والتكاذب .

وقد فات هؤلاء ان النسخ فى الحقيقة هو بيان وتخصيص فى الازمان، فالشرائع اوامر لوقت محدود بعمل محدود ، فاذا خرج ذلك الوقت على ذلك الامر منهيا عنه ، كالعمل عندهم هو مباح يوم الجمعـة محـرم فى السبت ، ثم يعود مباحا يوم الاحد ، وكالصيام والقرابين،وهذا هو نسخ الشرائع فى حقيقته اذ ليس معناه الا أن يأمر الله بالعمل مدة ثم ينهى عنه بعد انقضائها ، ولا فرق بين أن يعرف الله تعالى ويخبر عباده بما يعرف ويريد أن يأمرهم به قبل أن يأمرهم به ثم بأنه سينهى عنه بعد ذلك ، وبين ان لا يعرفهم به ، اذ ليس عليه تعالى شرط ان يعرف عبـاده بما يريد ان يأمرهم قبل أن يأتى الوقت الذى يريد الزامهم فيه بالشريعة . ثم ان العلة التى أوجبت بها الربانية ارسال موسى لا تزال باقية ، والا لم

فتم حجة موسى على اصحاب نوح،ولا على من اقر بابراهيم،وأنكر موسى. وهذه العلة هى جهل الناس بحقيقة الدين وانكارهم لتوحيد البارى تعالى فى كل عصر وحين ؛ ويقر التلموديون ان موسى قد استخلف وتواترت الانبياء بعده بنصوص التوراة ، ومنهم يوشع وارميا وحزقيال ودانيال وغيرهم ؛ ولو انكروا عيسى ومحمدا عليهما السلام لكان للسامرية . وهى احدى فرق اليهود ؛ نفس الحق الذى انكروه عليهم ، والسامرية تنكر الانبياء اليهود جميعا بعد موسى .

* * *

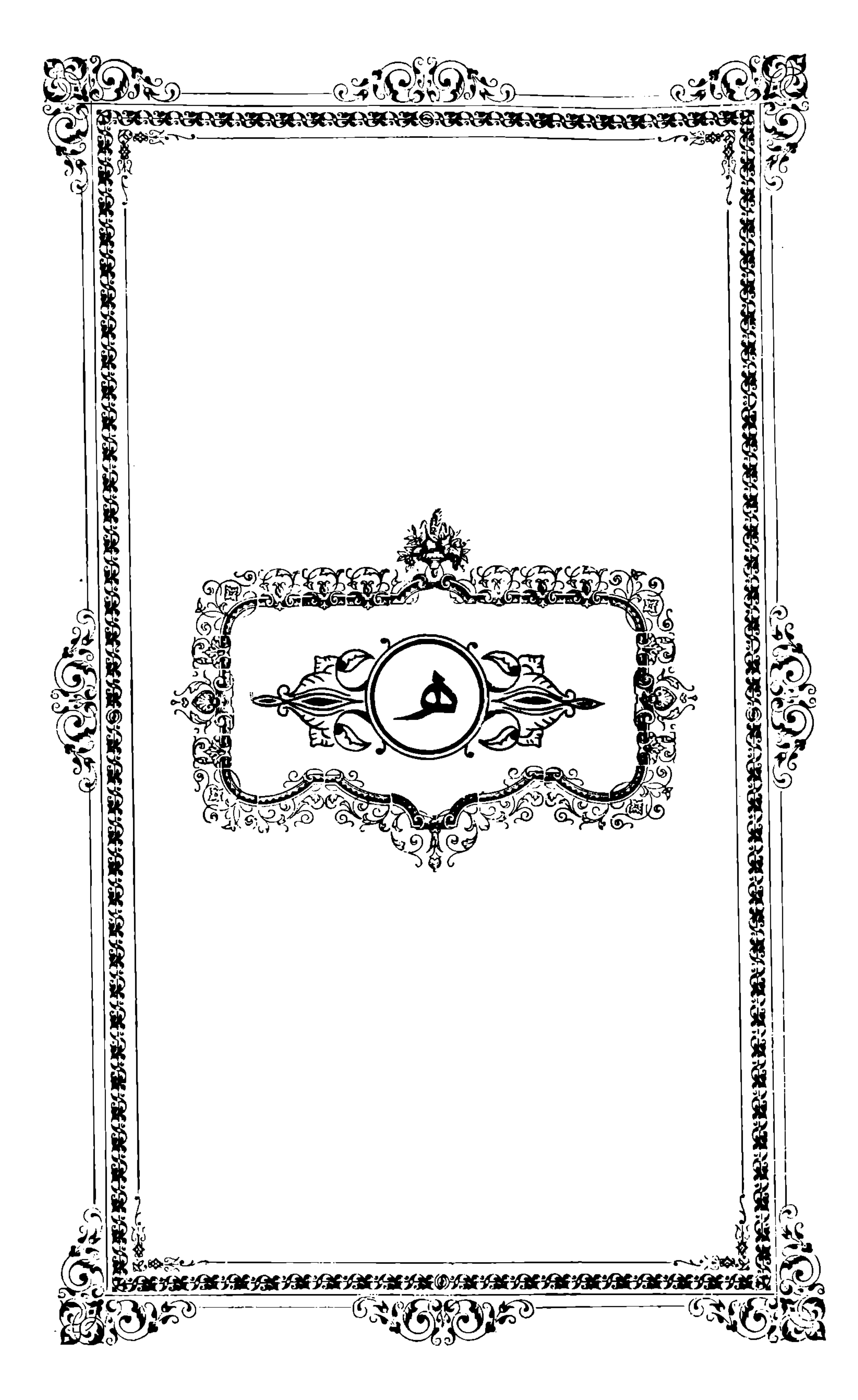
النصــــارى Nazarenes

فى الاصطلاح هم الفرقة التى اقرت رسولية بولس وقبلت الهية المسيح بدعوى أنه مولود مريم العذراء . ويصفهم الربانيون بأنهم هراطقة اليهود . وكانوا يقرأون النسخة العبرية لانجيل متى ؛ ولكنهم حافظوا على ناموس موسى وشريعته . وان لم يلزموا بها المسيحيين من غير اليهــود .

وكانت فرقة المندائية يقولون انهم نصارى كذلك . والمندائية لا تنكر المسيح ولا تؤلهه . وتعيب على المسيحيين تجديفهم على الله بقولهم ان المسيح ابن الله .






هو



هس Hess

(٨٨١٢ — ١٨٧٥) موسى هس ، اشتراكى المانى ، كتابه الرئيسى « روما والقدس » (١٨٦٢) ، وكان عنوانه الاصلى « احياء اسرائيل » ، قيل اشتراكيته فلسفية لانها تحقيق لجوهر الانسان يقوم على جعل العمل الحر اساس الاجتماع ، وقيل فلسفته اخلاقية لان المشكلة الانسانية فيها لا يحلها الصراع الطبقى ، ولكنه التعليم وتنظيم العمل ، ومن ثم فهى تطبيق للاخلاق ، او هى ممارسة اخلاقية او اخلاق عملية ، وقيل اشتراكيته يهودية ، ويشير بالصهيونية ، لانه يعتبر الاشتراكية نظرية فوق الطبقات ، فاذا كان التاريخ يصنعه الصراع بين الاجناس البشرية والطبقات الاجتماعية ، فان الصراع بين الاجناس كان الاصل ، بينما الصراع بين الطبقات يأتى فى المرتبة الثانية، وكان الجنسان الآرى والسامى هما اكبر الاجناس التى اسهمت فى صنع التاريخ ، وكان اسهام الآريين دائما هو تفسير الحياة وتجميلها ، بينما اضفى الساميون عليها معانى الاخلاق والقداسة . وغاية التاريخ او نقطة الوصول النهائية فيه ، او ما يسميه هس سبت التاريخ ، هى وحدة كل الاجناس والطبقات وتعاونها وتآلفها ، واليهود اقدر الناس على المزج بين كل القوى التى تساعد على بلوغ هذا الهدف بحكم انتشارهم فى العالم واشتراكهم فى كل الحضارات ، واذا وعى الشعب اليهودى رسالته الخاصة هذه فانه سيشعر بقوميته وسيحفزه ذلك على العودة الى فلسطين ليبنى على ارضها تجمعات استيطانية زراعية وصناعية وتجارية ، مبادؤها موسوية اشتراكية ، تكون مراكز للوعى العالمى وتستنفر الاجناس المضطهدة الى الثورة وتجمعها فى وحدة نواتها القدس تصنع مع روما العاصمة القديمة للعالم محور روما القدس الجديد للعالم الجديد .

* * *

هيرش Samson Hirsch

(١٨٠٨ — ١٨٨٨) شمشون روفائيل هيرش ، الداعية والمنظر للسنيين المحدثين ، وهى حركة ظهرت بفرانكفورت بألمانيا وانتشرت منها الى كافة بلدان اوروبا ، هدفها الدعوة الى الاخذ بأسباب الحضارة مع التزام الشريعة كما تفسرها سنة السلف .

وقد طرح هيرش افكاره فى كتابه «تسعة عشر خطابا عن اليهودية» طالب فيه بالعمل بما جاء فى التوراة المكتوبة والشفاهية ، وقال انه

لا تعارض بين ان يكون المرء يهــوديا وان يكون ولاؤه فى نفس الوقت للدولة التى يساكنها . وعلل ذلك بأن اليهودية ليست قومية ولكنها دين يجمع اليه اليهود . ولن يكون اليهود شعبا الا بنزول المســـيح الموعود الذى سيصهرهم ويحولهم الى شعب بالكامل .

وقال هيرش أن العقلانية والعلم لا يتنافيان مع الشريعة . بل انهما لتمهدان الى فهم الشريعة وتطبيقها بالطريقة الصحيحة . وان الفساد لم يتسرب الى اليهودية الا بفعل الدعوات الاصلاحية او اليهودية الاصلاحية التى انساق اليها بعض اليهود ففسدوا ، ومن ثم وجدت اليهودية الفاسدة بفسادهم ، فأية دعوة اصلاحية تنطلق من خارج اليهودية ، من مذاهب وفلسفات من ابداع الانسان ، واية حكمة انسانية لا يمكن ان ترقى الى حكمة الله ، والتوراة هى كلام الله . كتبها حرفا حرفا . ومن ثم لا ينبغى تعديلها ولا تبديلها ولا تطويرها ، مهما كانت الحجج والدفوع والذرائع . لان آية محاولة لذلك ستؤدى الى انحلال اليهودية وافراغها من مضمونها الدينى ، واليهودية ديانة . ولا ينبغى التعلل بالحاجة الى تيسير الشريعة وتبسيطها ليفهمها الناس . ولتساير العصر ، فالواجب ان يرتفع الناس والعصر الى مستوى الشريعة ، لا ان تهبط الشريعة الى مستوى الناس والعصر ، ولذلك دعا هيرش اتباعه الى عدم مخالطة الاصلاحيين ، والى تنظيم أنفسهم من جماعات مستقلة . ومن ثم كان اطلاق اليهود الآخرون عليهم اسم الانفصاليين .

***

هـــيرش Samuel Hirsch

(١٨١٥ — ١٨٨٩) شموئيل هيرش . المانى . من المفسرين للدين اليهودى فى ضوء الفلسفة الهيجلية . وهو اصـــلاحى ، ترأس مؤتمر الاصلاح اليهودى الذى عقد فى امريكا سنة ١٨٦٩ . وكتابه « فلســـفة دين اليهود » يتمثل فيه بشكل ظاهر منهج هيجل وغايته من التفلسف ، ويقول ان قوام فلسفة الدين تحويل الوعى الدينى الى حقيقة فلسفية . وان كان هيرش يختلف مع هيجل فى تقديمه للحقيقة الدينية حيث يجعلها صنوا للحقيقة الفلسفية .

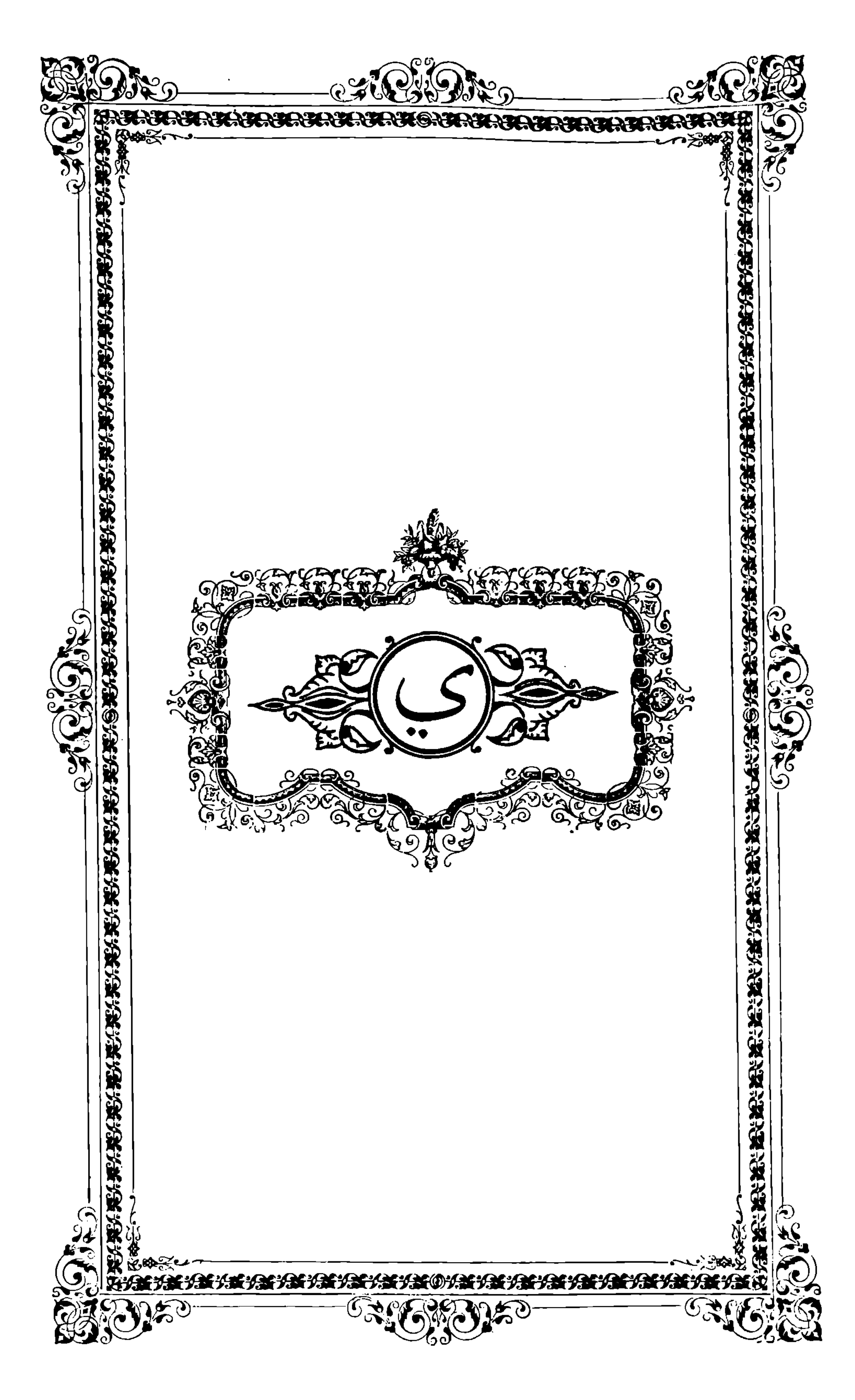
ويرى هيرش أن الانسان لا يعى نفسه كذات الا عندما يعى حريته . وتظل هذه الحرية تصورا لا يتحقق الا عندما يؤمن بالله من خلال ديانة

منزلة ، فاذا عقد السيادة لطبيعته وحواسه على تفكيره وقلبه فانه يفقد حريته ويجعلها لاحقة وخاضعة لطبيعته ، وهـذا ما حدث فى الديانات الوثنية التى جعلت من الطبيعة المطلقة مبدأ ، بعكس الديانات المنزلة التى اضفت كرامة على الانسان وجعلته مسئولا ومن ثم حرا ، وليس الله فيها الا واهب ومريد هذه الحرية ، فهو يريد الانسان أن يكون حرا لانه يريده ان يكون مسئولا ، وكلما نزهت الديانة الله كلما جعلت صورته كواهب لهذه الحرية ومريديها أكمل ، ولذلك كانت المسيحية ديانة متوسطة بين اليهودية والوثنية ، لان المسيحية والوثنية لا تجعلان الله مبدأ للحرية ، وان كانت المسيحية تقول ذلك بدرجة اقل من الوثنية ، وكانت المسيحية فى بداية ظهور المسيح نسخة من اليهودية ، أو انها كانت هى نفسها اليهودية ، ولكن تعاليم شاول المدعو بولس الرسول ، وما ادخله من افكار غريبة على هذه الديانة هى التى باعدت بين الديانتين ، ومن ثم لو استبعدنا ما أقحمه بولس الرسول على المسيحية لعادت ديانة توحيدية ورافدا من روافد اليهودية . وليس ادل على صدق اليهودية من استمرار شعبها فى الوجود حتى الآن ، فاستمرار هذا الشعب هو معجزة الهية ، وكان الله يظهر نفسه لشعبه من خلال انبيائه ومعجزاته بهم ولهم ، وهو الآن يظهر نفسه من خلال معجزة واحدة هى مشيئته التى تحققت بأن جعل الشعب اليهودى يستمر رغم كل شىء .








ي


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

Abu – Áli Japheth يـــافث

(نحو ٩٢٠ ـــ بعد ١٠٠٥ م) أبو عـــلى يافث ، قراء عـــراقى . اشتهر بتفسيره لسفر الخروج على طريقة علماء الكلام المسلمين ، وانتقد موسى بن ميمون مذهبه وقال فيه ان الذى نجد عنده وامثاله من الربانيين والقراءين من يهود العراق من الـــكلام فى معانى التوحيد انما هى أمور أخذوها عن المتكلمين المسلمين وخاصة المعتزلة والاشعرية ، أما علماء يهود الاندلس فيستمسكون كلهم بأقاويل الفلاسفة ولا يسلكون مسالك المتـــكلمين .

* * *

Judaism اليهـــودد

كفلسفة اساسها التوراة ، يقولون أنها الشريعة وكل التراث . والشريعة هى تعاليم موسى التى تلقاها فى سيناء ، ولكن اليهودية اشمل من ذلك ، لانها روح الشعب الذى توجه الى سيناء فتسلم هنالك الشرائع ، وروح الشعب اقدم من موسى لانها روح الآباء ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ، وقد جاء فى التلمود ان حديث من يعيش فى ارض الميعاد توراة ، فربطوا بين التوراة والشعب والارض فى مثلث تنهض عليه اليهودية . وقالوا ان الشعب اختار الله لعبادته ، فاختار الله الشعب ليكون شعبه المقدس ، وقد جاء فى التوراة : « لانك شعب تقدس الرب الهك ، قـــد اختارك الرب لتكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الارض » (تثنية ٢/١٩) ، وجاء فى التلمود ت « لمـــاذا اختار الواحـــد القدوس بنى اسرائيل ، لانهم اختاروا الواحـــد القدوس وتوراته » . وغالوا فقالوا أن العهد الذى قطعه الله للشعب ملزم له للابد ، وافضلية اليهود لذلك ازلية لن تتغير ، وهذا العهد ليس عقدا ، لانه لا يلزم الا جانبا واحدا هو جانب الاله المتعاقد ، ولذلك فان الشعب المختار حتى لو ضل عن سبيل الله ، فلن يتخلى عنه كلية ، لان حب الله للشعب يغلب على عدالته ، والشعب اليهودى هو الشخيناه او الحضرة الالهيـــة ، وحضوره هو حضور الهى ، فحيثما يحل يكون الله ولئن كان الشعب يعيش الزمنى او النسبى ، فانه فى نفس الوقت يتغلغل فيه المطلق ، وهو لذلك شعب مقدس ، وكل فرد فيه هو تجسيد حى للارادة الألهية ، وهو نبى بالضرورة ، ونبوة شعب اليهود لذلك نبوة مفتوحة ، بل ان الشعب هو امتداد الله فى الارض ، والتوراة ليست الشريعة المكتوبة ، ولـــكنها الشريعة الشفوية كذلك ، اى تنبؤات الشعب .

و « الارض المقدسة » هى « ارض الميعاد » ، وعد الله بها ونسله لانه سبحانه صاحب ما يخلق يوزعه على مشيئته ، وقد ارتضت مشيئته أن تكون هذه الارض لهذا الشعب ، وهى مقدسة لانها جزء من السماء والارض اللذين فطرهما الله قبل بداية التاريخ ، فهى خارج التاريخ ، وهى « أرض الرب » « التى يقطن عليها الله » (يوشع٣/٩). ولا اقامة لشريعته الاعليها ، وقد جاء فى التلمود « أن من يحيا خارجها لا اله له ، والمؤمن فيها نبى » ، وجاء فى سفر اشعيا « الشعب الساكن فيها مغفور الذنب » (٢٤/٣٣) ، وهى « ارض المعاد » التى سيعود اليها اليهود بارشاد الماشيح أو المهدى المنتظر فى آخر الزمان .

وتخلط اليهودية تاريخ الارض والشعب بالتاريخ المقدس ، حتى ليبدو التاريخ وكان الله قد حل فيه ، وكأنه حوار بين المطلق والنسبى ، فصارت بداية التاريخ هى العهد الذى قطعه الله على نفسه لابراهيم ، ونهايته ظهور الماشيح أو المهدى المنتظر واقامة حكومته على الارض ، وبذلك يكون التاريخ كله هو تطور تحقيق المشيئة الالهية ، تلك المشيئة التى ترتبط بشعب اسرائيل . وهو تطور فى خط مستقيم يتجه نحو هدف أعلى وغاية نهائية ، وفكرة التاريخ فى اليهودية من ثم مطلقة تلغى اى معنى انسانى له ، وتفرغه من كل جدل ، وتركزه فى الشعب اليهودى .

وفكرة الماشيح رؤية احادية قد تنطوى على التقدم نحو هدف اعلى ، الا انها تقوم على الحتمية ، حيث يأتى تدخل الله المستمر فى التاريخ ضد الواقع ومن أجل نهاية سعيدة محسوبة هى دائما خلاص اسرائيل ، خلصهم فى أول الايام من النفى فى مصر ، وسيخلصهم فى آخر الزمان من النفى فى كل مصر ، وسيكون خلاصهم بارشاد الماشيح المسمى المخلص لذلك ، وبين البداية والنهاية « يد قوية وذراع محدودة » تدفع التاريخ من الخارج ، وتحرك البشر كالدمى ، ولذا قيل ان فلسفة التاريخ فى اليهودية معادية للتاريخ أو لا تاريخية ، ولعله بسبب هذه الفلسفة اللاعقلانية قيل انه قد ضمرت لديهم الحاسة التاريخية ، وقوى عندهم الاحساس بالزمان ، وخلا تراثهم من المؤرخين من ذوى الاصالة ، وحفل بالنزعات الطوباوية التى تنطلق من رؤى كونية تلغى الفوارق والحدود التاريخية بين الاشياء ، فانعزلوا حضاريا ونفسيا ، ووقفوا خارج التاريخ ؛ ولم يكن امامهم لذلك الا العنف يتوسلون به لتجاوز الهوة بين المثال اللاتاريخى والواقع المتعين ، حيث العنف هو الوسيلة اللامعقولة لفرض تصورات لا تاريخية على واقع تاريخى . والفت لديهم الرغبة فى العودة الاحساس بالمكان والانتماء الجغرافى فعاشوا داخل الجيتو

كتعبير حضارى ونفسى عن عقلية تقف خارج الزمان والمكان ، واشتغلوا من منطلق هامشية وضعهم بالتجارة البدائية التى هى نقل فائض السلع من مجتمع لآخر ، وبمبادلة النقد والاقراض بالربا ، وهى مهن هامشية لا تلعب اى دور فى عملية الانتاج التى هى فى صميمها اضفاء البعد الانسانى على الطبيعة فى شكل تنظيم الانتاج أجتماعيا . وكان ولعهم بالارقام واشتغالهم بالحساب لانها قمة الممارسة التجريدية لدور التاجر والمرابى ، ومن هذا المنطلق ايضا كان اشتغالهم بحساب تواريخ آخر الزمان ، وامتد التجريد ليشمل تصورهم للاله ، فكان عندهم مطلقا ، ولكنه المطلق الذاتى ، اى الخاص بهم ، فاله اليهود ليس ربا للعالمين كاله المسلمين مثلا ، ولكنه الههم هم وحدهم وخاصتهم . وقيل انه تعبير عن العقلية اليهودية غير القادرة على الرؤية المركبة حيث النظرة الواحدية او الاحادية تكاد تطبع تفكيرهم كله ، فالاله عندهم واحد ، وكذلك الشعب والديانة والتنزيل والتاريخ .

غير اننا نجد أن الاله الواحد يعبرون عنه فى العبرية بألوهيم وهى صيغة جمع تعنى الآلهة المتعددة ، مما يسقط دعواهم فى التوحيد والقول بأنهم اول الموحدين . وتحفل اسفارهم بعبارات تفيد أن اليهود مشركون ومجسمة ومشبهة ، وكانوا أصل التجسيم فى الاسلام ، وقيل ان تصورهم للاله قد صاغه وضعهم الهامشى ، وجاء تلفيقا لتصورات الامم التى عرفوها والمجتمعات التى عاشوها ، فاليهودى عبرى أو عبرانى وهى كلمة تعنى بدوى ، وقد كان العبرانيون رحل ينتقلون من مصر الى مصر طلبا للكلأ والماء ، وفكرة الاله الواحد دون الآلهة الكثيرة اخذوها من ديانة أتون خلال تواجدهم فى مصر ، واسم يهوه الذى اطلقوه على الاله ليعرفوه به دون غيره من آلهة الامم هو احدى الصفات التى كان يطلقها المصريون على الههم آمون رع ومن بعده الاله أتون ، ويعنى الاسم الموجود ، فهو الاله الموجود او الكائن . واسم أدونى الذى اطلقوه كذلك على الاله هو نفسه اسم الاله المصرى اتون والاله السورى أدونيس . وفى كتابه « موسى والتوحيد » الذى عالج فيه عالم النفس اليهودى سيجموند فرويد مسألة التوحيد عند اليهود واصوله التاريخية ، يؤكد الصلة بين الديانتين المصرية واليهودية ، ويقول ان اللفظ ادونى فى العبرية ربما يدل على ان اليهودية كانت فى الاصل ديانة أتون المصرى اعتنقها اليهود خلال اقامتهم بمصر ، وربما جاء خروجهم على النحو الدرامى الذى تصوره به التوراه نظرا لمقتل اخناتون داعية أتون وما تلا ذلك من فوضى أمنية واضطهاد لكل من اعتنق هذه الديانة وازالة لكل ما تمثله ، وان المرء ليلفت نظره فورا الشبه القوى بين الديانتين المصرية

واليهودية حيث انهما تقولان باله واحد وتحرمان لحم الخنزير وصناعة تماثيل للاله وتأمران بالختان . وقد كانت لهذه الاركان فى الديانة المصرية اسبابها التاريخية والاجتماعية ، ولكنها فى الديانة اليهودية تطرح كأوامر الهية ليس لها اسباب معقولة . ويقول فرويد ان الاله السورى أدونيس ربما قد حل محل يهوه اليهودى فى الفترة التى عرفت الامتزاج القوى بين الثقافة اليهودية وغيرها من ثقافات المنطقة . والى هــذه الفترة كذلك يرجع استخدام لفظ بعل كاسم للاله ، فكان بعل بريث اى رب العهــد هو الاسم الذى عبــدوه به فى شكيم زمن القضاة . والبعل هــو انه الكنعانيين . ويعتقدون أنه ابن الاله ايل . وايل استخدمه اليهود كاسم للاله كذلك مع أنه اله كنعان ، وكانوا ينسبون اليه فيقــولون ايليا أى الهى ، وايل بريث اى اله العهد .

ويبدو من الواضح ان دخول هذه الاسماء الاجنبية فى اللغة العبرية واكب المراحل التاريخية التى زاد فيها الاحتكاك الحضارى بين اليهود وغيرهم ، وبعدت الشقة بينهم وبين التوحيــد الذى دعا اليه ابراهيم وموسى ، ولنلاحظ انهم لم يبدأوا تدوين التوراه الا بعــد نزولها بنحــو سبعمائة سنة (انظر توراة) ، وقد تداول كتابتها الاحبــار والربانيون فأصابها منهم التحريف الثابت بالزيادة والنقصان والغلط . وكانت التوراة الجديدة أو المدونة انعكاسا لظروفهم النفسية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية ، وبسبب هذه الظروف تباينت تصوراتهم الميتافيزيقية،وبينما نجدهم قد احتفظوا بالخط التوحيدى الابراهيمى الموسوى فى عبــارات معدودة ، فانهم قد أضافوا بالتأكيد عبارات أخرى تتنــاقض والاولى ، ولقد تصوروا الاله حقيقة مطلقة ، ولكنها كانت حقيقة لا تعلو على المادة كونية كانت او تاريخية ، فلم يكن هذا الاله فى الواقع الا امتدادا لمــا هو نسبى ، أى امتداد لوعى الامة اليهودية بنفســها ، فظل الها قوميا مقصورا عليهم ، ولم يمنعهم ذلك من اقــرار آلهة الامم فى فترات الاحتــكاك الحضارى ، فاقبلوا عليها وأقاموا لها الانصاب وذبحوا الذبائح حتى قال فيهم ارميا « بعدد مدنك يا عوذا صارت آلهتك » (١١/١٠) ، وظل تصورهم للربوبية فى تعديل مستمر بفعل الثقافات الاجنبية .

ولعل ابرز هذه الثقافات كانت الثقافة الاسلامية،ولم ينشأ التوحيد اليهودى الا فى دائرة هذه الثقافة ، ولكن الروح العــامة للتوراة طبعت الفلسفة اليهودية بطابعها . فكانت هذه الفلسفة فى اغلبها تقول بوحدة الوجود ، وهى فلسفة حلولية تذهب الى ان الله ليس الا فعله ، بمعنى انه الطبيعة ، والطبيعة باعتبارها طبيعة خلاقة هو جوهر الهى .

وبهذه الفلسفة الحلولية التى شاعت فى الفكر اليهودى امكنهم ان يفسروا التجسيم والتشبيه فى التوراة من امثال العبارات « لا تقدر ان ترى وجهى » (الخروج ١٨/٣٣) . و « وفعلتم الشر فى عينى الرب » (التثنية ٤ / ٢٥) . و « كانهم يشتكون شرا فى أذنى الرب » (العدد ١١ / ١) . و « الرب يضحك » (المزمور ٣٧ / ٢٢) الى آخر ما فى التوراة من اوصاف بشرية للاله تفيد انه يأكل ويشرب ويتعب ويستريح ويضحك ويبكى ويقطب ويحب ويكره وينسى ويتذكر .

ودافع فلاسفتهم عن تهمة التجسيم التى رماهم بها الاسلاميون . بان التجسيم منه كثير بالقرآن . ولكن شتان بين ايراد القرآن لعبارات مثل يد الله فوق ايديهم . او فثمة وجه الله . حيث انها هنا على المجاز وليس على الحقيقة . ثم ان القرآن يقول فى وصف الله حتى مع ايراد بعض الصفات مما يجتمع للبشر « ليس كمثله شىء » . اى انه ربما له وجه او يد ولكن ليس كيد او كوجه البشر . واين من ذلك قول اليهود فى التوراة ان يعقوب قد عاين الله وصارعه ورفض ان يطلقه حتى يباركه : « بقى يعقوب وحده فصارعه رجل الى مطلع الفجر . ورأى انه لا يقدر عليه ، وقال اطلقنى لانه قد طلع الفجر . فقال لا أطلقك او تباركنى . وسأله يعقوب وقال عرفنى اسمك . فقال له لم سؤالك عن اسمى ، وباركه هناك . ويسمى يعقوب الموضع فنؤيل قائلا : انى رأيت الله وجها الى وجه » (التكوين ٣٢ / ٢٤ — ٣٠) .

وقد دافعت فرقة الربانية عندهم عن التجسيم حينما حاول بعض فلاسفتهم ممن نشأوا فى دائرة الثقافة الاسلامية تقليد المسلمين ونفى الجسمية عن الاله ، فقال المجسمة الربانيون ان الاله جسم ، وان نفى الجسمية عنه ينفى كذلك الجهة والحركة وهلما جرا ، الامر الذى يرتب الكثير من الشكوك فى الشريعة ويرجعها متشابهة ، ذلك ان بعث النبى انبنى على الوحى النازل اليه من السماء ، وانبنى نزول الوحى من السماء على ان الله فى السماء وهكذا ، وتاويل الشريعة على غير ظاهرها يمزقها ويبطل الحكمة المقصودة منها ، ولو قلنا للجمهور ان الله موجود ليس بجسم كالاسلاميين لن يعقلوه ، لان الموجود عندهم هو المحسوس ، والمعدوم عندهم غير المحسوس ، ومن ثم يناسبهم جدا ان يقال ان الله جسم .

وذهب فريق الى اثبات الجسمية ولكنهم قالوا قولة الاسلاميين هو جسم ولكن ليس كمثله شىء ، وحاول هؤلاء التخلص من صيغة الجمع فى

العبارة ٢٦ الشهيرة من سفر التكوين « لتصنع الانسان على صورتنا تمثالنا » بالفلسفة الارسطية من خلال منهم الاسلاميين لها ، فقالوا ان الله قد خلق آدم ليس على صورته المادية ، ولكنه عندما بطبيعه يكون سيدا على الاشياء فيمكن ان ياتى بالمعجزات ، والفكر الانسانى صورة الهية ، والانسان يعنى بذويه فعل الخلق وهو يبذر ويزرع ويبنى مثلما أن الله هو الخالق والحافظ والقادر ، وهذا هو المقصود بأنه صورة للاله . اما صيغة الجمع فالمقصود بها ان الله يوجه خطابه الى العقل الفعال المنوط به فعل الخلق فيكون المعنى أن الاله والعقل الفعال يصنعان الانسان على مثاليهما . واذن لا يكون المقصود بالعبارة تعدد الآلهة .

وعلى اى الاحوال فان القول بالتوحيد الصريح لم يقل به فلاسفتهم الا بالتلقى عن الاسلاميين ،وقد دام بدوام هذا التلقى ،وارتفع بارتفاعه، والفلسفة اليهودية المعاصرة حلولية وابعد ما تكون عن التوحيد .

ومن الغريب أن مجسمة المسلمين نقلوا التجسيم عن الربانيين واوردوا اقوالهم فيه ومعارضة المعارضين ، وتوسعوا فى ذلك واختلفوا أشد الاختلاف ، فيما كان سببا لما عرض للاسلام من فرق انبأ عنها النبى عليه الصلاة والسلام انها ستفترق اليها امته ، ولولا هذه الاقوال نفسها لاعوزت المسيحية التربة ، كما يقول برتراند رسل ، التى نمت فيها بذور القول بالوهية المسيح او بنوته الالهية ، ولما استطاع اليهودى شاول المدعو بولس الرسول أن يدعو هذه الدعوة ويجد لها المنصتين ناهيك عن المؤمنين (انظر كذلك الصهيونية والقبالة والحسيدية) .



يوحنا الحوارى St. John

يوحنا بن زبدى ، دعاه يسوع مع اخيه ليكونا من تلاميذه ، وامه سالومه كانت على الارجح أخت مريم أم يسوع ، وعند الصلب اوصاه المسيح بالعناية بأمه ، وقيل هو صاحب الانجيل المسمى باسمه ، وهو أخطر الاناجيل الاربعة باتفاق الاراء ، لانه الانجيل الذى تضمن ذكرا صريحا لألوهية المسيح ، فهذه الالوهية هو نص اثباتها وركن الاستدلال فيها ، وهو موضع مخالفتها لديانات التوحيد واساس التباين بين هذه الديانة وتلك الديانات واستدلوا على أن يوحنا الحوارى هو كاتبه بأن

كاتب هذا الانجيل لا بد ان يكون يهوديا فلسطينيا ، ويظهر هذا من معرفته التفصيلية لجغرافية فلسطين والاماكن المتعددة فى اورشليم وتاريخ وعادات اليهود .

وقيل كاتبه يوحنا آخر لا يمت الى ابن زبدى بصلة ، واستدلوا على ذلك بلغته اليونانية الرصينة ، والفلسفة اليونانية التى تشيع فيه والتى تختلط فيها الرواقية والافلوطينية ، بالهرمسية والغنوصية والمندائية ، مما رجح القول أن يكون هذا الانجيل من تصنيف تلميذ من مدرسة الاسكندرية خاصة ان الكثير من الفرق المسيحية كانت تنكر هذا الانجيل وجميع ما اسند الى يوحنا .

وقالوا انه لاشك مزور ، أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما يوحنا ومتى الحواريان ، وادعى هذا الكاتب المزور فى متن الكتاب انه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، واستخدم لذلك ضمير المتكلم الجمع ليوحى بأنه هو ، واخذت الكنيسة عبارته على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصا مع ان صاحبه غير يوحنا يقينا .

ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التى لارابطة بينها وبين من نسبت اليه ، ففى العبارة الرابعة والعشرين من الباب الحادى والعشرين منه « هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا وكتب هذا ويعلم أن شهادته حق » ، فتحدث كاتبه فى حق يوحنا بضمير الغائب ، فعلم انه غير يوحنا .

ورد العلماء احدى عشرة آية من اول الباب الثامن لم توجد فى الترجمة السريانية ؛ وعندما كتبوا شروحا على هذا الانجيل لم يشرحوا هذه الآيات ، ولم ينقلوها فى شروحهم وتحيروا فى تفسير الاختلافات بين آيات هذا الانجيل والاناجيل الثلاثة الاخرى ، ففى الباب الاول منه ارسل اليهود الكهنة واللاويون يسألون يوحنا المعمدان : من انت ؟ وقالوا انت ايليا ، فقال لست انا بايليا . .

وفى الآية الرابعة عشرة من الباب الحادى عشر من انجيل متى ورد قول المسيح فى حق يوحنا المعمدان « وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى » ، وفى الباب السبع عشر من انجيل متى ساله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة أن ايليا ينبغى ان يأتى اولا ، فأجاب يسوع ان

ايليا يأتى أولا ويرد كل شيء ، ولكنى اقول لكم أن ايليا قد جاء ولم يعرفوه، بل عملوا كل ما ارادوا ، حينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » ، فعلم من العبارتين أن يوحنا المعمدان قد أنكر انه ايليا ، بينما اكد المسيح انه ايليا ، فيلزم التناقض فى قول يوحنا والمسيح .

وفى رواية ايمان الحواريين كتب متى ومرقص ان عيسى لقى بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا على بحر الجليل ودعاهم الى الايمان فتبعوه، وكتب يوحنا انه لقيهم الا يعقوب عند عبر الاردن . وقال متى ومرقس انه لقى اولا بطرس واندراوس على بحر الجليل ، ثم لقى بعد زمان قليل يعقوب ويوحنا على هذا البحر ، وقال يوحنا ان يوحنا واندراوس لقياه أولا فى قرب عبر الاردن ، ثم جاء بطرس بهداية أخيه أندراوس ، ثم فى الغد لما اراد يسوع أن يخرج الى الجليل لقى فيلبس ، ثم جاء نثنائيل بهداية فيلبس ، ولم يذكر يعقوب . وقال متى ومرقس انه لما لقيهم كانوا مشتغلين بالقاء الشبكة واصلاحها ، ولم يذكر يوحنا الشبكة بل ذكر ان يوحنا واندراوس سمعا وصف عيسى من يوحنا المعمدان وجاءا الى عيسى ثم جاء بطرس بهداية اخيه .

وفى رواية تعميد المسيح قال متى ان يوحنا المعمدان قال له « انى محتاج ان اعتمد منك ، وانت تاتى الى ، ثم اعتمد يسوع منه وصعد من الماء فنزل عليه الروح مثل حمامة ، وفى الباب الاول من انجيل يوحنا أن المعمدان لم يكن يعرفه ، وعرفه بنزول الروح مثل حمامة ، وفى الباب الحادى عشر من انجيل متى انه لما سمع المعمدان بأعمال المسيح ارسل تلميذين اليه يسألانه انت هو الآتى ام ننتظر آخر ، فعلم من الاول ان المعمدان كان يعرف قبل نزول الروح ، ومن الثانى لم يعرف الا بعد نزول الروح ، ومن الثالث انه لم يعرف الا بعد نزول الروح ايضا . وفى الباب الخامس من انجيل يوحنا ان المسيح قال « ان كنت اشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا » ، وفى الباب الثامن منه « وان كنت اشهد لنفسى فشهادتى حق» ، فتناقض المسيح مع نفسه .

وكتب يوحنا فى نهاية انجيله « واشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع ان كتبت واحدة واحدة فلست أظن أن العالم نفسه يسع المكتوبة » ، فى حين كتب مرقس فى انجيله فى الباب السابع انه ابرأ واحدا كان أصم ابكم ، وبالغ متى فى الباب الخامس عشر فجعل هذا الواحد جمعا غفيرا .

وفى الباب الثالث عشر كتب يوحنا أن المسيح قال ان واحدا منكم يسلمنى فكان التلاميذ ينظر بعضهم الى بعض متحيرين ، فأشار بطرس

الى تلميذ كان عيسى يحبه فسأله ، واجاب هـــو ذاك الذى اغمس انا اللقمـــة واعطيـــه ، فغمس اللقمـــة واعطـــاها يهوذا » ، وكتب متى فى الباب السادس والعشرين أنه قال للحواريين ان واحدا منكم يسلمنى، فحزنوا جدا وابتدا كل واحد منهم يقول هل هو انا يارب ، فقـــال الذى يغمس يده معى فى الصفحة يسلمنى ؛ فأجاب يهوذا وقال هو أنا هـــو يا سيدى ، فقال له انت قلت .

وفى الباب الثامن عشر كتب يوحنا « فأخذ يهوذا الجند من عنـــد رؤساء الكهنة والفريسيين فجاء فخرج يسوع وقال لهم من تطلبـــون ، اجابوه يسوع الناصرى ؛ قال لهم عيسى أنا هو ، وكان يهـــوذا مسلمه ايضا واقعا معهم ، فلما قال لهم انى انا هو رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ، فسألهم مرة اخرى من تطلبون ، فقالوا يسوع الناصرى ، اجاب عيسى قد قلت لكم انى انا هـــو ، فان كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ، فقبضوا عليه وامسكوه ، وفى الباب السادس والعشرين كتب متى أن يهوذا قال لليهود امسكوا من اقبله ، فجاء معهم وتقدم الى عيسى وقال السلام يا سيدى وقبله فأمسكوه .

وفى رواية انكار بطرس قال يوحنا ان بطرس عندما ســـألوه كان داخل الدار ، وفى رواية لوقا وسط الدار ، وفى رواية مرقس اسفل الدار وفى رواية متى فى ساحة الدار . وفى رواية يوحنا أن صياح الديك كان ثلاث مرات بعد انكار بطرس ، وكان مرة اخرى بعد انكار مرتين على رواية مرقس .

وكان جواب بطرس للسؤال الثانى للجارية التى سألت عنه على رواية يوحنا ليست أنا ، وعلى رواية كان بعد الحلف والانكار هـــكذا : لا أعرف هذا الرجل .

وفى الباب التاسع عشر كتب يوحنا « فأخذوا يسوع ومضوا به . فخرج وهو حامل صليبه الى الموضـــع الذى يقـــال له موضع الجمجمة حيث صلبوه » . وكتب لوقا فى الباب الثالث والعشرين « ولمـــا مضوا به امســـكوا ســـمعان ، رجلا قيروانيا كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع » .

ويفهم من الاناجيل الثلاثة الاول ان عيسى كان على الصليب فى نحو السادســة ، ومن انجيل يوحنا انه كان فى هذا الوقت فى حضور بيلاطس النبطى .

وكتب متى فى الباب العشرين والحادى والعشرين ان عيسى ارتحل من اريحا وجاء الى اورشليم ، وكتب يوحنا فى البابالحادى عشر والثانى عشر انه ارتحل من افرايم وجاء الى قرية بيت عنيا وبات فيها ثم جاء الى اورشليم .

وكتب يوحنا فى الفصل العشرين ان عيسى لقى مريم عند القبر . بينما ذكر لوقا ان المراتين لم يعثرا على جسد المسيح واخبرهما رجلان انه قد قام فذهبتا الى الاحد عشر وجميع الباقين واخبراهم بهذا كله ، وكتب متى بل لاقاهما بعد خروجهما من القبر .

ويعلم من الباب السادس عشر من انجيل مرقس أن النساء اتين الى القبر اذ طلعت الشمس ، ومن الباب العشرين من انجيل يوحنا ان الظلام كان باقيا ولم تكن الا امراة واحدة .

وقال يوحنا فى الباب التاسع عشر ان بيلاطس كتب عنوانا ووضعه على الصليب « يسوع الناصرى ملك اليهود » بينما قال متى « هذا هو يسوع ملك اليهود » ، وقال مرقس « ملك اليهود » ، وقال لوقا « هذا هو ملك اليهود » .

وفى الباب الثانى عشر كتب يوحنا عن قصة المراة التى افرغت قارورة الطيب على يسوع ان هذا الامر كان قبل الفصح بستة أيام فى بيت مريم ، وكانت الافاضة على القدمين ، وان المعترضين كانوا يهوذا فقط ، وان ثمن الطيب يقدر بثلاثمئة دينار ، بينما قال مرقس انه كان قبل الفصح بيومين فىبيت سمعان ،وكانت الافاضة على الراس، والمعترضون كانوا اناسا من الحاضرين ، قال متى عنهم انهم كانوا التلاميذ ، وقدر مرقس زجاجة الطيب بأكثر من ثلاثمئة دينار .

وفى الآية الثالثة عشرة من الباب الثالث قال يوحنا « ليس احد صعد الى السماء الا الذى نزل من السماء ابن الله الذى هو فى السماء » وهذا غلط لان اخنوخ وايليا رفعا الى السماء وصعدا اليها كما هو مصرح فى الباب الخامس من سفر التكوين والباب الثانى من سفر الملوك الثانى.

وذكر يوحنا على لسان المسيح قوله فى الباب الاول « ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الانسان » ، وهذا غلط لانه لم يحدث ان قال احد انه راى السماء مفتوحة والملائكة صاعدة نازلة .

وفى الباب الرابع عشر قال يوحنا « من يؤمن بى فالاعمال التى اعملها يعملها هو ايضا ويعمل اعظم منها » وما سمعنا ان احدا من المسيحيين عمل عملا أعظم مما عمل المسيح .

ولكل هذه الاسباب قيل ان يوحنا الحوارى لا يمكن أن يكون كاتب هذا الانجيل ، لان الاناجيل قيل انها كتبت بوحى من الله ، ولا يمكن ان يكون الوحى من الله ويخطىء كاتبه .

وقيل ان يوحنا هذا كتبه لغرض خالص ، وهو ان بعض الناس كانت قد غلبت عندهم فكرة ان المسيح ليس باله ، وان كثيرا من الفرق الشرقية كانت تقرر ذلك ، فطلب الى يوحنا ان يكتب انجيلا يتضمن بيان هذه الالوهية فكتب هذا الانجيل .

وقال بعضهم ان يوحنا صنف انجيله بطلب من اساتذة كنائس آسيا وغيرها بسبب أن شيربنطوس وابيسون وجماعتهما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس الا انسانا فطلبوا منه اثبات الوهية المسيح وذكر ما اهمله متى ومرقس ولوقا فى اناجيلهم ، وهذا أمر يعتبر من قائليه اعترافا بعدم وجود نص فى الاناجيل الثلاثة السابقة على يوحنا بالوهية المسيح ، أو هى كانت فى زمن يوحنا على الاقل ليس فيها ما يستدل منه على الوهية المسيح ، ولما كان الاساقفة قد اعتنقوا الوهية المسيح قبل وجود ما يقوم على ذلك فى أناجيلهم ، فانهم اتجهوا الى المدعو يوحنا يكتب لهم ما يحتجون به على خصومهم ، والا فما بالهم لم يقنعوا فى رسائل رسلهم التى كتبت فى قولهم قبل هذا الانجيل ، وفيها ما ينبىء عن الوهية المسيح ويعلنها ، فلا شك اذن ان هذا الانجيل منحول على الحوارى يوحنا ، وهذا ما حدا بعلمائهم الذين اشتركوا فى كتابة دائرة المعارف البريطانية ان يرجحوا ان مؤلفه لا بد أن يكون على الارجح من تلاميذ يوحنا وأنهم كتبوه فى احدى البلاد الشرقية وربما افسوس ، فى نهاية القرن الاول الميلادى .

* * *

يوحنا المعمدان John the Baptist

يوحنا أو يحيى ، صيغة عربية للاسم يوحنا فى اسفار الابو كريفا والعهد الجديد ، وهو يحيى بن زكريا ، امه اليصابات ، « صوت صارخ فى البرية » (يوحنا : الفصل الاول) ، اى مصلح دينى واجتماعى ، عمله

تبكيت الناس ، داعيا اياهم الى التوبة ، مبشرا بالخلاص على المسيح القادم ، « تعطى شعبه علم (بكسر العين) الخلاص » (لوقا ، الفصل الثانى) ، يقول « توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات ، واعدوا طريق الرب ، واجعلوا سبله قويمة » (متى ، الفصل الثالث) . روى له ابوه رسالة الملاك التى تلقاها عند مولده « يكون عظيما امام الرب ، ولا يشرب الخمر ولا مسكرا ، ويمتلىء من الروح القدس وهو فى بطن امه ، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم ، وهو يتقدم امامه بروح ايليا وقوته ، ليرد قلوب الآباء الى الابناء ، والعصاة الى حكمة الابرار ، ويعد للرب شعبا كاملا » (انجيل لوقا ، الفصل الاول) فكانت حياته مصداقا للبشارة ، وفلسفته هى نفس فلسفة الفرقة الاسينية ، عاش مثلهمناسكا زاهدا ، ساعيا لاخضاع نفسه والسيطرة عليها بالصوم والتذلل ، حاذيا حذو ايليا النبى فى ارتداء عباءة من وبر ، شادا على حقوية منطقة من الجلد ، طعامه الجراد والعسل البرى ، ورسالته التوبة والمعمودية،ولذا ردوا اليه اصل التصوف ، وكانت المعمودية اليهودية تقوم على الاغتسال والتطهر ، فأضفى عليها بعدا اجتماعيا وعمق مفهومها الروحى : « اثمروا ثمرا يليق بالتوبة ، ولا يخطر ببالكم ان تقولوا فى نفوسكم ان ابانا ابراهيم لانى اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم . الفأس قد وضعت على اصل الشجرة ، فكل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى فى النار » (متى ، الفصل الثالث) ، فقرن التوبة بالعمل ، وابطل اسطورة شعب الله المختار والشعب المقدس وتوارث القداسة ، بأن ادخل المهتدين الى الدين اليهودى ، وعمدهم بصرف النظر عن جنسهم وطبقتهم .

وهذا الخروج الى العالمية وافكاره الثورية الدينية والاجتماعية ، هى التى عجلت بصدامه مع السلطة ، فقضى بسبب ظاهرى هو دسيسة هيروديا وابنتها سالومه فى القصة المشهورة .

وان المتأمل لقصة يوحنا فى الاناجيل التى كتبها يهود مسيحيون ليلاحظ ان الاختلاف شديد فى روايتها ؛ الامر الذى ينقضها جميعا ، ففى الباب الاول من انجيل يوحنا الحوارى ان اليهود الكهنة اللاويين ارسلوا الى يوحنا المعمدان يسألوه : من انت . انت ايليا ، فقال لست انا ايليا ، وفى العبارة الرابعة عشرة من الباب الحادى عشر من انجيل متى قول عيسى فى حق يوحنا « وان اردتم ان تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع ان يأتى » ، وفى الباب السابع عشر من انجيل متى « ساله تلاميذه قائلين فلماذا يقول الكتبة ان ايليا ينبغى أن يأتى أولا ، فأجاب يسوع ان ايليا يأتى أولا ويرد

كل شيء ، ولكنى اقول لكم ان ايليا قد جاء ولم يعرفوه ، بل عملوا به كل ما ارادوا ، وكذلك ابن الانسان أيضا سوف يتألم منهم ، وحينئذ فهم التلاميذ انه قال لهم عن يوحنا المعمدان » فعلم من العبارتين ان يوحنا هو ايليا الموعود ، وبذلك يكون يوحنا قد قال عن نفسه انه ليس ايليا ، وقال المسيح انه ايليا .

وفى الباب الثالث من انجيل متى جاء عيسى الى يوحنا يعمده فمنعه يوحنا قائلا « أنا المحتاج أن اعتمد منك وانت تأتى الى ، فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من المـاء فانفتحت له السماوات ورأى روح الله نازلا مثل حمامة وحالا عليه » ، وفى الباب الاول من انجيل يوحنا « انى رايت الروح مثل حمامة قد نزل من السماء واستقر عليه ، وانا لم أكن أعرفه لكن الذى ارسلنى لاعمد بالمـاء هو قال لى أن الذى ترى الروح ينزل ويستقر عليه هو الذى يعمد بالروح القدس » . وفى الباب الحادى عشر من انجيل متى أن يوحنا لمـا سمع بأعمال المسيح ارسل تلميذين اليه وقال له « انت الآتى لم ننتظر آخر » ، فعلم من الاول أن يوحنا كان يعرف نزول الروح، ومن الثانى ما عرفه الا بعد نزول الروح ، ومن الثالث انه لم يعرف بعد نزول الروح أيضا .

ويعلم من الباب السادس من انجيل مرقس أن هيرودس كان يعتقد فى حق يوحنا الصلاح ، وكان راضيا عنه ويسمع وعظه وما ظلم عليه الا لاجل رضا هيروديا ، ويعلم من الباب الثالث من انجيـل لوقا انه ما ظلم يوحنا لاجل رضا هيروديا بل لاجل رضا نفسه أيضا ، لانه ما كان راضيا عن يوحنا لاجل الشرور التى كان يفعلها .

وفى الباب الرابع عشر من انجيل متى قال « فان هيرودس كان قد امسك يوحنا واوثقه وطرحه فى سجن من اجل هيروديا امراة فيلبس اخيه » وهذا غلط لان اسم زوج هيروديا كان هيرودس ايضا لا فيلبس كما صرح يوسيفس فى الباب الخامس من الكتاب الثامن عشر من تاريخه. ونفس الغلطة نجدها فى الباب الثالث من انجيل لوقا ، وفى الباب السادس من انجيل مرقس .

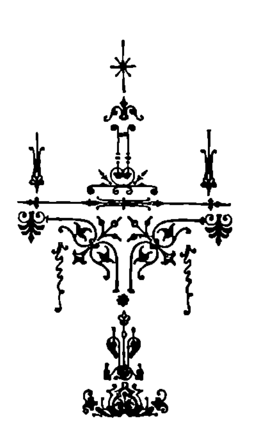
فاذا كان هذا التناقض والغلط فى بعض رواية الانجيليين عن يوحنا، وهى المصدر اليهودى الوحيد لسيرته وفكره ، فانه يكون من الخطأ ان نعول كثيرا على بقية روايتهم عنه .

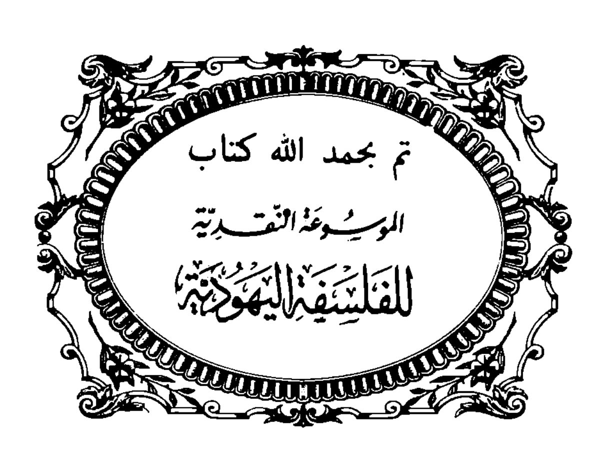
* * *

اليـــوذعانية Yudghanites

نسبوا الى يوذعان الهمدانى وكان اسمه يهوذا ، وهم من القراءين الاوائل ، يزعمون أن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا ، وخالفــوا بتأويلاتهم عامة اليهود ، وخالفوهم فى التشبيه ، ومالوا الى القــدر ، وأثبتوا الفعل حقيقة للعبد ، وقدروا الثواب والعقاب عليه ، وشددوا فى ذلك .

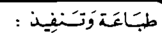





تم بحمد الله كتاب
الموسوعة النقدية
للفلسفة اليهودية



فهرست الكتاب



طبَاعَة وَتـَنفِيذ :

مؤسسة المطبوعات العربية

للطبَاعَة وَالنشــر وَالــتوزيـع

الإدارة : شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة - ت : ٢٤٣٤١٦

المخازن : الصنائع - شارع مدحت باشا - بناية اللبان - ت : ٢٣١٤١٣

برقيا : أرابليك - ص.ب : ٧٧٨٧

بـيروت - لبـنان

